جذور الاستبداد في

الفكر السياسي الوهابي

قراءة تحليلية

الفكر السياسي الوهابي

قراءة تحليلية

أحمد الكاتب

Ahmad@Alkatib.co.uk
www.Alkatib.co.uk

الطبعة الأولى لندن: ٢٠٠٣

الطبعة الثانية بيروت: ٢٠٠٤

الطبعة الثالثة القاهرة: ٢٠٠٨

الطبعة الرابعة بيروت: ٢٠١١

الإهـــــــــداء

الى أخي الحبيب الغالي الشهيد محسن

الذي قضى ظلماً في سجون البعث وهو يحلم ببزوغ فجر الحرية

والى الشهداء الأحباب فاضل و رضا و علي وعادل و محمود

و... و...

والى جميع الشهداء و المجاهدين والأحرار في العراق

الذين عملوا و يعملون من أجل إقامة مجتمع ديموقراطي اسلامي عادل

المحتويات

مقدمة الطبعة الرابعة:

الزرقاوي وأزمة الفكر الوهابي في العراق

مقدمة الطبعة الرابعة

الزرقاوي وأزمة الفكر الوهابي في العراق

نشرت قبل حوالي عشر سنين كتابي "الفكر السياسي الوهابي.. قراءة تحليلية" الذي توصلت فيه الى أن جذر المشكلة في هذا الفكر يكمن في الاستبداد والعنف القائم على التكفير، وتطرقت في الفصل السادس من الكتاب الى المعارضة الوهابية والشورى، وخصوصا المعارضة الثورية المسلحة (تنظيم القاعدة) وقلت انها لا تختلف عن النظام السعودي الوهابي في الموقف من الاستبداد، لأنها تقوم على نفس الأسس التي يقوم عليها النظام، ولا تقدم بديلا جذريا ديموقراطيا. وكان حديثي بالدرجة الأولى يدور في إطار التجربة

السعودية كنظام ومعارضة، ولم أتحدث عن الوهابية في سائر البلاد الاسلامية لأنها لم تكن قد قدمت تجارب يعتد بها أو يشار اليها بالبنان في ذلك الوقت. وقد صدرت الطبعة الأولى من الكتاب في عام ٢٠٠٣ قبل أن يبدأ أبو مصعب الزرقاوي بالعمل في العراق، تحت لواء مقاومة الاحتلال الأميركي. ومن المعلوم ان تجربة الزرقاوي اختلفت عن سائر حركات المقاومة العراقية أنها لم تتوجه الى المحتل بقدر ما توجهت ضد قطاعات مختلفة من الشعب العراقي، حيث ابتدأت بإعلان الحرب على الحكومة العراقية، ثم على عامة الشيعة ، واعتبرت أهل السنة المشاركين في العملية السياسية والانتخابات مرتدين ومشركين، وعندما تراجع بعض مؤيديها السابقين من أهل السنة وشكلوا "الصحوات" اعتبرتهم خونة ومرتدين وأعلنت الحرب عليهم أيضا، وعندما رفضت بعض فصائل المقاومة العراقية إعلان خليفة الزرقاوي (أبو عمر البغدادي) لدولته "الاسلامية" في العراق لم يتردد الأخير في فتح نيران اسلحته عليهم ومحاربتهم في كل مكان.

وكانت استباحة الزرقاوي للدم العراقي في ظل الاحتلال الأميركي، وتمزيقه لصفوف الشعب، أثارت السؤال عن الهدف من وراء ذلك، في وقت كان يفترض بأي مقاوم صادق وشريف أن يعمل على توحيد كلمة الشعب في مواجهة الاحتلال، الأمر الذي جر الى التساؤل : هل كان الزرقاوي يعمل من حيث يشعر أو لا يشعر في خدمة الاحتلال وعلى إخافة قطاعات كبيرة من الشعب لكي تفضل استمرار الاحتلال ولا تنخرط في صفوف المقاومة؟ وإذا ابتعدنا أكثر في عمق الأمور حق لنا أن نطرح السؤال الأهم: كيف

ولماذا قام الزرقاوي بذلك العنف اللامبرر ضد الشعب العراقي الذي كان يعيش تحت الاحتلال؟ وما هو الفكر السياسي الذي يستند اليه ويستمد منه دمويته المفرطة؟

لم يعرف كثير من الناس هوية الزرقاوي ولا جذوره الفكرية ولا علاقته بالفكر الوهابي، لا سيما وإنه كان لا يفتأ ينتقد النظام السعودي ويعلن الولاء لأسامة بن لادن المعارض الرئيسي لذلك النظام.

الآن وبعد مضي حوالي سبع سنوات على تجربة الزرقاوي في العراق، أجد من الضروري وأنا أقدم للطبعة الرابعة من كتاب "الفكر السياسي الوهابي" أن أسلط الضوء على تلك التجربة وعلى جذورها الوهابية القائمة على التكفير والعنف والاستبداد، دون حاجة للحديث عن آثارها السلبية على وحدة الشعب وحريته ومقاومته للاحتلال، فهذه أمور أصبحت واضحة للجميع.

المقدسي والزرقاوي

الزرقاوي هو أحمد فضيل نزال الخلايلة (ولد في الأردن عام ١٩٦٦) وتأثر بأدبيات الجهاد الأفغاني فالتحق بالمجاهدين الأفغان الذين كانوا يقاتلون الروس، في أواخر الثمانينات، وقضى ثلاث سنوات حتى ١٩٩٢ حيث عاد الى الأردن ليعتقل بتهمة الانتماء الى تنظيم مسلح سري هو "بيعة الإمام"، ويدخل السجن لمدة ثمانية أعوام. وتعرف في أفغانستان على شخصيتين رئيسيتين هما أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة، وعصام محمد طاهر

المقدسي الذي سيصبح مرشده الروحي ومعلمه في التسعينات من القرن العشرين.

وقد ولد المقدسي في برقة من أعمال نابلس في فلسطين سنة (١٩٥٩) وانتقل مع أبويه في الستينات للعيش في الكويت، ودرس في جامعة الموصل في العراق في أواخر السبعينات. حيث كانت أخبار الثورة الاسلامية "الشيعية" في ايران، تملأ الأرجاء وتشكل تحديا كبيرا للنظام السعودي والفكر الوهابي، من حيث مقاومتها للامبريالية الأميركية والتزامها بالاسلام والديموقراطية، وهي تجربة فريدة ومعاكسة تماما للنظام السعودي الذي يرفع شعار الاسلام والاستبداد والولاء للولايات المتحدة الأميركية. وكشاب فلسطيني محبط من احتلال اسرائيل لبلاده لا بد أن ينقم على كل نظام عربي خانع لا يعمل من أجل تحرير بلاده المغتصبة، يمكن أن نتخيل المقدسي ناقما على النظام السعودي وان نشأ في بيئة وهابية في الكويت، ولنا أن نتصور موقفه بين الحركات الفلسطينية اليسارية والاسلامية الثورية المعارضة للسعودية، وهذا ما يفسر اهتمامه في بداية الثمانينات بأدبيات حركة جهيمان العتيبي المعارض للسعودية، والذي احتل الحرم المكي في غرة محرم ١٤٠٠ (١٩٧٩) وأعلن صاحبه محمد بن عبد الله القحطاني أنه "المهدي المنتظر" ومجدد الدين على رأس القرن الهجري الخامس عشر، وطالب المسلمين بمبايعته.

وكانت حركة جهيمان تعارض النظام السعودي على أسس سلفية وهابية بحتة، وتشكل امتدادا لحركة "الإخوان" الوهابية التي ساندت عبد العزيز بن

سعود في تأسيس دولته في مطلع القرن العشرين، ثم انقلب عليها وقضى عليها في الثلاثينات من ذلك القرن في معركة السبلة.

وربما عززت الروابط القبلية بين المقدسي وجهيمان باعتبار انتمائهما الى قبيلة واحدة هي قبيلة عتيبة الممتدة من الجزيرة العربية الى فلسطين، من انشداد المقدسي الى زعيم الحركة الذي قتل مع ستين من أنصاره في السعودية بعد حادثة الحرم.

والى جانب ذلك التقى المقدسي بزعيم حركة سعودية أخرى معارضة سرية هو الشيخ السوري محمد سرور بن نايف زين العابدين (ولد في حوران ١٩٣٨)، الذي كان عضوا في حركة الاخوان المسلمين في سوريا، ولجأ الى المملكة العربية السعودية في ١٩٦٥، ودرَّس في المعهد العلمي في بريدة عاصمة القصيم . واستطاع أن يجمع بين الفكر السلفي الوهابي وفكر الاخوان المسلمين، وخاصة فكر سيد قطب الذي كان يدعو الى حاكمية الله ويعتبر القوانين الوضعية نوعا من الجاهلية.[١] وبما أن السعودية كانت قد أصبحت وهابية منذ قرون ولم يعد يوجد فيها قبور تزار أو تعبد من دون الله كما كان يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وبالتالي لم تعد لها قضية معاصرة، فقد قام الشيخ محمد سرور بمحاولة لتجديد الوهابية وتسييسها وتثويرها، ونقد النظام السعودي الذي اتهمه بالخروج عن جادة التوحيد والوقوع في شرك الحاكمية. وانتقل في بداية الثمانينات الى الكويت ثم الى

[١] – ولأخيه محمد قطب كتاب بعنوان: جاهلية القرن العشرين.

بريطانيا في التسعينات واستقر أخيرا في الأردن. وعندما كان في السعودية أسس حركة عرفت فيما بعد بالسرورية. وهي حركة انتقدت تبعية السلفية الوهابية الرسمية، ولا سيما "الجامية" و"المدخلية" و"المقبلية" [٢] للنظام السعودي، ولكنها لم تصل الى حد تكفيره أو الخروج عليه بالسيف وانما اقتصرت على اتباع سياسة "البعد عن السلطان" و "اعتزال الأمراء" ونادت بضرورة اتباع الأمراء للعلماء كما كان مؤسسو الدولة السعودية الأولى يتبعون الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وربما كان محمد سرور في ذلك متأثرا بنظرية "ولاية الفقيه" الشيعية الإيرانية. وقد اصطدمت الحركة "السرورية" مع النظام السعودي ومشايخ الوهابية التقليديين في أعقاب استدعاء الملك فهد للقوات الاميركية لمقاتلة صدام في حرب الكويت ١٩٩١، وامتد تأثر الحركة الى الكويت والأردن والجزائر وسوريا واليمن والسودان وبلاد الخليج وأوربا.[٣]

وقد أحاطت الحركتان بعصام المقدسي، ذلك الشاب الفلسطيني المقيم في الكويت والبالغ حوالي العشرين عاما في ذلك الوقت، فذهب الى المدينة المنورة لكي يتم دراسة كتب ابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب على يد شيوخ الوهابية في السعودية. وعندما عاد المقدسي الى الكويت كان

---

[٢] – وهي تيارات موغلة في التبعية للنظام السعودي وتدعو الى الطاعة المطلقة للحكام، وعدم تكفيرهم بالكبائر، وتحرم حتى المعارضة السلمية لهم.

[٣] – من أبرز رجال الحركة السرورية في السعودية: سفر الحوالي، وسلمان العودة، وناصر العمر، وعايض القرني.

مشبعا بفكر التكفير للسعودية على أسس وهابية، بحيث لم يستوعبه الشيخ محمد سرور وقام بفصله من حركته "السرورية" في منتصف الثمانينات.[٤]

قام المقدسي (سنة ١٩٨٥) بالتعبير عن آرائه بصراحة في كتاب ألفه تحت عنوان "ملة إبراهيم ودعوة الأنبياء والمرسلين، وأساليب الطغاة في تمييعها وصرف الدعاة عنها " ولخص فيه التراث الوهابي حول موضوع التوحيد بلغة معاصرة موجهة ضد الحكام بصورة عامة (وعلى رأسهم السعوديين) الذين اتهمهم بأنهم لا يعملون بما أنزل الله ويحكمون القوانين الوضعية.

وقد جاء في ذلك الكتاب: "إن الطواغيت في كل زمان ومكان لا يظهرون الرضا عن الإسلام أو يهادنونه ويقيمون له المؤتمرات وينشرونه في الكتب والمجلات ويؤسسون له المعاهد والجامعات إلا إذا كان ديناً أعور أعرج مقصوص الجناحين بعيداً عن واقعهم وعن موالاة المؤمنين والبراءة من أعداء الدين وإظهار العداوة لهم ولمعبوداتهم ومناهجهم الباطلة. وإننا لنشاهد هذا واضحاً في الدولة المسماة "السعودية" فإنها تغر الناس بتشجيعها للتوحيد وكتب التوحيد، وبسماحها بل وحثها للعلماء على محاربة القبور والصوفية

---

[٤] – وقد تحدث المقدسي عن ذلك في كتابه :"الرد الميسور على مجازفات الشيخ محمد سرور بن نايف زين العابدين في رده على أهل التبين والتوقف ، وما جاء فيه من تخبيطات وغرور" والذي اتهمه فيه بالتخبط في أهم مهمات الدين وأخطر مسائل العقيدة.

وشرك التمائم والتوله والأشجار والأحجار.. وغير ذلك مما لا تخشاه ولا يضرها أو يؤثر في سياساتها الخارجية والداخلية.. وما دام هذا التوحيد المجزأ الناقص بعيداً عن السلاطين وعروشهم الكافرة فإنه يتلقى منهم الدعم والمساندة والتشجيع... وإلا فأين كتابات جهيمان وأمثاله رحمه الله تعالى التي تمتلىء وتزخر بالتوحيد؟ لماذا لم تدعمها الحكومة وتشجعها؟ رغم أنه لم يكن يكفرها في تلك الكتابات.. أم أنه توحيد يخالف أمزجة (الطغاة) وأهواءهم ويتكلم بالسياسة ويتعرض للولاء والبراء والبيعة والإمارة. (وراجع كلامه (أي جهيمان) في مختصر رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من ص١٠٨ إلى ١١٠ من الرسائل السبع) فقد وجدته متبصراً في هذه القضية رحمه الله تعالى". وانتقد المقدسي الحكومات الاسلامية عموما فقال:"نحن نعايش في هذا الزمان انتشار شرك التحاكم إلى الدساتير والقوانين الوضعية بين ظهرانينا، فيلزم ... تسفيه قدر هذه الدساتير وتلك القوانين وذكر نقائصها للناس وإبداء الكفر بها وإظهار وإعلان العداوة لها ودعوة الناس إلى ذلك.. وبيان تلبيس الحكومات وضحكها على الناس".[٥]

وذهب المقدسي الى باكستان وأفغانستان ليبشر بفكره "التوحيدي" أو الوهابي التكفيري المعارض، ويوزع كتبه بصورة سرية بين صفوف المجاهدين وخاصة العرب والسعوديين (في معسكر الصديق والفاروق) الذين كانوا ينقسمون بين فريقين مؤيد للسعودية ومعارض لها، وبحث موضوع تكفير السعودية مع أسامة بن لادن زعيم القاعدة المساندة للمجاهدين، ولكن ابن

---

[٥] – موقع التوحيد والجهاد، التابع للمقدسي، بتاريخ ٢٠١٠/١١/٥
www.tawhed.ws/dl?i=iti4u3zp

لادن لم يؤيده في إعلان كفر السعودية في ذلك الوقت.[6] فنشر المقدسي كتابه "الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية". سنة ١٩٩٠ ولكن باسم مستعار هو (أبو البراء مرشد بن عبد العزيز بن سليمان النجدي).

وفي الوقت الذي كان يفترض بالمقدسي الذي يكفر الدولة السعودية (حكاما ورجال دين) على أساس الحكم بغير ما أنزل الله والولاء للكفار، أن يقترب من الشيعة والثورة الاسلامية الايرانية التي قامت على أساس التبرؤ من اميركا والدعوة للعمل بالشريعة الاسلامية، الا انه حافظ على موقفه الوهابي التقليدي منها والمكفر لها وللشيعة، والذي عززه استاذه السابق محمد سرور زين العابدين الذي ألف كتابه المضاد للثورة الايرانية "وجاء دور المجوس" ونشره في بداية الثمانينات، تحت اسم مستعار هو (عبد الله الغريب).

---

[6] – وكما أصبح معروفا فقد قام ابن لادن سنة ١٩٩٧ بإعلان خيانة **النظام السعودي للأمة، وموالاة الكفّار ومناصرتهم ومظاهرتهم على المسلمين، واعتبار ذلك من نواقض الإسلام العشرة.** (**وذلك في** رسالة مفتوحة وجهها الى عامة المسلمين وأبناء الجزيرة العربية بالخصوص). وقام باتهام النظام السعودي بالردة و الكفر ، وقال: ان "كل من اعان اميركا من حكام الدول العربية عبر توطين القواعد او اي نوع من انواع الدعم ولو بالكلام ، في قتل المسلمين ، عليه ان يعلم انه مرتد وخارج عن الدين الاسلامي". (وذلك في رسالة صوتية الى قناة الجزيرة يوم عيد الأضحى من سنة ١٤٢٣ المصادف ١١ شباط ٢٠٠٣)

لقد كانت الحركة المعارضة (السرورية والجهيمانية والمقدسية) ثورة على النظام السعودي، ولكنها كانت تحمل روح الفكر الوهابي التقليدي المتمثلة في العنف والتكفير. وبدلا من أن تقوم تلك الحركة "الثورية" بتحليل عوامل سقوط التجربة الوهابية في الشرك السياسي، كما كانت تقول، ومعالجتها جذريا، فانها تعاملت مع الحالة بصورة سطحية، واكتفت بالتكفير والخروج، ولم تنظر الى دور الاستبداد في الانحراف، وتبعية شيوخ الحركة الوهابية العمياء للنظام السعودي. وبدلا من أن تحجم الحركة "الثورية" سلطات الملوك السعوديين وتجعلهم تحت سلطة الشعب أو الحركة الوهابية، كما هو حال الأنظمة الديموقراطية التي تعطي السلطة للجماهير وتفرض هيمنتها وتوجيهها على الحكام، فان الحركة الوهابية "الثورية" (وخاصة المقدسية) ذهبت بالاتجاه المعاكس واعتبرت الديموقراطية والمجالس النيابية والأنظمة الدستورية شركا وكفرا بالله وخروجا عن الدين الاسلامي وعقيدة التوحيد. وربما كان المقدسي هنا متأثرا بالفكر السياسي السعودي الذي دأب على محاربة الديموقراطية واتهامها بالشرك والكفر. ولم يفرق المقدسي بين الديموقراطية العلمانية المطلقة التي تجعل الانسان مصدر السلطات بعيدا عن تعاليم السماء، وبين الديموقراطية المقيدة بالشريعة الاسلامية ، والتي تهتم بكيفية انتخاب الحاكم وتحديد صلاحياته وتبادل السلطة بشكل سلمي وما الى ذلك من أمور ، وهي الديموقراطية التي أيدها معظم علماء المسلمين المعاصرين، وقامت على أساسها الجمهورية الاسلامية في إيران.

ومع أن المقدسي كان يعيش في الكويت على هدير مدافع الحرب العراقية الايرانية المستعرة في الثمانينات من القرن الماضي، الا أنه لم يفكر في جذور الأزمة العراقية المتمثلة في ديكتاتورية صدام حسين والتي دفعته الى شن الحرب العدوانية على الجمهورية الاسلامية الفتية في ايران، وربما كان المقدسي يؤيد الحرب لأنها "ضد الفرس المجوس" ولكن تلك الديكتاتورية لم تدعه يعيش مطمئنا في الكويت إذ عصفت به وبالكويت عام ١٩٩٠ عندما احتل صدام ذلك البلد الخليجي على حين غرة، واضطر المقدسي لمغادرة الكويت، مع ٣٠٠ ألف فلسطيني وأردني ، نتيجة لوقوف الملك حسين والزعيم الفلسطيني ياسر عرفات الى جانب صدام.

وعندما حط المقدسي رحاله في الأردن وجد ثمة انفتاحا ديموقراطيا حديثا بعد فترة طويلة من الاستبداد والأحكام العرفية، وبدلا من الانخراط في الحياة الديموقراطية كما فعل الاخوان المسلمون الأردنيون، حاول المقدسي الوقوف في وجه الانفتاح الديموقراطي وأعلن تكفير من يشارك في العمل السياسي والانتخابات. وقال في كتابه: (الديموقراطية دين):"ان الديموقراطية دين غير دين الله ، وملّة غير ملة التوحيد ، وان مجالسها النيابية ليست الا صروحا للشرك ومعاقل للوثنية ، يجب اجتنابها لتحقيق التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ، بل السعي لهدمها ومعاداة أوليائها وبُغضهم وجهادهم. وان هذا ليس أمرا اجتهاديا كما يحلو لبعض الملبسين أن يجعلوه ، بل هو شرك واضح مستبين وكفر بواح صراح قد حذر الله تعالى منه في محكم تنزيله ،

وحاربه المصطفى (ص) طيلة حياته".[٧] وان " الطاغوت الذي يجب عليك أن تكفر به وتتجنب عبادته لتستمسك بعروة النجاة الوثقى ، ليس فقط أحجارا وأصناما وأشجارا وقبورا تعبد بسجود أو دعاء أو نذر أو طواف وحسب.. بل هو أعم من ذلك...ان الطاعة في التشريع عبادة لا يجوز أن تصرف لغير الله ، فلو صرفها المرء لغير الله ولو في حكم واحد كان بذلك مشركا"[٨] " ان ترجمة الديموقراطية الحرفية هي: (حكم الشعب أو سلطة الشعب أو تشريع الشعب) وهذا من أخص خصائص الكفر والشرك والباطل الذي يناقض دين الإسلام وملة التوحيد أشد المناقضة ويعارضه أشد المعارضة... فالديموقراطية كفر بالله العظيم وشرك برب السماوات والأرضين ومناقضة لملة التوحيد ودين المرسلين".[٩]

في سنة ١٩٩١ حمل المقدسي أمتعته ورحل من الأردن ليلتحق بأصدقائه المجاهدين العرب في أفغانستان ، وهناك التقى تلميذه الأردني أبو مصعب الزرقاوي الذي عاد معه الى الأردن ليشكلا تنظيم "بيعة الامام" أو "الموحدون" ويدخلا السجن معا بمعية بقية أفراد التنظيم سنة ١٩٩٤، حيث

---

[٧] ـ المقدسي : الديموقراطية دين ، ص ٢ موقع منبر التوحيد والجهاد، الخاص بالمقدسي

[٨] ـ المصدر ، ص ٢ ـ ٣

[٩] ـ المصدر ، ص ٨

أعلن المقدسي أمام محكمة أمن الدولة تكفير النظام الأردني بما فيه من "طواغيت وأسياد ومحاكم وسجون وأتباع".

وفي السجن اشتد عود أبو مصعب الزرقاوي ، ولم تمض سنوات حتى توفى الملك حسين عام ١٩٩٩ فاطلق سراح الجميع بعفو ملكي، وغادر الزرقاوي الى أفغانستان وحاول الالتحاق بتنظيم القاعدة وزعيمه ابن لادن الذي كان قد أعلن قبل عام "الجبهة الاسلامية العالمية لمواجهة الصليبية والصهيونية". فأنشأ معسكرا خاصا لتدريب العرب في هيرات تحت رعاية حكومة طالبان، ولم تمض سنة حتى وقع هجوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وشنت الولايات المتحدة هجومها على أفغانستان، فترك الزرقاوي ساحة المواجهة الحامية ليذهب الى كردستان العراق التي أقام فيها "أنصار الاسلام" السلفيون قاعدة للعمل والانطلاق. وكان هؤلاء قد أقاموا علاقات حميمة مع تنظيم القاعدة فشكلوا الحاضنة للهاربين من أفغانستان.

السلفية في العراق

قبل ان نواصل الحديث عن نشاطات الزرقاوي في العراق في السنين اللاحقة يجدر بنا ان نتوقف قليلا لنلقي الضوء على واقع الحركة السلفية العراقية التي شكلت الحاضنة الكبرى لحركة الزرقاوي، وموقع تلك الحركة من الخارطة الدينية في العراق.

من المعروف ان المسلمين في العراق يتوزعون بين سنة وشيعة، ويغلب على الشيعة المذهب الامامي الاثنا عشري، بينما ينقسم السنة الى أحناف، وهم أغلب العرب السنة والتركمان، وشوافع وهم الأكراد وبعض العرب، ومالكية وهم بعض العرب في الجنوب. كما يوجد قلة من الحنابلة يمثلهم بعض العرب في ضاحية الزبير في أقصى جنوب مدينة البصرة.[١٠] ومن المعروف أيضا أن الأحناف في بداية نشأتهم كانوا يميلون في عقائدهم الى المعتزلة ثم تبنوا المذهب الماتريدي، بينما تبنى الشوافع والمالكية المذهب الأشعري الذي يعتبر مذهبا وسطا بين المعتزلة وأهل الحديث (الحنابلة). وفي ظل الدولة العثمانية وربما قبل ذلك انتشرت بين السنة الطرق الصوفية كالقادرية والنقشبندية والرفاعية. وحتى بداية القرن التاسع عشر لم يكن يوجد في العراق مذهب يعرف بالسلفي، ولا يزال السلفيون يرفضون تصنيف أنفسهم كمذهب مقابل المذاهب الأخرى، كما يرفضون إطلاق اسم "الوهابية" عليهم، ويفضلون مصطلح "الموحدون" أو "المسلمون" أو "السلفيون" بناء على العودة الى إسلام السلف الأول قبل حدوث ما يعتقدون أنه انحراف عام

---

[١٠] – كما يقول عبد العزيز بن صالح المحمود ، في كتابه "جهود علماء العراق في الرد على الشيعة" المنشور في موقع الراصد، على العنوان التالي:
http://www.alrased.net/site/topics/view/880

لدى المسلمين حصل بالاستغاثة بالأولياء وزيارة قبورهم، ولكن "السلفيين" في حقيقة الأمر يحملون فكرا متميزا ورؤية خاصة في موضوع "التوحيد" وتقسيمه الى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وقد رفع الدعوة الى هذا المذهب الشيخ الحنبلي السلفي محمد بن عبد الوهاب في نجد في أواسط القرن الثامن عشر الميلادي، واعتمد على ما كتبه الشيخ أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (١٢٦٣– ١٣٢٨) وابن القيم الجوزية (١٣٤٩-١٢٩٢) ، ولذلك اشتهر أيضا بالمذهب الوهابي.[١١] وقد ابتدأ انتشار "السلفية" أو "الوهابية" في العراق بشكل فردي نتيجة تأثر بعض الأشخاص بالحركة الوهابية في نجد، كالشيخ نعمان بن محمود الآلوسي (١٨٣٦ –١٨٩٩) وابن أخيه محمود شكري الآلوسي (١٨٥٦ – ١٩٢٤) الذي روج لمؤلفات ابن تيمية وابن القيم وشرح في كتابه "مسائل الجاهلية" أفكار محمد بن عبد الوهاب، والشيخ عبد الكريم الصاعقة (١٨٦٧ – ١٩٥٩) والشيخ محمد بهجة الأثري (١٩٠٤ – ١٩٩٦)

ويمكن القول ان الحركة السلفية "الوهابية" انتقدت بالدرجة الأولى الطرق الصوفية التي كانت تدعمها الدولة العثمانية، ولكنها كانت تنتقد الشيعة

---

[١١] – رغم تفضيل الوهابية استخدام مصطلح "السلفية" على نفسها ، الا ان هذا المصطلح في الحقيقة غير دقيق لأن الوهابية لا تتبع السلف تماما وانما تنتقي بعض ما يعجبها منه وتترك ما لا يعجبها، كما انها تخالف السلف في كثير من الأمور، كتكفير من يسب الصحابة مثلا، وقد كان الامام علي يرفض تكفير الخوارج الذين كانوا يكفرونه.

والتشيع أيضا. وفي حين اعتبرت "الوهابية" نفسها في وقت لاحق جزءا من أهل السنة بمعنى من المعاني (يخالف مفهوم الأحناف الماتريدية، والمعتزلة، والأشاعرة المالكية والشوافع) فان "الوهابية" أعلنت الحرب على الشيعة والتشيع، وضخمت من نقاط الخلاف التاريخية التي كانت بين الشيعة والسنة (وهي خلافات سياسية قديمة أساسا) الى حد إخراج الشيعة من دائرة الاسلام، بالرغم من تعايش الفريقين منذ قرون طويلة.

ومع أن الشيعة شهدوا منذ نشأتهم وفي تاريخهم الطويل تطورات عديدة وضموا تيارات مختلفة معتدلة ومتطرفة، بائدة ومعاصرة، ومروا بأجواء سلبية وإيجابية، فتحالفوا مع الخلفاء العباسيين تارة وتحاربوا مع العثمانيين تارة أخرى، فان السلفيين أو بالأحرى الوهابيين الذين نظروا للشيعة بعيون ابن تيمية الذي رسم صورة نمطية مشوهة لهم وأطلق على عامتهم اسم "الرافضة" وأصدر عليهم أحكاما غوغائية وعشوائية مطلقة، وقال:"إن الرافضة أكذب طوائف أهل الأهواء ، وأعظمهم شركاً ، فلا يوجد في أهل الأهواء أكذب منهم ، ولا أبعد عن التوحيد ، حتى إنهم يخربون مساجد الله التي يذكر فيها إسمه، فيعطلونها عن الجمعة والجماعات ، ويعمرون المشاهد التي أقيمت على القبور التي نهى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عن اتخاذها". وأضاف :"الرافضة أمة مخذولة ليس لها عقل صريح ، ولا نقل صحيح ، ولا دين

مقبول ، ولا دنيا منصورة" .[١٢] ولم يكتف بذلك وانما حاول أن يلقي بظلاله على المستقبل أيضا فقال:"إذا صار لليهود دولةٌ بالعراق وغيره، تكون الرّافضة من أعظم أعوانهم، فهم دائماً يوالون الكفّار من المشركين واليهود والنّصارى، ويعاونونهم على قتال المسلمين ومعاداتهم".[١٣] ومع أنه كان يتنبأ بالغيب انطلاقا من أحقاد وأوهام طائفية كذبها التاريخ والواقع، الا أن "الوهابية" استلهموا أقواله وكأنها وحي منزل ونظروا الى الشيعة المعاصرين نظرة نمطية جامدة أيديولوجية تاريخية واحدة ولم يفرقوا بين الخاصة والعامة ولا بين المعتدلين والمتطرفين الغلاة، ولا بين جيل وآخر، ولا بين الفرق البائدة والمعاصرة، وأطلقوا اسم فريق منهم "الروافض" على جميع "الشيعة" واتخذوا منهم موقفا سلبيا شديدا، وبالغوا في العداء لهم أكثر من العداء لليهود والنصارى. وقد انعكس ذلك التطرف في كتابات محمود شكري الآلوسي الذي كتب عدة كتب ضد الشيعة ككتاب "السيوف المشرقة على مختصر الصواعق المحرقة" و "صب العذاب على من سب الأصحاب". ولكن السلفية لم يكونوا جميعا ودائما على موقف واحد وانما كانوا يتفاوتون في عدائهم للشيعة والتشيع، وربما كان القيادي في حركة الاخوان المسلمين محمد أحمد الراشد (ولد ١٩٣٨) أكثرهم اعتدالا. وفي الحقيقة ان الاخوان

---

[١٢] – ابن تيمية ، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، ص ٣٩١ و ص٤٣٩

[١٣] – ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج ٢ ، ص ٢٠٨

المسلمين في العراق رغم تأثرهم بالتيار السلفي وتتلمذهم على رجال مثل عبد الكريم الصاعقة، الا انهم وبسبب مشروعهم بإعادة الخلافة الاسلامية واهتمامهم بمقاومة المد الشيوعي والتيارات المعادية للاسلام، وخاصة في الأربعينات والخمسينات والستينات من القرن العشرين، فقد انتهجوا سياسة وحدوية واصلاحية وانفتحوا على الشيعة ، أو كما يقول بعض السلفيين (كعبد العزيز بن صالح المحمود): "نسوا قضية التشيع، ونشرت مجلتهم (لواء الأخوة) سنة ١٩٥٩ خبرا عن لقاء تاريخي بين شيخي الاسلام السيد محسن الحكيم والعلامة أمجد الزهاوي، وكان الزهاوي يرى أن المجتمع العراقي شرع بالانحراف عن الإسلام بالكلية من قبل السنة والشيعة، لذا فإن فتح مسألة التشيع لا معنى لها في الوقت الحاضر". [١٤]

وفي خضم الأجواء الثقافية العلمانية التي سادت في العراق في أيام مد الحزب الشيوعي وحزب البعث وغيرهما من الأحزاب الليبرالية والوطنية والديموقراطية والتي كانت تضم شبانا من الشيعة والسنة، ذاب المجتمع العراقي بعضه ببعض ولم يعد يعرف المواطن العادي الشيعي أو السني الفروق النظرية

---

[١٤] – عبد العزيز بن صالح المحمود "جهود علماء العراق في الرد على الشيعة" الحلقة السابعة، موقع الراصد، على العنوان التالي:
http://www.alrased.net/site/topics/view/880

التاريخية الدقيقة بين الشيعة والسنة، وحصل تزاوج كبير بين الفريقين، ولكن مع عودة الروح للتيارات الدينية الاسلامية (السنية والشيعية) في العقود الأخيرة، عاد الشعور بالتمايز والتنافس، وقامت الحركات السلفية بتعميق ذلك الشعور وتأجيج الصراع بين الطرفين.

وبعد أن كانت السلفية ظاهرة فردية في نشأتها في العراق تقتصر على بضعة تلامذة لبعض المشايخ في العقود الأولى والوسطى من القرن العشرين، تحولت الى ظاهرة منظمة وواسعة في السبعينات، وذلك في ظل ملاحقة نظام البعث للحركات الاسلامية السياسية المعارضة، الشيعية (كحزب الدعوة) والسنية (كحزب التحرير والاخوان المسلمين) ولم يلتفت النظام البعثي الى نشاط الحركات السلفية حتى عام ١٩٧٩ عندما اكتشف شبكة سلفية منظمة في الموصل وبغداد والبصرة بقيادة إبراهيم المشهداني، ولكنه لم يجد لديها أي برنامج سياسي أو توجهات انقلابية ولا طموح بتكوين دولة اسلامية، فأطلق عليهم (جماعة الموحدين) لاهتمامهم بالتوحيد والعقيدة ومؤلفات محمد بن عبد الوهاب، وحكم عليهم بعقوبات سجن مخففة تتراوح بين سنة وخمس سنوات بتهمة إنشاء جمعية غير مرخصة. ولكن تلك الاعتقالات لم توقف النشاط السلفي بل انه ازداد مع بداية الحرب العراقية الايرانية (١٩٨٠-١٩٨٨)، التي أيدوها بقوة بحجة محاربة الفكر الشيعي وإيقاف زحف ثورة الخميني، حيث وجد صدام حسين فيهم سندا قويا في مواجهة الشيعة وايران، فأطلق لهم العنان. ولكن صدام عاد الى التضييق عليهم عندما غزا الكويت في آب ١٩٩٠ فقام باعتقال السلفيين وأعدم مجموعة منهم ، كما قام بحملة

إعلامية ضد السعودية والوهابية. وأطلق العنان لنائبه عزة الدوري لدعم الطرق الصوفية وخاصة النقشبندية.

وفي التسعينات تأثر السلفيون العراقيون بأفكار ونظريات عصام المقدسي، وظهرت الاختلافات فيما بينهم حول الموقف من الحكام ، فانقسموا الى سلفية مرجئة وسلفية تكفيرية، كما اختلفوا حول تكفير الشيعة وهل هم كفار أصليون أم مرتدون؟ ومن منهم غير كافر؟ وانتشر الفكر السلفي الجهادي في جميع المحافظات العراقية، خصوصا بعد قيام تنظيم القاعدة بهجوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١ . [١٥]

ونتيجة لتأثر السلفيين العراقيين بأفكار المقدسي اتخذوا مواقف سلبية جدا من الديموقراطية فنشر أحد السلفيين وهو "أبوالفضل العراقي" بيانا حول "معالم الطائفة المنصورة في بلاد الرافدين" [١٦] جاء فيه:"أن الحكم والتشريع من خصائص الله وحده ... وان كل من رد أمرا إلى غير حكم الله وحكم بغير ما انزل الله اتبع تشريعا حادثا لم يأذن به الله فهو كافر خارج عن ملة الإسلام متبع حكم الجاهلية".(فقرة ٥) و"أن الحاكم بغير ما أنزل الله وطائفته المبدلين للشريعة هم كفار مرتدون والخروج عليهم بالسلاح والقوة

---

[١٥] – عبد العزيز بن صالح المحمود "جهود علماء العراق في الرد على الشيعة" الحلقة السابعة، موقع الراصد، على العنوان التالي:
http://www.alrased.net/site/topics/view/880

[١٦] – منبر التوحيد والجهاد، http://www.almaqdese.com و http://www.tawhed.ws

فرض عين على كل مسلم". (فقرة ١٩) و" أن العلمانية على اختلاف راياتها ومسمياتها وأحزابها هي كفر بواح مخرج من الملة، فمن اعتقدها أو دعا إليها أو ناصرها أو حكم بها فهو كافر مشرك مهما تسمى بالإسلام وزعم أنه من المسلمين". (فقرة ٢٠) و"أن الديمقراطية فتنة العصر تكرس ألوهية المخلوق وحاكميته وترد له خاصية الحكم والتشريع من دون الله، فهي كفر أكبر مخرج من الملة فمن اعتقدها بمفهومها هذا أو دعا إليها أو ناصرها أو حكم بها فهو مرتد مهما انتسب إلى الإسلام وزعم أنه من المسلمين". (فقرة ٢١) و" أن أي طائفة من الناس اجتمعوا على مبدأ غير الإسلام هي طائفة ردة وكفر كالأحزاب القومية والوطنية والشيوعية والبعثية والاشتراكية".(فقرة ٢٢) و"أن الجماعات الإسلامية التي تدخل الانتخابات والمجالس التشريعية هي جماعات بدعية نبرأ إلى الله من أفعالها". (فقرة ٢٨) و" نبرأ إلى الله من ضلالات الخبثاء أهل التجهم والإرجاء بطانة الطواغيت المرتدين وعينهم الحارسة على أمنهم وسلامتهم ونحذر منهم ومن غيهم وإفسادهم وإضلالهم". (فقرة ٣٠) و"نؤمن أن الجهاد في سبيل الله هو الطريق الشرعي الصحيح الذي يمكن الأمة من استئناف حياة إسلامية وقيام خلافة راشدة على منهاج النبوة". (فقرة ٣٥) و"أن من ظاهر المشركين على المسلمين بأي نوع من أنواع المظاهرة أنه كافر كفرا أكبر". (فقرة ١٨) واتخذ أبو الفضل العراقي أيضا موقفا سلبيا من عامة الشيعة فقال:"أن الشيعة الروافض طائفة كفر وردة وهم شر الخلق تحت أديم السماء".(فقرة٢٣)

أميركا والشيعة والديموقراطية

إذن فقد أصبح للسلفية الوهابية المقدسية عدوان رئيسيان في العراق هما الديموقراطية والشيعة، وقد أضيف لهما عدو ثالث هو الاحتلال الأميركي، وقد اجتمع هؤلاء الأعداء في نظر السلفية في جبهة واحدة باحتلال أميركا للعراق في ٢٠٠٣/٣/٩ ودعوتها لإقامة نظام ديموقراطي، وسيطرة الشيعة على ذلك النظام. ورغم الدور السعودي والخليجي الوهابي السافر بدعم احتلال العراق وتقديم قواعد للطيران وممرات أرضية (عرعر والكويت) الا ان السلفية صبت جام غضبها على الشيعة العراقيين المغلوبين على أمرهم واتهمتهم بموالاة الاحتلال، بينما لم تتحدث عن النظام الصدامي الذي هرب من المواجهة العسكرية وترك الشعب الأعزل لقمة سائغة بيد الاحتلال.

وراحت السلفية تستعيد ذكريات التاريخ وتتحدث عن خيانة ابن العلقمي للدولة العباسية في مواجهة المغول، كما استعادت مواقع وهابية سعودية ك"مفكرة الاسلام" تراث العثمانيين ضد الصفويين وفتاوى التكفير التي أطلقها "مشايخ الاسلام" ضد الشيعة أيام الحرب بين الطرفين، ونشرت فتاوى لكبار علماء السعودية كابن عثيمن وابن جبرين في تكفير الشيعة "الروافض" على حد زعمهم.[١٧]

---

[١٧] – الرافضة٢٠%الشيعة/ http://www.islammemo.cc/search.aspx

ومن المعروف ان نظام صدام حسين قد انهار بصورة مفاجئة، بعد ثلاثة أسابيع من الحرب، ولجأ الى مخابيء سرية كان أعدها من قبل ليدير شبكات مقاومة خاصة بعثية مزودة بالمال والسلاح. وقد ابتدأت تلك الشبكات بالقيام بعمليات مقاومة ضد القوات الأميركية المحتلة، كما ابتدأت بعض المجموعات المستقلة الاسلامية والوطنية، السنية والشيعية، بالقيام بعمليات مقاومة، ولكن الخوف من عودة النظام البعثي الديكتاتوري مرة أخرى الى الحكم، سواء بالانتصار على القوات المحتلة أو بالتفاوض معها، دفع قطاعات كبيرة من الشعب العراقي من العرب والأكراد والسنة والشيعة الى ترجيح المقاومة السلمية وبناء العراق الجديد على أسس ديموقراطية وانتخاب قيادة وطنية تفاوض المحتل على الرحيل، أو مواجهته عبر اللجوء الى المقاومة الشعبية. وقد شجع تلك القطاعات على اختيار الحل السياسي أولاً رفع المحتل لشعار الديموقراطية وإعلانه احترام الإرادة الشعبية إضافة الى تلويح بعض فصائل المقاومة بالعمل من أجل إعادة نظام البعث أو الديكتاتورية.[١٨] وهذا ما حدث عندما رضخ المحتل لفتوى المرجع الشيعي السيد علي

---

[١٨] – اعترف الدكتور صلاح الدين الأيوبي، الناطق الرسمي لجيش رجال الطريقة النقشنبدية، في حوار مع أعضاء شبكة حنين بتاريخ ٢٠٠٩/٨/٢٦، بعلاقة جيشه بنظام صدام سياسيا وعسكريا وعقائديا، والولاء له باعتباره السلطة الشرعية ، **وبانضمام كثير من البعثيين وفدائيي صدام وضباط ومراتب وخبراء الجيش العراقي السابق في الجيش النقشبندي، وبالعمل من أجل إعادة البعث لحكم العراق.**
http://hanein.info/vbx/showthread.php?t=90321

السيستاني الذي طالب فيها بإجراء انتخابات حرة ونزيهة لاختيار مجلس تأسيسي يصوغ الدستور بإرادة عراقية ثم إجراء انتخابات برلمانية لاختيار رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء.

وعبرت تلك الفتوى عن تطور كبير وجوهري في الفكر السياسي الشيعي، وتجاوز لنظرية الإمامة الإلهية التي كان يعتقد بها الشيعة من قبل والتي تشترط العصمة والنص من الله في الإمام وتسلسل الإمامة في السلالة العلوية الحسينية، وشكلت تلك الفتوى خطوة الى الأمام حتى بالنسبة لنظام الجمهورية الاسلامية الايرانية الذي خضع لقيادة الفقهاء الشيعة، حيث لم يشترط السيستاني خضوع النظام العراقي الجديد لولاية الفقيه. وقد حل بذلك العقدة التاريخية المزمنة بين الشيعة والسنة والتي كانت تدور حول طبيعة النظام السياسي وضرورة انتخاب الحاكم عبر الشورى أو بواسطة التعيين من الإمام السابق أو من قبل النبي الأكرم (ص). وكان من المتوقع أن ينصهر الشعب العراقي بسنته وشيعته وعربه وأكراده وتركمانه وسائر أقلياته في نظام ديموقراطي جديد يوفر العدالة والمساواة للجميع، ويقضي على الخلافات التاريخية العقيمة التي تفرق بين المسلمين.

ولكن الخيار الديموقراطي لم يعجب الحركة السلفية التي ترفض الديموقراطية مبدئيا ولا تحترم إرادة الشعب العراقي "الكافر والمرتد" في نظرها، وتطمح الى إقامة نظام حكم ديكتاتوري باسم الاسلام وإعادة الخلافة، وتعتمد القوة والعنف سبيلا وحيدا لتحقيق أهدافها. وهنا التقت مصالح حزب البعث من جهة، والجماعات السلفية بقيادة الزرقاوي من جهة أخرى، ووضعوا خطة

مشتركة لمهاجمة الجماهير العراقية (الشيعية) والحكومة العراقية أكثر من مهاجمة القوات الأميركية المحتلة، من أجل إفشال العملية السياسية واسقاط النظام الجديد.[١٩]

وكان أبو مصعب الزرقاوي قد انتقل الى العراق بعد سقوط أفغانستان، ووجد بعد سقوط صدام الجو مناسبا لتنفيذ مشروعه بإقامة "دولة اسلامية" عبر احتلال العراق بالقوة باسم تحريره من الاحتلال الأميركي، وقال الزرقاوي لزميل له في قيادة مجموعة "التوحيد والجهاد" الأردنية: محمد أبو المنتصر:"إن أهم الأهداف التي نسعى اليها نشر دعوة التوحيد. والتوحيد يعني: نظام الحاكمية في الاسلام والذي يُعتبر أخص خصائص توحيد الألوهية، فدعوة التوحيد التي نسعي لنشرها هي المطالبة بتحكيم شرع الله والكفر بالأنظمة والقوانين والدساتير والشرائع الوضعية، سواء كانت أنظمة ديمقراطية أو غير

---

[١٩] – قام الزرقاوي بتنفيذ عدة اعتداءات دموية ضد الجماهير الشيعية ، ومن أبرزها: تفجير السيد محمد باقر الحكيم مع ثمانين شخصا بعد صلاة الجمعة في مرقد الامام علي بتاريخ ٢٠٠٣/٨/٢٨، والاعتداء بالسيارات المفخخة في كربلاء بتاريخ ٢٠٠٣/١٢/٢٧ راح ضحيتها ١٩ قتيلا و ٢٠٠ جريحا، وتفجير الزوار الشيعة في كربلاء وأحد مساجد بغداد في ذكرى عاشوراء بتاريخ ٢٠٠٤/٣/٢ أدت الى مقتل ١٧٠ شخصا واصابة ٥٥٠ والقيام بعملية انتحارية أمام مبان ادارية في الحلة بتاريخ ٢٠٠٥/١/٢٨ أدت الى مقتل ١١٨ شخصا وجرح ١٤٧ ، وكذلك القيام بعملية انتحارية ضد العمال الشيعة في الكاظمية بتاريخ ٢٠٠٥/٩/١٥ أدت الى مقتل١٢٣ وجرح ٢٢٣ مواطنا في محاولة لإشعال فتنة طائفية، ندد بها زعماء السنة.

ديمقراطية. لدينا مجموعة من الرسائل الشرعية الخاصة بدعوتنا، ويجب علينا أن ننشط في هذه الدعوة للحيلولة دون مشاركة الناس في الانتخابات النيابية القادمة".[٢٠]

وكان موقف الزرقاوي من الانتخابات والديموقراطية مخالفا لغالبية الشعب العراقي من الشيعة والسنة والأكراد، وحتى من بعض السلفيين الذين لم يجدوا بأسا من المشاركة فيها بناء على فتاوى سابقة أصدرها استثنائيا الشيخ عبد العزيز بن باز مفتي المملكة العربية السعودية والشيخ ابن عثيمين وغيرهما من علماء المملكة، للسلفيين في الكويت والجزائر واليمن للمشاركة في الحياة الديموقراطية. [٢١]

الزرقاوي: الدستور والانتخابات من أعظم ما يناقض الاسلام

عندما تقررت الانتخابات الدستورية في العراق في أيام رئيس الوزراء العراقي المؤقت إياد علاوي، أصدر ٣٥٠ شخصية سنية عراقية بينهم بعض السلفيين بيانا دعوا طائفتهم الى المشاركة بكثافة في الانتخابات المقبلة، فرد

---

[٢٠] – فؤاد حسين ٢٠٠٥ :" الزرقاوي .. الجيل الثاني للقاعدة " عن شهادة بقلم محمد أبو المنتصر ، **دار الخيال للطباعة والنشر، القاهرة**

[٢١] – موقع ابن عثمين http://www.ibnothaimeen.com/all/soun...le_16230.shtml

الزرقاوي ببيان رافض للانتخابات، واصفا إياها بأنها "لعبة أميركية" ومتوعدا بمواصلة "الجهاد". وجاء في البيان الذي نشره موقع إسلامي على الانترنت "إخوانكم في تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين ماضون في جهادهم حتى ترفرف راية التوحيد في سماء الرافدين." وأضاف: "إننا أعداء الديمقراطية وأعداء كل من يدعون إليها، ولن نرضى بحكم غير حكم الله وحكم رسوله. فنحن أتباع محمد لا أتباع بوش أو علاوي". ووجه خطابا الى أئمة وخطباء المساجد في بلاد الرافدين، قائلا: إعلموا أنكم مسؤولون أمام الله تعالى عن كل كلمة تتفوهون بها" بشأن الاستفتاء على الدستور. وأوضح: "نعلن نحن تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين أننا سنقيم حد الردة في كل من يدعو إلى كتابة الدستور والتحاكم إلى غير شرع الله تعالى".[٢٢]

ثم شرح الزرقاوي رأيه الرافض للديموقراطية، في كلمة نشرها موقع "منبر التوحيد والجهاد" التابع لاستاذه المقدسي. ونظراً لأهميتها في توضيح منطلقاته سنورد مقتطفات واسعة منها، فقد جاء فيها ما يلي:"لعب الأمريكان بعقول كثير من الشعوب بأكذوبة؛ "الديمقراطية المتحضرة"، وأوهموها أن سعادتها ورفاهيتها مرهونة بهذا المنهج البشري القاصر. وبعدها بررت إدارة الكفر

---

[٢٢] – وكالات أنباء، صحيفة الرياض، بتاريخ ٢٠٠٥/٨/٢٦

http://www.alriyadh.com/2005/08/14/article87411.print

الأمريكية حربها على العراق وأفغانستان؛ بأنها حامية الديمقراطية في العالم وراعيتها الأولى.

وعلى أرض العراق أُنشأت "الحكومة العلاوية" لهذا الغرض؛ أي لغرض التلبيس والتدجيل على عقول العراقيين والعالم، وللإيهام بأن الولايات المتحدة جادة في إقامة وطن عراقي مستقل وديمقراطي، فتستُر بذلك أهدافها ومراميها الصليبية في المنطقة في التمكين لدولة اسرائيل الكبرى، وتخفي أطماعها ونواياها تجاه ثروات العراق وخيراته.

وإن من أعظم ما حرص الإسلام على بقاء صفائه ونقائه وتميزه؛ هو شخصية هذا الدين، وقبوله كما أنزل بأوامره وزواجره وحدوده وقواعده، بعيداً عن التمييع والتشويه، والغلو والإفراط والتفريط، وهذا ما جاء مؤكداً في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

جاءت الديمقراطية لتقول لنا؛

إن الشعب في النظام الديمقراطي هو الحكم والمرجع، وله كلمة الفصل والبت في كل القضايا، فحقيقته في هذا النظام تقول؛ "لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، له الحكم وإليه يرجعون، إرادته مقدسة، واختياره ملزم، وآراؤه مقدمة محترمة، وحكمه حكمة عدل، من رفعه رفع، ومن وضعه وضع، فما أحله الشعب هو الحلال، وما حرمه هو الحرام، وما رضيه قانوناً ونظاماً وشريعة

فهو المعتبر، وما عداه فلا حرمة له ولا قيمة ولا وزن، وإن كان ديناً قويماً وشرعاً حكيماً من عند رب العالمين**!**"

وهذا الشعار – أعني حكم الشعب للشعب – هو لب النظام الديمقراطي وجوهره ومحوره وقطب رحاه الذي تدور عليه كل قضاياه ومسائله، فلا وجود له إلا بذلك**.** فهذا هو "دين الديمقراطية"، الذي يُبجل ويُعظم جهاراً نهاراً، وهذا ما يقرره منظروها ومفكروها ودعاتها على رؤوس الأشهاد، وهو ما نشاهده ونلمسه في الواقع الذي نراه ونعاينه**.** فالديمقراطية – على اختلاف تشعباتها وتفسيراتها – تقوم على مبادئ وأسس نوجز أهمها في النقاط التالية**:**

أولاً :

تقوم الديمقراطية على مبدأ أن الشعب هو مصدر السلطات، بما في ذلك "السلطة التشريعية"، ويتم ذلك عن طريق اختيار ممثلين عن الشعب ينوبون عنه في مهمة التشريع وسن القوانين، وبعبارة أخرى؛ فإن المشرع المطاع في الديمقراطية هو الإنسان وليس الله، وهذا يعني أن المألوه المعبود المطاع من جهة التشريع والتحليل والتحريم هو الشعب والإنسان والمخلوق، وليس الله تعالى**.** وهذا عين الكفر والشرك والضلال، لمناقضته لأصول الدين والتوحيد، ولتضمنه إشراك الإنسان الضعيف الجاهل مع الله سبحانه وتعالى في أخص خصائص إلاهيته، ألا وهو الحكم والتشريع**.**

قال تعالى: (إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه)، وقال تعالى: (ولا يشرك في حكمه أحداً). وقال تعالى: (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله)، وليس إلى الشعب أو الجماهير أو الكثرة الكاثرة. وقال تعالى: (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون)، وقال تعالى: (قل أفغير الله أبتغي حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً). وقال تعالى: (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله)؛ فسمى الذين يشرعون للناس بغير سلطان من الله تعالى "شركاء" و "أندادا." وقال تعالى: (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهوائهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك)، وقال تعالى: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله).

جاء في الحديث عن عدي بن حاتم، لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم – وهو نصراني – فسمعه يقرأ هذه الآية: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله)، قال: فقلت له: (إنا لسنا نعبدهم) – أي لم نكن نعبدهم من جهة التنسك والدعاء والسجود والركوع، لظنه أن العبادة محصورة في هذه المعاني وحسب – قال: (أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلون؟)، قال: فقلت: (بلى)، قال: (فتلك عبادتهم). ورحم الله سيّد قطب إذ يقول: (إن الناس في جميع الأنظمة الأرضية يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، يقع في أرقى الديمقراطيات، كما يقع في أحط الديكتاتوريات، سواء). وقال: (أظهر خصائص الألوهية بالقياس إلى البشرية؛

تعبيد العبيد، والتشريع لهم في حياتهم، وإقامة الموازين لهم، فمن ادعى لنفسه شيئاً من هذا كله؛ فقد ادعى لنفسه أظهر خصائص الألوهية، وأقام نفسه للناس إلهاً من دون الله). وقال: (إن الذي يملك حق التحريم والتحليل هو الله وحده، وليس ذلك لأحد من البشر، لا فرد ولا طبقة، ولا أمة، ولا الناس أجمعين إلا بسلطان من الله ووفق شريعة الله) انتهى كلامه.

ثانياً :

تقوم الديمقراطية على مبدأ حرية التدين والاعتقاد، فللمرء في ظل الأنظمة الديمقراطية أن يعتقد ما يشاء، ويتدين بالدين الذي يشاء، ويرتد إلى أي دين وقتما شاء، وإن كان هذا الارتداد مؤداه إلى الخروج عن دين الله تعالى، إلى الإلحاد وعبادة غير الله عز وجل.

وهذا أمر لا شك في بطلانه وفساده، ومغايرته لكثير من النصوص الشرعية، إذ أن المسلم لو ارتد عن دينه إلى الكفر، فحكمه في الإسلام؛ القتل، كما في الحديث الذي يرويه البخاري وغيره: (من بدل دينه فاقتلوه)، وليس "فاتركوه!" فالمرتد لا يصح أن يعقد له عهد ولا أمان ولا جوار، وليس له في دين الله إلا؛ الاستتابة أو السيف.

ثالثاً:

تقوم الديمقراطية على اعتبار الشعب حكماً أوحد، تُرد إليه الحكومات والخصومات، فإذا حصل أي اختلاف أو نزاع بين الحاكم والمحكوم؛ نجد أن كلاً من الطرفين يهدد الآخر بالرجوع إلى إرادة الشعب وإلى اختياره، ليفصل الشعب ما كان بينهما من نزاع أو اختلاف. وهذا مغاير ومناقض لأصول التوحيد، التي تقرر أن الحَكَم الذي يفصل بقضائه بين النزاعات هو الله تعالى، وليس أحد سواه، قال تعالى: (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله). بينما الديمقراطية تقول؛ "وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الشعب، وليس إلى أحد غير الشعب!"

وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر). قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه "إعلام الموقعين": (جعل هذا الرد من موجبات الإيمان ولوازمه، فإذا انتفى هذا الرد، انتفى الإيمان، ضرورة انتفاء الملزوم لانتفاء الآخر) انتهى كلامه.

ثم إن إرادة التحاكم إلى الشعب أو إلى أي جهة أخرى – غير الله تعالى – يعتبر في نظر الشرع من التحاكم إلى الطاغوت الذي يجب الكفر به، كما قال تعالى: (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به)، فجعل الله سبحانه وتعالى إيمانهم زعماً ومجرد ادّعاء لا حقيقة له، لمجرد حصول الإرادة

في التحاكم إلى الطاغوت وإلى شرائعه. وكل شرع غير شرع الله، أو حكم لا يحكم بما أنزل الله؛ فهو يدخل في معنى الطاغوت الذي يجب الكفر به.

رابعاً :

تقوم الديمقراطية على مبدأ حرية التعبير والإفصاح، أياً كان هذا التعبير، ولو كان مفاده طعناً وسباً للذات الإلهية وشعائر الدين، إذ لا يوجد في الديمقراطية شيء مقدس يحرم الخوض فيه أو التطاول عليه بقبيح القول. قال تعالى: (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظُلم)، وقال تعالى: (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة).

خامساً :

تقوم الديمقراطية على مبدأ؛ فصل الدين عن الدولة وعن السياسة والحياة، فما لله لله – وهو فقط العبادة في الصوامع والزوايا – وما سوى ذلك من مرافق الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، فهي من خصوصيات الشعب. (فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون).

وهذا القول منهم؛ معلوم من ديننا بالضرورة فساده وبطلانه وكفر القائل به، لتضمنه الجحود الصريح، كما هو معلوم من الدين بالضرورة، فهو جحود صريح لبعض الدين الذي نص على أن الإسلام دين دولة وسياسة، وحكم وتشريع، وأنه أوسع بكثير من أن يُحصر في المناسك، أو بين جدران المعابد.

وهذا مما لاشك فيه أنه كفر بواح بدين الله تعالى، كما قال تعالى: {أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب}، وقال تعالى: {ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً اليماً}.

سادساً :

تقوم الديمقراطية على مبدأ حرية تشكيل التجمعات والأحزاب السياسية وغيرها، أياً كانت عقيدة وأفكار وأخلاقيات هذه الأحزاب.

وهذا مبدأ باطل شرعاً، وذلك من أوجه:

منها؛ أنه يتضمن الإقرار والاعتراف – طوعاً من غير إكراه – بشرعية الأحزاب والجماعات، بكل اتجاهاتها الكفرية والشركية، وأن لها الحق في الوجود، وفي نشر باطلها وفسادها وكفرها في البلاد وبين العباد. وهذا مناقض لكثير من النصوص الشرعية، التي تُثبت أن الأصل في التعامل مع المنكر

والكفر؛ إنكاره وتغييره، وليس إقراره والاعتراف بشرعيته، قال تعالى: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله). قال ابن تيمية رحمه الله: (فكل طائفة ممتنعة عن التزام شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة؛ يجب جهادها حتى يكون الدين كله لله بإتفاق العلماء) انتهى كلامه رحمه الله.

ومنها؛ أن هذ الاعتراف الطوعي بشرعية الأحزاب الكافرة يتضمن الرضى بالكفر، وإن لم يصرح بفمه أنه يرضى بحريتها، والرضى بالكفر؛ كفر.

قال تعالى: (وقد نزّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويُستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا).

ومنها؛ أن من لوازم الاعتراف بهذا المبدأ؛ السماح للأحزاب الباطلة - بكل اتجاهتها - بأن تبث كفرها وباطلها، وأن تغرق المجتمع بجميع صنوف الفساد والفتن والأهواء، فنعينهم بذلك على هلاك ودمار البلاد والعباد.

سابعاً:

تقوم الديمقراطية على مبدأ اعتبار موقف الأكثرية، وتبَنّي ما تجتمع عليه الأكثرية، ولو اجتمعت على الباطل والضلال والكفر البواح، فالحق في نظر الديمقراطية - الذي لا يجوز الاستدراك أو التعقيب عليه - هو ما تقرره الأكثرية وتجتمع عليه، لا غير.

وهذا مبدأ باطل لا يصح على إطلاقه، حيث إن الحق في نظر الإسلام هو ما يوافق الكتاب والسنة، قل أنصاره أو كثروا، وما يخالف الكتاب والسنة؛ فهو الباطل، ولو اجتمعت عليه أهل الأرض قاطبة.

قال تعالى: (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون). وقال تعالى: (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون)، فدلت الآية الكريمة؛ أن طاعة واتباع أكثر من في الأرض ضلال عن سبيل الله تعالى، لأن الأكثرية على ضلال، ولا يؤمنون بالله إلا وهو يشركون معه آلهة أخرى. وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لعمر بن ميمون: (جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة، والجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك). وقال الحسن البصري: (فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقي، الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم، فكونوا كذلك

ومما يلفت النظر ويشتد له العجب... أنه رغم ما جرّت التجارب الديمقراطية على المسلمين من نتائج سيئة ووخيمة، أفضت إلى الضعف والاختلاف والتفرق والشقاق والنزاع، حيث الجماعة أصبحت جماعات، والحزب أصبح أحزاب، والحركة أصبحت حركات متنافرة متباغضة.

رغم كل ذلك وغير ذلك مما يشين؛ فإن أقواماً لا يزالون يستعذبون الديمقراطية وينافحون عنها، كأنهم أربابها وصانعيها، أُشربوا في قلوبهم حب الديمقراطية كما أُشرب بنو إسرائيل من قبل في قلوبهم حب العجل، فما نفعهم سمعهم؛ فردعتهم الآيات القرآنية والنصوص الشرعية، ولا نفعتهم عقولهم وأبصارهم؛ فبصرتهم بالواقع المرير الناتج عن تطبيق الديمقراطية.

وتعذر بعضهم بشبهة "المصلحة" و "الوصولية للقرار والسيادة عن طريق الديمقراطية"، واتخذوها سبيلاً لنيل المقاصد الشرعية والدينية، ولم يلتفتوا لشرعية هذه الوسائل وأحكامها في دين الله عز وجل، ودخلوا من جحر المساومة والمقايضة على ثوابت العقيدة والمنهج باسم "المصلحة" و "الغاية."

روى الطبري في تفسيره قال: لقي الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، وأمية بن خلف؛ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: (يا محمد! هلم فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد، ونُشركك في أمرنا كله، فإن كان الذي جئت به خيراً مما بأيدينا كنا قد شركناك فيه وأخذنا بحظنا منه، وإن كان الذي بأيدينا خير مما في يديك كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت منا بحظك)، فأنزل الله: (قل يا أيها الكافرون)، حتى انقضت السورة.

إننا نجد في هذه الحادثة؛ أن قريشاً طلبت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتنازل لها، وتتنازل له، حتى يلتقيا حول نقطة واحدة.

وقد يقول قائل :لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وافقهم على ذلك وطلب منهم أن يبدؤوا بعبادة الله أولاً، فإنهم إذا عرفوا الإسلام لن يرجعوا عنه، وفي هذا تحقيق مكسب كبير للإسلام، وتحقيق انتصار، ورفع للبلاء الذي يلاقيه المسلمون.

والجواب؛ أن الله قد حسم هذه القضية: (لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد)، وفي آخرها: (لكم دينكم ولي دين) فالقضية قضية مبدأ، غير قابلة للمساومة، ولا للتنازل قيد أنملة، فهذه مسألة من مسائل العقيدة، بل هي العقيدة نفسها. إن التأمل في هذه القضية، وكيف حسمها القرآن، يعطي من الدروس ما نحن بأمس الحاجة إليه، بل يرسم منهجاً واضحاً جلياً في كيفية مواجهة أساليب كثير من أعداء الإسلام - حاضراً ومستقبلاً - فلو سالمتهم يا أيها المسلم؛ فهم لا يسالمونك إلا بشرط التخلي عن دينك وتدخل في موالاتهم وطاعتهم في منهجهم الديمقراطي الخبيث، وبخاصة إن كانوا هم الطرف الأقوى، وبخاصة إن كانوا هم الطرف القوي في المعركة.

وإن طمعت يوماً أن يرضوا عنك دون أن تتبع ملتهم؛ فأنت واهم.

وعليك بقراءة القرآن من جديد، ومراجعة التاريخ القريب منه والبعيد، لتقرأ صفحات الغدر والحقد والإجرم التي مورست - ولا تزال تُمارس - بحق الإسلام والمسلمين.

فكيف تقبلون يا أيها المسلمون من أهل العراق؛ أن يحكم العدو الصليبي وأذنابه في دمائكم وأبشاركم وفروجكم وأموالكم بشرعة غير شرعة الله الطاهرة، وبدين غير دينه القويم، وأنتم أحفاد سعد بن أبي وقاص، والمثنى، وخالد بن الوليد، والقعقاع، الذين روّوا هذه الأرض بدمائهم؟!

فينبغي لكم أن تتنبهوا لخطة العدو من تطبيق الديمقراطية المزعومة في بلادكم، فما أرادوها إلا لأجل نزع بقية الخير فيكم، فأحكموها على هيئة المصيدة الخبيثة التي ترمي لسيطرة الرافضة على مقاليد الحكم في العراق.

فقد أُدخل أربعة ملايين رافضي من إيران من أجل المشاركة في الانتخابات، ليتحقق لهم ما يصبون إليه من السيطرة على غالبية الكراسي في "المجلس الوثني"، وبذلك يستطيعون أن يشكلوا حكومة أغلبية تسيطر على مفاصل الدولة الرئيسية الاستراتيجية والاقتصادية والأمنية، وتحت لافتة "الحفاظ على الوطن والمواطن"، و "التقدم نحو المشروع الديمقراطي"، و "إزالة أية عوالق من حزب البعث البائد"، و "القضاء على المخربين من فدائيي صدام والإرهابيين"؛ يبدأ الرافضة بتصفية حساباتهم العقدية للقضاء على رموز وكوادر أهل السنة، من علماء ودعاة وأصحاب خبرة، ويرافق ذلك ضخ إعلامي رهيب يزين باطلهم ويخفي حقيقتهم، (وما تخفي صدورهم أكبر) ثم يبدأون بعد ذلك بنشر مذهبهم الخبيث بين الناس، بالمال والحديد، والترغيب والترهيب، ويستفيدون من سيطرتهم على مصادر رزق المسلمين.

فإن نجحوا في مشروعهم هذا؛ فما هي إلا بضع سنوات وتكون بغداد ومناطق أهل السنة قد تشيع أغلبها، ومن وراء ذلك سكوت وخذلان كثير ممن ينتسب إلى العلم – زوراً وبهتاناً – الذين ميعوا عقيدة الولاء والبراء في صدور الناس، وأوهموهم بأن الرافضة إخوان لنا وجيران مودتنا!

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

فوا أسفاه! إن أصبحت بغداد في يوم من الأيام رافضية، فإن بغداد – وإن كانت حُكمت سنين طويلة من حكام مرتدين، ساموا أهلها الذل والهوان – لكنها لم تكن في يوم من الأيام رافضية.

فها هي بغداد والسواد بدأ يعلوها يوماً بعد يوم، وهاهي مظاهر الوثنية والشرك تتبدى فيها عياناً، وأصبحت ترتفع فيها أصوات أهل الرفض بلعن صحابة نبينا عليه الصلاة والسلام، وبسب أمهاتنا زوجات نبينا؛ صباح مساء على منابرهم وفي إذاعاتهم.

ورحم الله الإمام مالك حين قال: (لا يُجلس في أرض يُسب فيها أبوبكر وعمر). عمر الفاروق الذي قال عندما كان أميراً للمؤمنين: (لئن أبقاني الله إلى العام القابل لأدعن نساء العراق لا يحتجن إلى أحد بعدي)، كان يغار على أعراضكم وهو في المدينة المنورة، وهاهم الرافضة اليوم يلعنونه صبح، مساء، بين ظهرانيكم.

أما بقي فيكم غيرة يا أهل العراق؟!

أغادرت مضاربكم الحمية على دين الله؟!

أخنتم أجدادكم يا أحفاد سعد والمثنى وخالد؟!

أرضيتم بالذلة والهوان وبغايا الروم وشُذاذ النصارى وخنازير الرافضة يعبثون بأعراض بنات المسلمين ويتلهون بها؟!

فلهذه الدواعي وغيرها؛ أعلنا الحرب اللدود على هذا المنهج الخبيث، وبيّنّا حكم أصحاب هذه العقيدة الباطلة، والطريقة الخاسرة. فكل من يسعى في قيام هذا المنهج بالمعونة والمساعدة؛ فهو متولٍ له ولأهله، وحكمه؛ حكم الداعين إليه والمظاهرين له. والمرشحون للانتخاب؛ هم أدعياء للربوبية والألوهية، والمنتخبون لهم؛ قد اتخذوهم أرباباً وشركاء من دون الله، وحكمهم في دين الله؛ الكفر والخروج عن الإسلام".[٢٣]

وأعلنت الهيئة الشرعية بتنظيم "القاعدة في بلاد الرافدين" في بيان وزعته على شبكة الانترنت بتاريخ ٢٥ /٧/٢٠٠٥: "ان كتابة الدستور والانتخابات المقبلة في العراق من أعظم ما يناقض الاسلام ويتضاد مع دين الله، وان المشاركة في صوغه كفر بواح وشرك صراح. وحذرت من الناس الذين يلبسون لباس الشرع الاسلامي فأجازوا لأهل السنة الدخول في الانتخابات الشركية.

---

[٢٣] – منبر التوحيد والجهاد ، منهاج السنة ، فرق ومذاهب ، الديمقراطية، الديمقراطية، كلمة لأبو مصعب الزرقاوي، تحت عنوان :"ولتستبين سبيل المجرمين".

وأكد البيان: ان الخروج من هذه الفتن كلها هو الصبر على القتال في سبيل الله وقتل كل طاغوت وتحطيم كل أوثان الكفار من جمعية وطنية او مجالس برلمانية أو مراكز انتخابية شركية أو معابد وثنية حربية. وخاطب البيان أهل السنة في بلاد الرافدين بالقول: فلتحمل أياديكم السويف البتارة لمقاتلة الكفرة من الصليبيين وأعوانهم من الرافضة العلقميين (الشيعة) وخلص الى القول: لن نجد أمامنا من سبيل لاجتثاث جذور الفتنة غير القتال في سبيل الله وليس الدخول تحت خيمة البرلمان وانتخاب الشركاء الذين يحرمون ما أحل الله ويحلون ما حرمه".[٢٤]

وقد نجح الزرقاوي الذي كان يسيطر على بعض المناطق "السنية" في تخفيض معدل الانتخابات في تلك المناطق، ولكن العملية حظيت بنجاح كبير في سائر المناطق، حيث شارك فيها حوالي ثمانية ملايين ناخب عراقي من بين ١٤ مليون مواطن من الناخبين المسجلين، رغم تهديد الزرقاوي بمهاجمة صناديق الاقتراع وقيامه بسلسلة من الهجمات والعمليات الانتحارية التي أوقعت عشرات القتلى والجرحى.

إعلان الحرب على الشيعة

---

[٢٤] – جريدة الوسط: http://www.alwasatnews.com/1055/news/read/480391/1.html

وعندما رأى الزرقاوي فشل جهوده في إيقاف مسيرة بناء العراق الديموقراطي وتزايد احتمالات مشاركة العرب السنة فيها، حاول إشعال حرب طائفية بإعلان الحرب على الشيعة بصورة عامة، وأصدر بيانا بتاريخ ٢٠٠٥/٩/١٣ تحت عنوان **"هذا بيان للناس و لينذروا به"** جاء فيه :" قرر التنظيم اعلان حرب شاملة على الشيعة الروافض في جميع انحاء العراق اينما وجدوا وحيثما حلوا جزاء وفاقا فمنكم كان الابتداء وانتم من بادر بالاعتداء فخذوا حذركم فوالله لن تاخذنا بكم رأفة ولن تنالكم منا رحمة واي طائفة تريد ان تنأى بنفسها عن ضربات المجاهدين فلتبادر وعلى جناح السرعة بالبراءة من حكومة الجعفري وجرائمها والا فهم في الحكم سواء وقد اعذر من انذر".[٢٥]

وجاء موقف الزرقاوي هذا مخالفا لاستراتيجية القاعدة في السعودية، حيث لم يسمح ابن لادن للقاعدة بفتح معركة مع **النظام السعودي الذي اتهمه بالردة والكفر لخيانة الأمة وموالاة الكفار ومناصرتهم ومظاهرتهم على المسلمين، وارتكاب نواقض الاسلام العشرة "وذلك– كما قال ابن لادن – لما لقتال النظام من نتائج وخيمة، من أهمها: استنزاف الطاقات البشرية حيث إن معظم الإصابات والضحايا ستكون من أبناء**

---

[٢٥] – وأصدر الزرقاوي بيانا آخر في ٢٠٠٦/٦/١ دعا فيه السنة الى رفض أي مصالحة مع الشيعة الكفرة في العراق، وقال: يا أهل السنة أفيقوا واستعدوا لدفع سموم الرافضة التي كانت تلدغكم وتسومكم سوء العذاب منذ احتلال العراق والى يومنا هذا، وكفاكم من دعاة شرك الطائفية والوحدة الوطنية.

الشعب المسلم، واستنزاف الطاقات المالية، وتدمير البنية التحتية للدولة، وتفكك المجتمع، وتقسيم بلاد الحرمين" و"أن أي قتال داخلي مهما تكن مبرراته مع وجود قوات الاحتلال الأمريكي يشكل خطأً كبيراً حيث إن هذه القوات ستعمل على حسم المعركة لصالح الكفر العالمي".[٢٦]

وكانت هذه الاستراتيجية مورد خلاف بين الزرقاوي والقاعدة، حيث اشترط الزرقاوي على ابن لادن ان يتقبل اجتهاده في محاربة الشيعة للانضمام للقاعدة ولا يمنعه منها، وكتب في رسالته الى ابن لادن قائلا: " هذه رؤيتنا قد شرحناها، وهذا سبيلنا قد جليناه، فإن وفقتمونا عليه واتخذتموه لكم منهاجا وطريقا واقتنعتم بفكرة قتال طوائف الردة فنحن لكم جند محضرون نعمل تحت رايتكم وننزل على أمركم، بل ونبايعكم علانية على الملأ وفي وسائل الإعلام إغاظة للكفاروإقرارا لعيون أهل التوحيد (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) وإن بدا لكم غير ذلك فنحن إخوة لايفسد الخلاف للود قضية، نتعاون على الخير ونتعاضد على الجهاد، وبانتظار جوابكم حفظكم الله مفاتيح للخير وذخراً للإسلام وأهله . آمين. آمين ". وبالرغم من قبول ابن لادن لعضوية الزرقاوي في تنظيم القاعدة الا أن القيادي الآخر أيمن

---

[٢٦] - **راجع ال**رسالة المفتوحة التي وجهها ابن لادن الى عامة المسلمين وأبناء الجزيرة العربية بالخصوص، سنة ١٩٩٧ وكذلك الرسالة الصوتية التي وجهها عبر قناة الجزيرة يوم عيد الأضحى من سنة ١٤٢٣ المصادف ١١ شباط ٢٠٠٣

الظواهري، رفض سياسة استهداف الشيعة بصورة عامة، وكتب إليه: "يتساءل كثير من المحبين لكم من عوام المسلمين عن سبب مهاجمتكم للشيعة، ويزداد هذا التساؤل حدة إذا كان الهجوم علي مسجد من مساجدهم، ويزداد أكثر إذا كان الهجوم على مرقد الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ورأيي أنك مهما حاولت أن توضح هذا الأمر فلن يتقبله العوام، وسيظل النفور منه قائماً، بل وستدور التساؤلات في أوساط المجاهدين وأهل الرأي فيهم عن صواب هذا الصدام مع الشيعة في هذا الوقت، وهل كان لا بد منه أم كان يمكن تأجيله حتى يقوى عود الحركة المجاهدة في العراق؟ وإذا كانت بعض العمليات ضرورية للدفاع عن النفس فهل كل العمليات كانت ضرورية؟ أم أن بعضها لا داعي له؟ وهل فتح جبهة أخرى إضافية مع جبهة الأمريكان والحكومة يعد قراراً حكيماً؟ أليس ذلك مفيداً للأمريكان ومخففاً للعبء عنهم بانشغال المجاهدين بالشيعة، ويبقي الأمريكان في مأمن .. يديرون الأمور عن بعد؟ وإذا كان الهجوم علي بعض رؤوس الشيعة ضرورياً لإيقاف مخططاتهم، فلماذا الهجوم على عوام الشيعة؟ ألا يؤدي هذا لترسيخ المعتقدات الباطلة في أذهانهم، بينما يجب علينا أن نخاطبهم بالدعوة والبيان والتبليغ لهدايتهم للحق؟ وهل سيستطيع المجاهدون قتل كل الشيعة في العراق ؟ وهل حاولت أية دولة إسلامية في التاريخ ذلك؟ ولماذا يقتل عوام الشيعة مع أنهم معذورون بالجهل؟ وما الخسارة التي كانت ستلحق بنا لو لم نهاجم الشيعة؟ وهل تناسى الإخوة أن لدينا أكثر من مئة أسير ـ كثير منهم من القيادات المطلوبة في بلادهم ـ لدى الإيرانيين؟ وحتى إذا

هاجمنا الشيعة للضرورة لماذا الإعلان عن هذا الأمر وإظهاره مما يضطر الإيرانيين إلى اتخاذ مواقف مضادة؟ وهل تناسى الإخوة أن كلا منا والإيرانيين في حاجة إلى أن يكف كل منا أذاه عن الآخر في هذا الوقت الذي يستهدفنا فيه الأمريكان؟ كل هذه الأسئلة وغيرها تدور بين إخوانك وهم يراقبون الصورة عن بعد كما ذكرت لكم، والمراقب عن بعد تغيب عنه كثير من التفاصيل العامة التي تؤثر على القرار الميداني" .[٢٧] ولكن الزرقاوي أصر على موقفه بأن الرافضة هم الخطر الأكبر على أهل السنة في العراق، وهم أخطر من الأمريكان، فلم تُجدِ تلك الرسائل في ثنيه عن إعلانه الحرب ضد الشيعة.

أما أهل السنة في العراق وخصوصا الجماعات المسلحة المقاتلة في غرب العراق فقد رفضوا دعوة الزرقاوي ووصفوها بالنار الحارقة للسنة والشيعة، وحذر أئمة المساجد السنية من الانجرار الى حرب أهلية، وقال بيان وزع في مساجد الرمادي والموصل وبغداد وقعه (جيش محمد) و (كتائب القعقاع) و (الجيش الاسلامي) و(جيش مجاهدي العراق) و (الناصر صلاح الدين) جاء

[٢٧] - نشر مكتب مدير الاستخبارات الوطنية الأمريكية في ٢٠٠٥/١٠/٧ النص الكامل للرسالة التي تقع في ١٣ صفحة ، والتي تقول قوات الاحتلال الأمريكية إنها عثرت عليها مؤخراً في العراق. وقال المكتب في بيان "لدى الحكومة الأمريكية ثقة كبيرة بصحة هذه الرسالة صحيحة ." راجع: موقع "الاسلام اليوم" على العنوان التالي:
http://islamtoday.net/albasheer/artshow-12-62531.htm

فيه ان "هدف المقاومة وضرباتهم العسكرية هو الاحتلال واعوانه لا غير وما الدعوة الي قتل الشيعة بعامتهم الاّ ناراً تحرق العراقيين سنتهم وشيعتهم" ولفت البيان الى ان "المقاومة هي تنظيمات عسكرية وشعبية عراقية لا ترتبط بأي تشكيلات خارجها وان الهدف الاساس هو تحرير العراق من المحتلين واقامة الحكم الوطني الحر فيه". وشدد البيان على أن "المقاومة لا تستهدف أي عراقي مهما كان انتماؤه المذهبي والعرقي الا اذا ارتبط بالمحتل".

وأصدرت جماعة سلفية معتدلة أطلقت على نفسها اسم "الكتائب السلفية المجاهدة في بلاد الرافدين" بقيادة "ابو الدرداء العراقي" بيانا أدانت فيه "الانحراف العقدي والسلوكي الذي بدأ يدب في أوصال بعض المجاميع المسلحة ، والذي تمثل في تغلغل الغلاة وحاملي فكر الخوارج في صفوف تلك المجاميع مما ادى الى قيامها بالكثير من الاعمال المنافية لشرع الله تعالى من التعدي على دماء المسلمين واموالهم واعراضهم ولتبدأ في بلاد الرافدين تجربة جديدة من قتل لعوام المسلمين بشُبه واهية وللوقوع في اعراضهم ولرمي لعموم المجتمع بالكفر والزندقة وما الى ذلك من اوحال الفكر الخارجي المنحرف الذي ما دخل ساحة للجهاد الا وافسدها". (الحياة ٢٠٠٥/٣/٢٤)

كما ندد بالزرقاوي قادة الجماعة الاسلامية في مصر، وشيخ الأزهر الدكتور سيد طنطاوي الذي استنكر قتل الزرقاوي لسفير مصر في بغداد، وقال في

بيان أصدره بتاريخ ٢٠٠٥/٧/١٤ " أن مرتكبي هذه الجرائم مفسدون و مخربون في الأرض، و ينبغي أن تطبق عليهم العقوبة الشرعية التي حددها الله تعالى تحديدا كاملاً في القرآن الكريم، في إشارة منه إلى ما يعرف فقهاً بـ "حد الحرابة"، المقرر وفق نصوص و أحكام الشريعة الإسلامية لمن تنطبق عليهم صفة " المفسدين في الأرض" . كما لفت بيان الأزهر في هذا السياق أيضاً إلى أن ملاحقة من وصفهم بهؤلاء " المفسدين بكل قوة وشدة وثبات حتى القضاء عليهم، هو أمر واجب شرعا على كل مكلف سواء أكان من الحكام أو من غيرهم"، مشيراً إلى أن " من يتستر على هؤلاء يكون شريكا لهم في جرائمهم".

واضطر أبو محمد المقدسي الى إدانة عنف تلميذه الزرقاوي الطائفي ضد الشيعة، فأصدر بيانا تحت عنوان "الرسالة الثلاثينية في التحذير من الغلو في الكفر". وقال في مقابلة مع قناة "الجزيرة" انه لا يساوي في القتال بين الشيعة والقوات الأميركية، معتبراً ان استباحة دم الشيعة خطأ جسيم، وكذلك تفجير مساجد أهل السنة، باعتبار ذلك فتنة في الأرض. ودعا "المجاهدين" الى "ألا يوجهوا حرابهم ومتفجراتهم الى المسلمين". ونفى المقدسي تبنيه العمل المسلح أو تكفير المجتمع المسلم، قائلاً: " لم أتبن مثل هذه العقيدة، ولا أرى ان المجتمعات في بلاد المسلمين اليوم كافرة، ولا أكفر الناس". كما قال في مقابلة مع صحيفة الحياة بتاريخ ٢٠٠٥/٧/١٠ أنه أرسل رسالة مناصحة الى أبو مصعب يحذر فيها من الوقوع في الغلو في

التكفير، وقال: "تحفظت خلالها عن مسألة قتل المدنيين وضرب الكنائس ومساجد الشيعة". ونفى ان يكون وتياره من دعاة الغلو في التكفير وتكفير الناس بالعموم". وأجاب عن سؤال حول موقفه من تكفير الشيعة قائلا:" راج هذا الموضوع منذ الحرب العراقية – الايرانية، مستنداً بذلك الى فتاوى ومواقف بعض "العلماء" أو بالاصح "المشايخ" التي توافقت مع مواقف الانظمة الحاكمة، أما أنا فلا أكفر عموم الشيعة، وهذا من الاخطاء التي تورط فيها بعض الشباب من الطرفين السنّي والشيعي، وهذه الفتنة الطائفية حذرت منها لأنها تصب في تحويل مسار مقاومة وصراع المحتل وإضعاف الامة الاسلامية، والاستمرار في نهب خيراتها، وهذا ما يتمناه المحتل الاميركي، وانصح اخوتي في المقاومة العراقية ان يمتثلوا لقول الله عز وجل "واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة". [٢٨]

وكان رد فعل المرجع الشيعي السيد علي السيستاني على إعلان الزرقاوي الحرب على الشيعة هو دعوة اتباعه لضبط النفس وعدم الرد على قتلهم حتى لو قتل التكفيريون نصف شيعة العراق حفاظا على الوحدة بين المسلمين وعدم الانجرار لحرب طائفية.

---

[٢٨] – صحيفة الحياة، بتاريخ ٢٠٠٥/٧/٧

وكاد الزرقاوي ينجح في تفجير الحرب الأهلية الطائفية بين السنة والشيعة عندما قام في ٢٠٠٦/٢/٢٣ بتفجير مرقد الامامين العسكريين في سامراء، الذي يحظى باحترام كبير لدى الشيعة ويشكل أهم معالم هويتهم الدينية، مما ولد رد فعل شيعي شعبي غاضب أدى الى مقتل الكثير من السنة والشيعة.

ولم يقتصر عنف الزرقاوي على الشيعة بل اكتسح بعد ذلك أهل السنة وعلماءهم، وخاصة المؤيدين للعملية السياسية كالشيخ إياد العزي والشيخ حمزة العيساوي والشيخ عبد الغفور الراوي وآخرين لم يتورع من اغتيالهم في المساجد السنية، حتى قال رئيس ديوان الوقف السني الشيخ أحمد عبدالغفور السامرائي: "إن الزرقاوي حكم على العراقيين جميعا بالإعدام".[٢٩] وهو ما أثار خلافا بينه وبين الجماعات العراقية المسلحة كـ "الجيش الاسلامي" و"كتائب ثورة العشرين" و "جماعة المجاهدين" و"البعثيين" و"قوات عمورية" التي نددت بأعماله المسيئة للمقاومة العراقية.

ولم ينته العنف الداخلي بين فصائل المقاومة العراقية بمقتل الزرقاوي في ٢٠٠٦/٦/٧ وانما اشتعلت الخلافات أكثر بإعلان خليفة الزرقاوي أبو عمر البغدادي (قتل في ٢٠١٠/٣/١٩) لـ "دولة العراق الاسلامية" بتاريخ ٢٠٠٦/١٠/١٥ ومطالبته جميع الفصائل المسلحة بمبايعته أميرا عليها، وهو

---

[٢٩] - وقال في مقابلة مع قناة العربية يوم الجمعة ٢٠١٠/١١/٥ "إن تنظيم القاعدة اغتال ٣٥٥ عالم دين من موظفي الوقف السني".

ما أدى بالطبع الى رفض تلك الفصائل التي لم تستشر في الأمر، ودخولها في صراع عنيف مع تنظيم القاعدة. ولم تُجدِ دعوة أسامة بن لادن الى مبايعة البغدادي أميرا على دولة العراق الاسلامية. [٣٠] بل تسبب ذلك في نشوء حالة واسعة من التمرد في صفوف أهل السنة وأنصار القاعدة سابقا وتشكل ما أصبح يعرف بـ"الصحوات". وتطور الخلاف فيما بعد ليتخذ صفة الخلاف بين الأشاعرة والصوفية من جهة وبين السلفية، ثم تطور بين الفصائل السلفية المختلفة وبين القاعدة. [٣١]

واستمرت القاعدة أو تنظيم "دولة العراق الاسلامية" بارتكاب المجازر الدموية بحق أبناء الشعب العراقي دون شفقة أو رحمة، أو حساب للمصلحة العامة، وقام بعمليات إرهابية عديدة كان أبرزها ما أطلق عليه" غزوة الأسير" التي هاجم فيها بتاريخ ٢٦ /٢٠٠٩/٨ مقار وزارة الخارجية ووزارة المالية ووزارة الدفاع ومبنى محافظة بغداد، والتي راح فيها مئات الضحايا والجرحى من المواطنين الأبرياء القاطنين في العمارات السكنية المجاورة، وأعلن تبنيه لتلك العمليات ضد "معاقل الكفر وحصون الشرك للحكومة الصفوية المرتدّة" وقال:"إنّنا إذ نعلن مسئوليتنا عن هذه الغزوة المباركة، فإننا نبيّن كما وضّحنا

[٣٠] – في تسجيل صوتي لابن لادن بث في ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٧

[٣١] – لاحظت ذلك في بعض المنتديات المؤيدة للقاعدة والفصائل المسلحة، كموقع أنا الاسلام، والساحات

ذلك مراراً أنّنا إنّما نستهدف أركان هذه الدّولة الخبيثة المنحورة، ومن أعانها ونصرها وثبّت أركانها، أمّا إن كان قد قُتل أو تأذى ممّن عُصمت دمائهم من المسلمين أهل السنّة، لتواجدهم عرضاً في تلك الأماكن، فندعو لمن جرح منهم بالشفاء، ولمن قتل على التّوحيد أن يُبعث شهيداً على نيّته، ونسألهم في الله أن يتجنّبوا المرور والتواجد في هذه الأماكن ما استطاعوا، وإنّنا لن نعطّل جهاد المشركين ومدافعة الكفّار المتعيّنة لأجل من يسقط شهيدا كما قرّر علمائنا . ولئن أبيد أبناء دولة الإسلام عن بكرة أبيهم خيرٌ لهم من أن يحكمهم رافضيٌّ خبيث أو أن تستظلّ بغداد برايات الصفويين يوما واحداً". (مركز الفجر للإعلام)

وقد أصدرت الجبهة الإعلامية الاسلامية العالمية التابعة للقاعدة بيانا بتاريخ ٢٠١٠/١٠/٣١ حول أسباب فشل مشروعها في إقامة ما يسمى بـ "دولة العراق الاسلامية" وألقت اللوم على جميع الفصائل المسلحة المعروفة (**الجيش الإسلامي وجيش المجاهدين والهيئة الشرعية لجماعة الأنصار، وهيئة علماء المسلمين) التي عارضت الدولة، فاتهمتهم بتضارب مصالحهم مع إعلان الدولة الاسلامية وفرض أحكام الشريعة، وغلبة التوجه الوطني – البعثي، والتنافس على المكاسب والمناصب، والردة والغدر والخيانة والعمالة.**[٣٢]

٣٢ – http://aljewar.org/news-28879.aspx

ولكن تنظيم القاعدة لم يتوقف ليحاسب نفسه على أنهار الدماء البريئة التي أسالها من أبناء الشعب العراقي، ومحاولة احتلاله لبلاد الرافدين بالقوة، وإثارة التفرقة والفتنة بين الشيعة والسنة. وليس من المتوقع أن يكتشف أخطاءه بنفسه فهو يغرق في ظلام الجهل والاستبداد والعنف والتكفير والحقد والكراهية، ويسير في خط معاكس للقيم والحضارة وإرادة الشعوب الاسلامية.

أحمد الكاتب

لندن

١/ ذو الحجة ١٤٣١

المصادف ٢٠١٠/١١/٧

المقــدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

شهد العالم الإسلامي ، خلال القرن العشرين ، انفتاحاً كبيراً على الفكر الديموقراطي ، وأقيمت أنظمة برلمانية و انتخابات رئاسية في معظم البلاد الإسلامية ، ما عدا المملكة العربية السعودية التي ظلت تحتفظ بنظام شمولي مطلق يحتكر فيه الملك كل السلطات التشريعية و التنفيذية ، و فشلت في إحداث أي تطور ديموقراطي . و ربما كان لهذا الفشل عوامل عديدة ولكن أهمها قد يكون الفكر السياسي الوهابي الرافض للديموقراطية . و رغم ان علاقة الحركة الوهابية مع النظام السعودي لم تكن على خير ، وكان يشوبها كثير من التوتر و الصراع بحيث كانت تفرز تيارات ثورية راديكالية تطالب أحياناً بقطع رأس النظام ، الا انها كانت

تعيش أزمة فكرية سياسية محيرة تتردد فيها بين التكفير و الخروج أو الإرجاء و الخنوع ، و لا تجد بينهما مخرجاً. وهذا ما دفع بعض حركات المعارضة الوهابية للنظام السعودي كمنظمة (القاعدة) الى اعتماد استراتيجيات بديلة عن عملية الإصلاح الداخلي ، و ذلك بالتوجه للانتقام من الأعداء الخارجيين و تحميلهم كل المسؤولية عن تدهور الأوضاع السياسية الداخلية. ففي حين اعترضت منظمة (القاعدة) على التواجد العسكري الأميركي في بلاد الحرمين الشريفين ، وجهت كل غضبها على "المحتل الأميركي" وتغافلت عن الداعي والطالب للحماية الأميركية ، وهو النظام السعودي. و بدلاً من أن تطالب النظام بطرد القوات الأجنبية ، او تعمل من أجل تغييره سياسياً او تجد وسيلة للمشاركة في القرار السياسي والضغط على الحكومة من أجل تنفيذ سياسات شرعية منسجمة مع الدين الحنيف و المصلحة الوطنية.. بدلاً من ذلك وجدت نفسها مضطرة لخوض المعركة مع العدو الخارجي المحتل ونقل المعركة الى عقر داره.

وكان على زعيم منظمة (القاعدة) أسامة بن لادن أن يحكم على النظام السعودي بالكفر حتى يستطيع أن يخرج عليه ، لأنه لم يجد سبيلاً الى المعارضة السياسية السلمية الشعبية بعد أن أغلق النظام في وجه المعارضة والتغيير كل الأبواب . ولم يستطع الدعوة الى إقامة نظام ديموقراطي أو مجالس شورى حتى يتمكن هو وغيره من التعبير عن رأيه بصراحة وإجبار النظام الحاكم في السعودية على امتثال الحكم الشرعي أو الانقياد لإرادة الرأي العام في البلد ، لأنه لم يكن يؤمن بالخيار الديموقراطي من الأساس أو لأنه كان يرى الطريق الديموقراطي بعيدا وطويلا في ظل هيمنة الفكر السياسي الوهابي في البلاد.

من هنا كان يبدو بوضوح أن الأزمة هي أولاً أزمة الفكر السياسي داخل السعودية ، حيث اعتبر ابن لادن ومؤيدوه – من جهة – النظامَ السعودي "مرتداً وكافراً لأنه يخالف أهم مبدأ من مبادئ التوحيد ويأتي بأكبر ناقض من نواقضه وهو الولاء للكفار" . ومن جهة أخرى اعتبر النظامُ السعودي وأنصارُه من كبار رجال

الدين ، أسامةَ بن لادن وأتباعَه "خوارج ومتمردين ". ولم توجد بينهما لغة للحوار أو وسيلة للتفاهم ، في ظل انعدام الحياة السياسية الطبيعية في المملكة العربية السعودية وعدم وجود مجالس شورى منتخبة أو أحزاب سياسية أو صحافة حرة ، وهو ما دفع و يدفع بأي معارض للنظام للخروج والتمرد والعصيان والكفر التام بالنظام وتكفير أصحابه.

وعلى رغم قوة الانشقاق الذي قامت به المعارضة الراديكالية ، الا انها بدورها لم تقدم نظاماً سياسياً بديلاً عن النظام الاستبدادي المطلق القائم ، ولم تدع الى تطبيق الديموقراطية أو مشاركة الأمة في الحياة السياسية أو تأسيس قنوات دستورية للتعبير عن الرأي الآخر.

ومع ان النظام السعودي قدم خلال العقود الماضية كثيرا من الوعود بإقامة نوع من الديموقراطية ومجالس الشورى ، ولكن تلك الوعود لم تترجم الى واقع ملموس أو مؤسسات دستورية ، ليس بسبب الرغبة السلطانية في الحكم المطلق والاستبداد فقط ، وانما لغياب الفكر الشوري ومعاداة الفكر الوهابي للديموقراطية باعتبارها ديناً إلحادياً غربياً ، وكفراً معادياً للدين الإسلامي ، وشركاً بالله تعالى ، وناقضاً من نواقض التوحيد ، إضافة الى الخوف من عامة السكان و التشكيك بدينهم او اتهامهم بالشرك و الانحراف و الضلال و الفسق و الفجور.

وسعياً من أجل حل هذه الأزمة وجدت من الضروري دراسة وتحليل الفكر السياسي الوهابي ، والغوص عميقا في نظرية "التوحيد" الخاصة ، التي طرحها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وأقام على ضوئها حركته المعروفة التي أفرزت النظام السعودي في مراحله الثلاث ، خلال القرون الثلاثة الماضية.

ان الظاهرة الديكتاتورية موجودة في كل زمان ومكان ، ولكنها تتمتع بخصوصية بارزة في التجربة السعودية ، وترتبط بعلاقة وثيقة بالتفسير الوهابي للدين ، بما يمكننا من القول بوجود ظاهرة خاصة في التجربة الوهابية تتجاوز حدود الديكتاتورية المعروفة في جميع أنحاء العالم ، والتي تتمثل في استبداد الحاكم بالسلطة المطلقة

وإقصاء مختلف طبقات الشعب وفئاته وأحزابه ، إذ أنها تبدأ هنا مع تكفير الحركة للمجتمع ومحاربته واستباحة دمائه وأمواله وإنكار أية حقوق إنسانية أولية له . وإذا كان النظام السعودي الحديث قد خفف من غلواء الفكر الوهابي القديم ، وتخلى عن الكثير من تطرفه ، الا انه لم يستطع التحرر تماما من التركة النفسية المرعبة للروح الوهابية المتشددة ، ولا يزال يتداخل معها ويتأثر بها ويدعمها ويستند الى الكثير من النظريات والمؤسسات والمدارس الوهابية المتطرفة.

ومع ان النظام السعودي عانى ويعاني من تطرف التفسيرات الوهابية وأحكامها المتشددة ضده ، الا انه يخشى ان ينفصل عنها تماما ، خوفا من فقدان القاعدة الاجتماعية والعصبية الحزبية التي تحتضن النظام . وقد استطاع ان يتجنب غضب القاعدة الوهابية عبر ضمان ولاء القيادات الدينية التقليدية (من آل الشيخ خصوصا) والتظاهر ببعض الشعائر الإسلامية وتطبيق بعض الحدود الشرعية ، واستغلال الفكر السياسي الوهابي الذي ينص على وجوب الطاعة للأمراء والخضوع لهم.

وفي الوقت الذي كان النظام السعودي يستفيد من الفكر الوهابي في تدجين المعارضة الوهابية ، كان يستخدم الحركة الوهابية كبعبع في مواجهة الحركات الشعبية المطالبة بالديموقراطية ، وذلك بالإيحاء اليها بإمكانية سيطرة الحركة الوهابية على المجتمع ، وإمكانية فوزها في أية عملية انتخابية، وإطلاق يدها في التعامل بشدة مع التيارات المختلفة العلمانية والطائفية والحزبية التي تعتبرها الوهابية كافرة ومرتدة ، وحث المعارضة الديموقراطية على القبول بالنظام السعودي واستبداده خوفا مما هو أعظم.

ولا يعني ذلك ان الصورة قاتمة جداً و لا أمل في التطور الديموقراطي في السعودية ، إذ أن ما يهون الخطب ويبشر بغد أفضل هو حدوث تطور مهم و ان لم يكن كبيرا في داخل الحركة الوهابية ، و ولادة حركات إسلامية ديموقراطية تعيد النظر في كثير من الأسس الوهابية . وإذا قيض لهذه الحركات النمو والانتشار

فانها يمكن ان تساهم في تغيير ملامح النظام السعودي أو بناء نظام إسلامي ديموقراطي جديد.

ولكي نتعرف على كل تلك التطورات والاتجاهات والتيارات لا بد ان نقوم بدراسة الحركة الوهابية ، ابتداء من (نظرية التوحيد) التي قدمها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبنى على أساسها النظام السعودي الذي منحه الشرعية والقوة والاستمرارية. وأثر تلك النظرية في تفجير الصراع الدموي العنيف داخل منطقة نجد والجزيرة العربية ، وقيام الدولة السعودية الأولى وانهيارها ثم قيام الدولة السعودية الثانية وتشكيلها لأرضية المقاومة في وجه الهيمنة المصرية (العثمانية) وما رافق ذلك من تفجر للصراع الداخلي بين أبناء الحركة الوهابية حكاماً ومحكومين ، وتكفير بعضهم لبعض.

ثم ننتقل الى الحديث عن نشوء النظام السعودي الجديد الذي ولد في بداية القرن العشرين على يدي الملك عبد العزيز بن سعود ، وطبيعته وملامحه وعلاقته بالحركة الوهابية (الإخوان) التي اعتمد عليها أولاً في السنوات الأولى ثم قضى عليها بعد ذلك ، ونشوء المؤسسة الدينية الوهابية وموقفها من الديموقراطية و الديكتاتورية ، ونقوم بعد ذلك بجولة على أهم فصائل المعارضة الوهابية الموالية والخارجية ، ونتوقف أخيرا عند الحركة الديموقراطية الإسلامية لنرصد أهم ملامحها واحتمالات نجاحها وقدرتها على تشكيل البديل الإسلامي عن الحركة الوهابية.

وأرى من نافل القول الإشارة الى ضرورة الفصل بين الحديث عن الوهابية النظرية ، والوهابية في الواقع ، إذ ليس كل من حمل اسم (الوهابية) أو انتمى اليها في يوم من الأيام هو بالضرورة مؤمن بكل مقولاتها وملتزم بكل مواقفها و مترجم لكل ملامحها ، فان ثمة حركة ثقافية متطورة ومتشعبة داخل الحركة الوهابية ، وربما نجد بعض "الوهابيين" ليس له من الوهابية الا الاسم أو الهوية بالولادة ، ولذا

ينبغي أن لا نقع في خطأ النظرة الى الآخرين وكأنهم كتلة واحدة جامدة لم ولا تتغير.

ان الحديث عن الوهابية هو نموذج للحديث عن الحركات الإسلامية المتطرفة التي تحتكر الإسلام لنفسها وتجرد الآخرين منه او تشكك في إيمانهم ، وانعكاس ذلك على آلية العمل السياسي والتوجه نحو الديكتاتورية والاستبداد.

من هم الوهابيون؟ وما هي الوهابية؟

"الوهابيون" هم كل من ينتسب الى مدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي قاد في أواسط القرن الثاني عشر الهجري في نجد، حركة إصلاحية ضد الاستغاثة بالأولياء و الصالحين ، الأحياء و الأموات ، و زيارة قبورهم و طلب الشفاعة منهم ، معتبراً تلك الممارسات شركا أعظم بالله تعالى ، وكفراً مخرجاً عن الملة ، ثم تحالف مع أحد أمراء نجد وهو محمد بن سعود و أسس معه ما عرف بالدولة السعودية الأولى سنة ١١٥٧هـ

وفي حين كان أتباع هذه المدرسة السابقون يطلقون على أنفسهم اسم "الموحدون" أو "المسلمون" في مقابل المشركين ، فان خصومهم كانوا يطلقون عليهم اسم "الخوارج" . أما أتباع هذه المدرسة المعاصرون فيفضلون استخدام اسم "السلفية" و "السلفيون" . وقد شاع أيضا استخدام اسم "الوهابيون" من الطرفين كاسم علَم عليهم من باب أنهم يشكلون تيارا فكرياً مميزاً له تاريخه وخصائصه ومصنفاته وشيوخه ، وهو يختلف عن التيار العام للسلفية في كثير من الأمور ، ولذلك فقد استخدمه علماء المذهب كالشيخ محمد بن عبد اللطيف ، والشيخ الشاعر سليمان بن سحمان الذي يقول متفاخرا: (نعم نحن وهابية حنفية حنفية تسقي لمن غاظنا المرّا) . وقال الشيخ عبد العزيز بن باز مفتي المملكة العربية السعودية السابق :

"هذا لقب مشهور لعلماء التوحيد علماء نجد ينسبونهم إلى الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليه؟ لأنه دعا إلى الله عز وجل في النصف الثاني من القرن الثاني عشر، واجتهد في إيضاح التوحيد وبيان الشرك للناس ... وصار أتباعه ومن دعا بدعوته ونشأ على هذه الدعوة في نجد يسمى بالوهابي... فهو لقب شريف عظيم يدل على أن من لقب به فهو من أهل التوحيد، ومن أهل الإخلاص لله ".[٣٣]

و رغم التزام الدولة السعودية بالفكر الوهابي ، وتدريسه في المدارس والجامعات ، الا انها تحاول منذ فترة طويلة التخلي عن اسم (الوهابية) الذي يقف عائقا أمام طموحها لقيادة العالم الإسلامي ، حيث تصر على أنها تنتمي للتراث الإسلامي السني العام ، ولا تتبنى مذهبا خاصا باسم (الوهابية). وفي هذا المجال صرح الملك عبد العزيز بن سعود في ١٩٢٩/٥/١١ قائلا:"يسموننا بالوهابيين ، ويسمون مذهبنا (الوهابي) ، باعتبار أنه مذهب خاص . وهذا خطأ فاحش نشأ عن الدعايات الكاذبة التي كان يبثها أهل الأغراض. نحن لسنا أصحاب مذهب جديد أو عقيدة جديدة ، ولم يأت محمد بن عبد الوهاب بالجديد ، فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه السلف الصالح".[٣٤] وقال الملك فهد عام ١٩٨٩ :" إن الوهابية ليست مذهبا وإنهم يُنعتون بالوهابية مدحا تارة وذما تارة أخرى ، في حين أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يقم الا بالدعوة لتطهير العقيدة من البدع والضلالات".[٣٥]

وهكذا يقول وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية السعودي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ بتاريخ ٢٠٠١/١١/١٨: " ان ما يدعونه بالوهابية ويزعمون أننا

---

[٣٣] – http://www.ibnbaz.org.sa/last_resault.asp?hID=719

[٣٤] – الحصين، أحمد: دعوة الامام ..سلفية لا وهابية ، ص ٣٧٨

[٣٥] – عبد الله ، أنور : العلماء والعرش ، ص ٤٠٧

عليه هي منهج السلف وجوهر الدين وليس هناك داع لتسميتها بذلك لأنها ليست مذهبا جديدا". ويؤكد انه "ليس هناك مذهب اسمه الوهابية" وان الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي ينسب اليه تأسيس هذه الحركة في القرن الثامن عشر "لم يأت بجديد بل أحيا مذهب السلف الذي يحرص على ان يكون الدين خالصا وخاليا من الشوائب والبدع". وعبر الشيخ صالح آل الشيخ عن أسفه لأن "الوهابية تستخدم اليوم لوصف المملكة لكي يقال انها دولة متشددة ". وفي نفس الوقت أكد الوزير على ضرورة "التمسك بثوابت المملكة وعلى رأسها التزامنا بالدعوة السلفية التي تمنحنا فرصة الانطلاق الى العالم باتزان وبرؤية ذات أفق واسع". وشدد على ان "حفاظنا على المملكة انما هو بالمحافظة على هذه الدعوة وهذا الفهم السلفي للشريعة والعقيدة الإسلامية".[٣٦]

و يقول الأستاذ عبد الرحمن بن سليمان الرويشد في (الهدية السنية) : " لم يكن إطلاق كلمة "الوهابية" التي يراد بها التعريف بأصحاب الفكرة السلفية شائع الاستعمال في وسط السلفيين ، بل كان أكثرهم يتهيب إطلاقه على الفكرة السلفية ، وقد يتورع الكثيرون من نعت القائمين بها بذلك الوصف باعتباره وصفا عدوانيا كان يقصد به بلبلة الأفكار والتشويه ، وإطلاق المزيد من الضباب لعرقلة مسيرة الدعوة ، وحجب الرؤية عن حقائق أهدافها . وبمرور الزمن تحول هذا اللقب بصورة تدريجية الى مجرد لقب لا يحمل أي طابع للإحساس باستقرار المشاعر ، أو أي معنى من معاني الإساءة ، وصار مجرد تعريف مميز لأصحاب الفكرة السلفية وماهية الدعوة التي بشر بها الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ، وأصبح هذا اللقب شائعا ورائجا بين الكتاب والمؤرخين الشرقيين والغربيين على حد سواء. وبالتالي فليس هناك ما يبرر هجر استعمال تلك الكلمة كتعريف شائع أو تعبير

---

[٣٦] – في حوار مع صحيفة "عكاظ" بتاريخ ٢٠٠١/١١/١٨

يستخدم في إطاره الصحيح للرمز الى المضمون الفكري المقصود". ولذا فقد فضلت استخدام هذا الاسم ليس من باب الذم أو المدح وانما من باب الدقة في التعريف.

أحمد الكاتب

الفصل الأول

نظرية التوحيد الوهابية

تقدم النظرية الوهابية تفسيراً خاصاً لمعنى التوحيد ، ينطلق من تفسير كلمة "الله" أو "الإله" و بالتالي فإنها تقدم تصوراً خاصاً لمعنى "المسلم" الذي يشهد "ألا إله إلا الله" ، فخلافاً لما كان يعتقده عامة المسلمين منذ الجيل الأول من أن معنى "الإله" هو خالق الكون حسبما يفهم من الآيات التالية: "قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا" ٤٢ الإسراء ، و " لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا" ٢٢ الأنبياء ، وان شهادة التوحيد تعني الاعتراف و التسليم بعدم وجود شريك لله في الخلق ، تقول النظرية الوهابية إن المقصود بكلمة "الإله" : المعبود ، و ليس الخالق. و بالتالي فانه لا يكفي للمرء ان يعترف بعدم وجود شريك للخالق لكي يصبح موحداً ، و انما يجب عليه ان يمارس العبادة لله وحده ، و إذا ما مارس أي نوع من العبادة لغير الله فقد أصبح مشركاً . ثم تتقدم النظرية الوهابية لكي تفسر معنى العبادة ، خلافاً لما كان يعرفه المسلمون من أنها تعني أداء نوع من الطقوس الخاصة كالصلاة كما في الآية الكريمة: "إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني و أقم الصلاة لذكري" ١٤ طه ، أو انها تعني الطاعة والإتّباع كما في الآية التالية: "أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين و اعبدوني" ٦١ يس ، فتقول النظرية الوهابية: ان العبادة تعني ممارسة كل ما يختص بالله تعالى من الدعاء و النذر و القسم والاستغاثة و الخوف و الرجاء و طلب الشفاعة و ما الى ذلك بالنسبة الى شخص آخر غير الله تعالى ، و بناء على ذلك تعتبر النظرية الوهابية دعاء الصالحين والأئمة و الأنبياء والنذر لهم و طلب الشفاء منهم .. نوعاً من العبادة التي ترقى الى مستوى الشرك الأكبر بالله تعالى ، مما يخرج مرتكبها من ملة الإسلام و يعيده الى الجاهلية الأولى.

لقد كان المفهوم الإسلامي السابق عن الشرك قبل بروز النظرية الوهابية ، هو الاعتقاد بوجود شريك لله تعالى و ليس مجرد طاعة غير الله كطاعة الشيطان مثلاً والتي وردت بصيغة العبادة ، فان طاعة الشيطان ذنب إذا لم تكن تعني عبادته من دون الله تعالى ، و بالتالي فان الله يغفر الذنوب جميعا الا الشرك به ، كما تقول

الآيات الكريمات التاليات: "ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما" ٤٨ النساء ، "ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا" ١١٦ النساء ، "إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة" ٧٢ المائدة ، " ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير" ٣١ الحج ، مما يدل على وجود مفهومين للشرك أصغر و أكبر ، كوجود مفاهيم مختلفة و درجات متفاوتة عن الإيمان و الإسلام و النفاق و العبادة و ما الى ذلك.

ولكن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، تبعاً للشيخ ابن تيمية كان يعتبر بعض الممارسات المختلف حولها بين المسلمين مثل دعاء الأنبياء و الصالحين والاستغاثة بهم ، شركاً ، و شركاً أكبر مخرجاً عن الملة و الدين.[٣٧]

يقول: إن معنى كلمة " الله " : المألوه المقصود المعتمد عليه [٣٨] ، والمدعوّ و المرجوّ [٣٩]. ويعرَّف "الإله" بأنه: الذي فيه السر. ويقول :" ان المعبود عند العرب

---

[٣٧] – لا نعرف بالضبط كم كان عمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب عندما توصل الى نظريته الخاصة في (التوحيد وشروط الايمان) التي اعتبر فيها زيارة قبور الأولياء والصالحين والاستغاثة بهم ، شركاً أكبر ، وكفّر على ضوئها عامة المسلمين ، ولكننا سنفترض ان عمره كان في حدود الخامسة والعشرين ، عندما كان أبوه على قيد الحياة ، لأنه منعه من التعبير عن أفكاره تلك ، وقد توفي والده سنة ١١٤٣هـ (أو ١١٥٣هـ) عندما كان عمر الشيخ حوالي ثلاثين عاما. وقد بدأ الحديث عن أفكاره ، عندما كان يدرس في البصرة ، في مواجهة من كانوا يزورون قبور الصحابة وأئمة أهل البيت من الشيعة والسنة ، وقد تحدث عن ذلك شخصياً فقال :" كان أناس من مشركي البصرة يأتون اليّ بشبهات يلقونها علي ، فأقول لهم ، وهم قعود عندي : لا تصلح العبادة كلها الا لله". وهو ما أدى الى غضب أهل البصرة عليه وعلى استاذه المجموعي ، و طرده منها. وعندما عاد من البصرة الى نجد كان والده قد انتقل من العيينة الى حريملاء ، فاستقر بها معه ، وحاول نشر أفكاره هناك ، الا ان والده منعه من ذلك ، ولم يأخذ الشيخ حريته في الحديث الا بعد وفاة والده .

عبد الرحيم عبد الرحمن ، الدولة السعودية الأولى ص ٢١

[٣٨] – راجع: ابن تيمية : الرسالة التدمرية ص ٦٠

، هو الاله الذي يسمونه عوامنا "السيد" و "الشيخ" و "الذي فيه السر" والعرب الأولون يسمون الألوهية ما يسميها عوامنا "السر" لأن السر عندهم هو القدرة على النفع والضر ، وكونه يصلح ان يدعى ويرجى ويخاف منه ويتوكل عليه".[٤٠]

ولذلك فقد أطلق كلمة "التوحيد" على توحيد الألوهية "وهو توحيد الله تعالى بأفعال العباد كالدعاء والنذر والنحر والرجاء والخوف والتوكل والرغبة والرهبة والإنابة " وليس توحيد الربوبية الذي يعني "الإيمان بالخالق الواحد" . وقال : ان الكفار على زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانوا يقرون بتوحيد الربوبية وهو أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ولا يدبر الأمور الا الله وحده ، ولكنهم لم يكونوا يقومون بتوحيد الألوهية ، وان هذا التوحيد هو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه.[٤١]

وقال: " ان التوحيد هو إفراد الله بالعبادة ، وهو دين الرسل الذين أرسلهم الله الى عباده فأولهم نوح عليه السلام أرسله الله الى قومه لما غلوا في الصالحين وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً... وآخر الرسل محمد (ص) وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين ، أرسله الى قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله ، لكنهم – يعني كفار قريش – يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله" [٤٢] و " ان التوحيد الذي جحدوه هو "توحيد العبادة" ".[٤٣]

---

[٣٩] – حسين بن غنام: تاريخ نجد ، ص ٢٤٣ – ٢٤٤

[٤٠] – المصدر ، ص ٢٨٧

[٤١] – محمد بن عبد الوهاب: الرسالة المفيدة

[٤٢] – محمد بن عبد الوهاب: كشف الشبهات ص ٥ ، راجع أيضا: (باب : ان سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين) من كتاب (التوحيد)

[٤٣] – محمد بن عبد الوهاب: كشف الشبهات ، ص ٩

وقال : "ان الكفار الذين قاتلهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كانوا يتصدقون ويحجون ويعتمرون ويتعبدون ويتركون أشياء من المحرمات خوفا من الله عز وجل ، ولكنهم لم يشهدوا لله بتوحيد الألوهية ، وذلك أن المشركين كانوا يدعون الصالحين مثل الملائكة وعيسى و عزير وغيرهم من الأولياء ، فكفروا بهذا مع إقرارهم بأن الله هو الخالق الرازق المدبر. وإذا عرفت هذا عرفت معنى "لا اله الا الله " ، وعرفت أن من نخا نبيا أو ملكا أو ندبه او استغاث به ، فقد خرج من الإسلام ".[٤٤]

وقال بعد ذلك :" ان الاعتقاد بأن الله هو الخالق والرزاق وحده ولاشريك له، وانه لايرزق الا هو ، ولا يدير الأمر الا هو ، وبأن جميع السموات والأرض ومن فيهن ، والأرضيين السبع ، ومن فيها ، كلهم عبيد، وتحت تصرفه..كل ذلك لايفيد ولا يجعل الإنسان موحداً ، ولا مسلماً ". [٤٥] وأضاف:" ان ترك الشرك ليس قول "كلمة التوحيد" باللسان فقط ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له ، وانما بالكفر بما يعبد من دون الله".[٤٦]

واعتبر أن من الشرك الأكبر : الاستغاثة بغير الله ، وكذلك طلب الشفاعة من النبي او الأولياء والصالحين ، وقال:" من طلب الشفاعة من محمد (ص) كان كمن طلبها من الأصنام سواء بسواء".[٤٧]

---

[٤٤] – محمد بن عبد الوهاب: رسالة في (معنى لا اله الا الله)

[٤٥] – محمد بن عبد الوهاب: التوحيد ص ٣٦

[٤٦] – المصدر ، باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا اله الا الله.

[٤٧] – وكان ابن تيمية قد اعتبر زيارة قبور الأولياء والأنبياء والصالحين ، والتوسل والاستغاثة بهم ، نوعا من الشرك المنافي للتوحيد والألوهية وعبادة الله ، وقال: إن " هذه البدعة هي أصل الشرك وتبديل الاسلام. وان عمار المشاهد هم مشركون أو متشبهون بالمشركين. لم يكن بناء المساجد على القبور التي تسمى المشاهد وتعظيمها من دين المسلمين ، بل من دين المشركين" . راجع: كتب ورسائل ابن تيمية في الفقه ، ج٢٧ ص ١٦ و كتاب اقتضاء الصراط المستقيم ص ٤٥٧ و ٣٣٤

وذكر في كتابه (التوحيد الذي هو حق الله على العبيد) أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين ، وأن "وداً و سواعاً و يغوث ويعوق ونسراً" هي أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم أن اعبدوها . وقال: ان من نخا نبيا أو ملكا أو ندبه او استغاث به ، فقد خرج من الإسلام ، وهذا هو الكفر الذي قاتل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عليه المشركين ... وان كفر المشركين من أهل زماننا أعظم كفرا من الذين قاتلهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .[٤٨]

و قال: ان " من طلب الشفاعة من محمد (ص) كان كمن طلبها من الأصنام سواء بسواء ".[٤٩] و"ان هذا هو الشرك الأكبر". وان هذا ما يفعله الكفار عند عبادتهم للأصنام.[٥٠] إذ أنهم لا يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها؟ .[٥١]

وقال : لا تظنوا ان الاعتقاد في الصالحين مثل الزنا والسرقة ، بل هو عبادة الأصنام ، من فعله كفر وتبرأ منه رسول الله (ص) .. وان دين الكفار الذي كفرهم به هو "الاعتقاد في الصالحين" الذين كانوا يقولون : انما اعتقدنا فيهم ليقربونا الى الله زلفى ويشفعون لنا [٥٢]. وقال: " ان هذا الذي يسميه "المشركون" في زماننا هذا :

---

[٤٨] – محمد بن عبد الوهاب: رسالة في (معنى لا اله الا الله)

[٤٩] – روى عن مالك في الموطأ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد). محمد بن عبد الوهاب: كتاب التوحيد (باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله) . واعتبر كذلك طلب الشفاعة من النبي (ص) مصداقا لحديث آخر رواه البرقاني : (لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئة من أمتي الأوثان ...). كتاب التوحيد (باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان) .

[٥٠] – محمد بن عبد الوهاب: كشف الشبهات ، ص ٢٦

[٥١] – المصدر ، ص ٣٦ – ٣٧

[٥٢] – ابن غنام : تاريخ نجد ، ص ٤٧٠ – ٤٧١

"الاعتقاد" هو الشرك الذي أنزل الله في القرآن وقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس عليه، وان شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا".

تكفير عامة المسلمين

ولما كانت زيارة قبور الأنبياء والأولياء والصالحين منتشرة في جميع البلاد الإسلامية ، فقد اعتبر الشيخ محمد بن عبد الوهاب عامة المسلمين كفارا ومشركين ومرتدين كأهل الجاهلية الأولى ، أو أضل منها ، وقال:" ان أكثر الخلق قد لعب بهم الشيطان و زيَّن لهم الشرك بالله ، وأخرجه في قالب حب الصالحين وتعظيمهم".[٥٣] "وإن المشركين في زماننا أضل من الكفار الذين في زمان رسول الله .. فلا يخفى عليكم ما ملأ الأرض من الشرك الأكبر : عبادة الأصنام " [٥٤] ، وذلك لأنهم " يتعبدون بإشراك الصالحين في دعاء الله وعبادته، يريدون شفاعتهم عند الله، لظنهم أن الله يحب ذلك وأن الصالحين يحبونه ... وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتى بالإخلاص، وأخبر أنه دين الله الذي أرسل به جميع الرسل، وأنه لا يُقبل من الأعمال إلا الخالص، وأخبر إن من فعل ما استحسنوا فقد حَرم الله عليه الجنة ومأواه النار.

---

[٥٣] – المصدر ، ص ٢٤٣

[٥٤] – المصدر ، ص ٢٤٤

وهذه هي المسألة التي تَفرق الناس لأجلها بين مسلم وكافر، وعندها وقعت العداوة، ولأجلها شرع الله الجهاد كما قال تعالى: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله)" [٥٥].

واستنتج الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، من خلال الربط بين أفعال مشركي الأمم السابقة وبين ما يفعله المسلمون المعاصرون له من زيارة القبور والدعاء عندها وطلب الشفاعة منها أو الاستغاثة بها ، ارتداد الأمة الإسلامية وعودتها الى شرك الجاهلية الأولى وعبادة الأوثان والأصنام (أي القبور) .[٥٦]

وقال:" اتبع هؤلاء سنن من قبلهم وسلكوا سبيلهم شبرا بشبر وذراعا بذراع ، حذو القذة بالقذة ، وغلب الشرك على أكثر النفوس لغلبة الجهل وخفاء العلم ، وصار المعروف منكرا والمنكر معروفا والسنة بدعة والبدعة سنة ، ونشأ في ذلك الصغير وهرم عليه الكبير وطمست الأعلام واشتدت غربة الإسلام ، وقل العلماء وغلب السفهاء وتفاقم الأمر واشتد البأس وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس".[٥٧]

---

[٥٥] – محمد بن عبد الوهاب: ١٢٨ مسالة من مسائل الجاهلية

[٥٦] – محمد بن عبد الوهاب: كتاب التوحيد ، ص ١٩

[٥٧] – ومن هنا قال:" لا يجوز ابقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وابطالها يوما واحدا ، فانها شعائر الشرك والكفر ، وهي أعظم المنكرات ، فلا يجوز الاقرار عليها مع القدرة البتة ، وهكذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثانا تعبد من دون الله ، والأحجار التي تقصد للتبرك والنذر والتقبيل . لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته ، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ، بل أعظم شركا عندهم .. ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد انها تخلق وترزق وانما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعله إخوانهم المشركون اليوم عند طواغيتهم " . ابن غنام : تاريخ نجد ، ص ٢٨٤

واعتبر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، أيضا ، عامة البدو في زمانه ، كفارا ، وقال: إن كفرهم أعظم من كفر اليهود . واستنكر إطلاق صفة المسلمين عليهم لمجرد انهم يقولون (لا اله الا الله) مع انهم حسب قوله لا يعلمون من الإسلام شيئا. وقال: " ما أحسن ما قال واحد من البوادي ، لما قدم علينا وسمع شيئاً من الإسلام ، قال : (أشهد أننا كفار – يعني هو وجميع البوادي – واشهد أن المطوع الذي يسمينا أهل الإسلام أنه كافر !)" . و "من المعلوم عند الخاص والعام ما عليه البوادي أو أكثرهم.. فان كان للوضوء ثمانية نواقض ، ففيهم من نواقض الإسلام أكثر من المائة ناقض".[٥٨]

وبالإضافة الى التكفير بسبب زيارة قبور الأولياء والصالحين ، والاستغاثة بهم وطلب الشفاعة منهم ، وهو ما كان يشترك فيه السنة والشيعة بصورة عامة ، فقد كانت لدى الشيخ محمد بن عبد الوهاب عوامل أخرى إضافية لتكفير الشيعة الذين سماهم "الرافضة" [٥٩]. ولم تكن لتلك العوامل علاقة مباشرة بنظرية التوحيد ، وانما كانت – في نظره – تدخل بصورة غير مباشرة في نواقض الإيمان ، وتلك العوامل أو النقاط هي: القول بالعصمة والنص والوصية في الإمامة وانحصارها في أهل

---

[٥٨] – المصدر ، ص ٢٦٤

[٥٩] – انظر كتاب (رسالة في الرد على الرافضة) لمحمد بن عبد الوهاب ، تحقيق الدكتور ناصر بن سعد الرشيد ، و تقديم عبد الله بن عبد المحسن التركي ، نشر كلية الشريعة في جامعة الامام محمد بن سعود في الرياض سنة ١٤١٣ ، ١٩٩٢. وقد كان (الرافضة) في التاريخ فريقا صغيرا من الشيعة ولم يكن الشيعة الذين انقسموا الى أكثر من سبعين فرقة ، كلهم رافضة ، كما لم يكونوا كلهم إمامية. ولكن الشيخ عبد الوهاب لم يميز بينهم وبين فرقهم المختلفة البائدة والمنقرضة والمعاصرة ، كما لم يلاحظ التطورات الكثيرة التي حدثت في صفوف الشيعة باتجاه التخلص من الجماعات المتطرفة والآراء والشاذة ، فأطلق على الشيعة جميعا اسم (الرافضة).

البيت ، وإنكار شرعية خلافة الخلفاء ، وسب الصحابة والقول بارتدادهم ، وادعاء نقص القرآن. [٦٠]

و بناء على ذلك قال عنهم:" إني لا اعتقد كفر من كان عند الله مسلماً ، ولا إسلام من كان عنده كافراً ، بل أعتقد من كان عنده كافراً كافراً ، وما صح عن العلماء من أنه لا يكفر أهل القبلة فمحمول على من لم يكن بدعته مكفرة ، لأنهم اتفقت كلمتهم على تكفير من كانت بدعته مكفرة ، ولا شك ان تكذيب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيما ثبت عنه قطعا كفر ، والجهل في مثل ذلك ليس بعذر". [٦١]

---

[٦٠] – فقال في (مطلب الوصية بالخلافة) من كتابه (الرد على الرافضة) ، بعد ان نقل عن الشيخ المفيد حديثا حول تردد النبي في تبليغ الأمر بولاية علي خوفا من الصحابة :" ان من اعتقد منهم صحة ذلك فقد هلك .. واعتقاد ما يخالف كتاب الله والحديث المتواتر كفر ، وان فيه كذبا على الله وعلى رسوله ومن استحل ذلك فقد كفر" . وقال في (مطلب انكار خلافة الخلفاء):"إنكارها يستل تفسيق من بايع الصديق ، وقد بايعه الصحابة ، واعتقاد تفسيقهم يخالف قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) ومن اعتقد ما يخالف كتاب الله فقد كفر". وقال في (مطلب السب):" من سب من قد رضي الله عنه فقد حارب الله ورسوله. ومن سبهم فقد خالف ما أمر الله من إكرامهم ومن اعتقد السوء فيهم فقد كذب الله فيما أخبر من كمالهم ومكذبه كافر" وقال في (مطلب دعواهم نقص القرآن):"من اعتقد عدم صحة حفظه من الاسقاط واعتقد ما ليس منه فقط كفر". وقال في (مطلب فضل الامام علي):" من اعتقد في غير الأنبياء كونه افضل منهم ومساويا لهم فقد كفر" . وقال في (مطلب سبهم عائشة):"قذفها الآن كفر وارتداد ولا يكتفى فيه بالجلد لأنه تكذيب لسبع عشرة آية من كتاب الله ، فيقتل ردة ، ومكذب القرآن كافر ليس له الا السيف وضرب العنق".

[٦١] – محمد بن عبد الوهاب: الرد على الرافضة ، مطلب السب ،

وقد اعتبر "الرافضة" مشركين ، بناء على حديث رواه بحقهم عن النبي (صلى الله عليه وآله) يقول فيه:" يا علي سيكون في أمتي قوم ينتحلون حب أهل البيت لهم نبز يسمون الرافضة ، قاتلوهم فانهم مشركون". [٦٢]

عدم العذر بالجهل ، وشرط الولاء السياسي

واشترط الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، شروطا ثمانية للإيمان ، وكان منها الولاء والبراء ، ولذلك لم يكتف من المؤمنين بنظريته ، مجرد الامتناع عن الاستغاثة بالأولياء والصالحين أو زيارة قبورهم وطلب الشفاعة منهم ، وانما طالبهم بترجمة إيمانهم الى موقف عملي بالانضمام الى صفوفه. واعتبر من يتردد في ذلك او يتخذ موقفا مؤيدا "للمشركين" كافرا أيضا. وقد قال في رسالته الى شريف مكة أنه يكفر حتى من يعرف (التوحيد) الذي أظهره للناس ، ويقر بأن الاعتقاد في الحجر والشجر والبشر شرك بالله ، إذا لم يلتفت الى (التوحيد) ولم يتعلمه ولم يدخل فيه ولم يترك (الشرك). وكذلك من لم يهاجر اليه وفضل البقاء مع أهل بلده والقتال معهم. وعرّف الكافر :" بأنه الشخص الذي عرف "دين الرسول" وظل واقفا ضده ، ويمنع الآخرين من اعتناقه ويظهر العداء لمن يتبع دينه".[٦٣]

---

[٦٢] – وقد بنى اتهاماته تلك ، التي كفر على أساسها الشيعة ، على أقوال بعض كتاب ومتكلمي الامامية السابقين ، كالمفيد والصدوق والكشي والحلي ، و بعض الروايات التي وجدت في كتبهم الحديثية والكلامية ، والتي لم يقولوا بصحتها جميعا .

[٦٣] – ابن غنام : تاريخ نجد ، ص ٢٩٩ و ٣٠٤ ، وهو يقصد بدين الاسلام بالطبع: المفهوم الوهابي للتوحيد .

و هكذا وبعد أن توصل الشيخ الى نظريته الخاصة والجديدة في (التوحيد) أعلن وهو في العيينة ، في رسالة مفتوحة بعث بها الى القرى المجاورة : (الرياض ومنفوحة والدرعية وحريملا) قائلا:" أنا أخبركم عن نفسي.. وأنا ذلك الوقت لا أعرف معنى (لا إله الا الله) ولا أعرف دين الإسلام ، قبل هذا الخير الذي مَنَّ الله به ، وكذلك مشايخي ما منهم رجل عرف ذلك. فمن زعم من علماء "العارض" أنه عرف معنى (لا اله الا الله) أو عرف معنى الإسلام قبل هذا الوقت ، أو زعم عن مشايخه أن أحداً عرف ذلك ، فقد كذب وافترى ولبّس على الناس ومدح نفسه بما ليس فيه ".[٦٤] وقال أيضا:"الله.. ألله.. عباد الله!.. لا تغتروا بمن لا يعرف شهادة أن لا إله إلا الله ، وتلطخ بالشرك وهو لا يشعر ، فقد مضى أكثر حياتي ولم أعرف من أنواعه ما أعرفه اليوم ، فلله الحمد على ما علمنا من دينه".[٦٥]

وقال منتقدا علماء زمانه:" ان الله سبحانه لما أظهر شيئا من نور النبوة في هذا الزمان ، وعرف العامة شيئا من الإسلام ، وافق أنه قد ترأس على الناس رجال من أجهل العالمين وأبعدهم من معرفة ما جاء به محمد (صلى الله عليه وآله) ... ويدعون أنهم يعملون بالشرع ولا يعرفون شيئا من الدين الا شيئا من كلام بعض الفقهاء.. وأما العلم الذي بعث الله بن محمد (ص) فلم يعرفوا منه خبرا ولم يقفوا منه على عين ولا أثر... فهؤلاء الذين يزعمون أنهم علماء أشتد إنكارهم علينا لما تكلمنا بذلك ، وزعموا أنهم لم يسمعوا من مشايخهم ومن قبلهم. فلما ظهر هذا الأمر اجتهدوا في عداوته وإطفائه بما أمكنهم وجاهدوا في ذلك بأيديهم وألسنتهم".[٦٦]

---

[٦٤] – المصدر ، ص ٣١٠ من رسالة الى قاضي الدرعية الشيخ عبد الله بن عيسى

[٦٥] – المصدر ، ص ٣١٤

[٦٦] – المصدر ، ص ٤١٣–٤٢٠

وكتب الى شيخ أهل (رغبة) أحمد بن يحيى ، قائلا:" هذه الفتنة الواقعة ليست في مسائل الفروع ولكن في شهادة أن لا إله إلا الله".[٦٧] وان :" من عبد الله ليلاً ونهاراً ، ثم دعا نبيا أو وليا عند قبره ، فقد اتخذ إلهين اثنين ، ولم يشهد أن لا إله إلا الله ، لأن الإله هو: (المدعوّ)... وهذا الشرك قد طبق اليوم مشارق الأرض ومغاربها ، الا الغرباء المذكورين في الحديث (وقليل ما هم)".[٦٨]

وكتب الى قاضي الرياض الشيخ سليمان بن سحمان ، قائلا :" .. الى الآن ، أنت وأبوك ، لا تفهمون شهادة لا اله الا الله.. ونكشف لك هذا ، لعلك تتوب الى الله وتدخل في دين الإسلام ، ان هداك الله ... ولكن أنت رجل جاهل مشرك مبغض لدين الله وتلبس على الجهال الذين يكرهون دين الإسلام ويحبون الشرك ودين آبائهم". [٦٩]

و قام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بتكفير بعض الناس على التعيين ، حيث أعلن كفر بعض الأشراف والزهاد ومشايخ الصوفية ، الأحياء ، الذين كان ينذر لهم الناس ويطلبون منهم الدعاء من الله لشفاء المرضى والتفريج عن المكروب ، من أمثال (آل شمسان وتاج وحطاب وطالب الحمضي وحسين وإدريس) واعتبرهم شركاء لله في توحيد الربوبية و الإلهية.[٧٠]

و حكم على من شك في كفرهم بالكفر أو الفسق ، فقال:" إذا عرفتم ذلك فهؤلاء الطواغيت الذين يعتقد الناس فيهم من أهل (الخرج) وغيرهم ... كلهم كفار مرتدون عن الإسلام ، ومن جادل عنهم ، أو أنكر على من كفّرهم ، أو زعم : ان فعلهم

---

[٦٧] – المصدر ، ص ٣٥٣

[٦٨] – من رسالة للشيخ الى عبد الرحمن بن ربيعة ، مطوع أهل ثادق . المصدر ، ص ٣٤٢

[٦٩] – المصدر، ص ٢٩٩ و ٣٠٤ وهو يقصد بدين الاسلام بالطبع: المفهوم الوهابي للتوحيد .

[٧٠] – المصدر ، ص ٤٧٤ – ٤٧٥

هذا لو كان باطلا فلا يخرجهم الى الكفر . فأقل أحوال هذا المجادل أنه فاسق ، لا يقبل خطه ولا شهادته ولا يصلى خلفه ، بل لا يصح دين الإسلام الا بالبراءة من هؤلاء وتكفيرهم".[٧١]

وقال: "..أما الكلام في الطواغيت مثل إدريس وآل شمسان ، فالكلام على هذا طويل... ونقل الإجماع على أن من فعل عشر معشار فعل هؤلاء الطواغيت أنه كافر حلال الدم والمال ، وقد صرح بأن من شك في كفرهم فهو كافر ، فكيف إذا مدحهم وأثنى عليهم؟.. وكفر هؤلاء وادعاؤهم الربوبية متواتر عند الخاص والعام والرجال والنساء ، وهم الآن يُعبدون ويدعون الناس الى ذلك".[٧٢] ولم يكن يجد حرجا في تكفير قاضي الرياض سليمان بن سحيم وأمثاله لمجرد الاختلاف معه ورفض مفهومه الخاص للشرك والتوحيد.

وعندما توقف بعض أتباع الشيخ ، في مسألة التكفير لعامة المسلمين او لبعضهم على التعيين ، وطرحوا عليه موضوع عدم قيام الحجة عليهم ، وسألوه عن قول الشيخ ابن تيمية: (من جحد ما جاء به الرسول وقامت عليه الحجة فهو كافر) أجابهم قائلا:" ما ذكرتموه من قول الشيخ: (من جحد كذا وكذا) وأنكم شاكون في هؤلاء الطواغيت وأتباعهم: هل قامت عليهم الحجة ؟ أم لا؟ فهذا من العجب العجاب ، كيف تشكون في هذا وقد أوضحته لكم مرارا ؟! فان الذي لم تقم عليه الحجة هو الذي حديث عهد بالاسلام ، والذي نشأ ببادية بعيدة ، أو يكون ذلك في مسألة خفية ... فان حجة الله هي القرآن ، فمن بلغه فقد بلغته الحجة ،

---

[٧١] – المصدر ، ص ٣١٠ وقال أيضا: " كفرنا هؤلاء الطواغيت أهل الخرج وغيرهم بالأمور التي يفعلونها هم ، منها : انهم يجعلون آباءهم وأجدادهم وسائط ، ومنها انهم يدعون الناس الى الكفر ، ومنها : انهم يبغضون عند الناس دين محمد (ص) ويزعمون أن أهل العارض كفروا لما قالوا : لا يعبد الا الله". المصدر ، ص ٣٠٤

[٧٢] – المصدر ، ص ٤١٣-٤٢٠

ولكن أصل الإشكال أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة وبين فهم الحجة ، فان أكثر الكفار والمنافقين لم يفهموا حجة الله مع قيامها عليهم... إذا علمتم هذا فهذا الذي أنتم فيه ، وهو الشك في أناس يعبدون الطواغيت ويعادون "دين الإسلام" ويزعمون انه ردة لأجل انهم ما فهموا ، كل هذا أظهر وأبين مما تقدم".[٧٣]

وعندما وجد لدى بعض الناس صعوبة في تقبل عملية التكفير العامة التي يقوم بها ، قال:" قد بلغني أنكم في هذا الأمر قمتم وقعدتم .. فياليت قيامكم في عظائم في بلدكم تضاد أصل الإسلام: (شهادة أن لا اله الا الله وان محمد ا رسول الله) ، منها وهو أعظمها : عبادة الأصنام عندكم من بشر وحجر ، هذا يذبح له وهذا ينذر له ، وهذا يطلب إجابة الدعوات وإغاثة اللهفات ، وهذا يدعوه المضطر في البر والبحر ، وهذا يزعمون ان من التجأ اليه ينفعه في الدنيا والآخرة.. فان كنتم تزعمون ان هذا ليس هو عبادة الأصنام والأوثان المذكورة في القرآن فهذا من العجب".[٧٤]

وكتب في رسالة الى قاضي الدرعية الشيخ عبد الله بن عيسى ، وابنه ، في بداية دعوته عندما كان في العيينة ، قائلا :" ذكر لي أنكم زعلانين في هذه الأيام ، ولا يخفاك أني زعلان زعلاً كبيرا وناقد عليكم نقودا أكبر من الزعل... وقيل لي: إنكم ناقدون علي بعض الغلظة ، والأمر أغلظ مما ذكرنا. ولولا أن الناس الى الآن ما عرفوا دين الرسول وأنهم يستنكرون الأمر الذي لم يألفوه ، لكان شيء آخر . بل والله الذي لا إله إلا هو ، لو يعرف الناس الأمر على وجهه لأفتيت بحل دم ابن سحيم (قاضي الرياض) وأمثاله ، ووجوب قتلهم ، كما أجمع على ذلك أهل العلم كلهم ، لا أجد نفسي حرجا من ذلك. ولكن ان أراد الله أن يتم هذا الأمر تبين أشياء لم تخطر لكم على بال".[٧٥]

---

[٧٣] – المصدر ، ص ٤١٠ – ٤١١

[٧٤] – المصدر ، من رسالة للشيخ الى ابن عبد اللطيف ، ص ٢٢٣

[٧٥] – المصدر ، ص ٣٢٧

وأرسل الشيخ محمد بن عبد الوهاب أيضا رسالة عنيفة الى أحد تلامذته في الاحساء وهو الشيخ أحمد عبد الكريم ، الذي تراجع عن التكفير واستشكل في الحكم بكفر من يعارض الوهابية ، وقال فيها:" نسأل الله ان يهديك لدين الإسلام... قرناء السوء أضلوك ، كما هي عادتهم ، وأنت – والعياذ بالله – تنزل درجة درجة أول مرة في الشك وبلد الشرك ، وموالاتهم والصلاة خلفهم وبراءتك من "المسلمين" مداهنة لهم. ثم بعد ذلك طحت على ابن غنام وغيره وتبرأت من "ملة إبراهيم" وأشهدتهم على نفسك باتباع "المشركين" من غير إكراه لكن خوف ومداراة.

تذكر أنك عثرت على كلام للشيخ (ابن تيمية) أزال عنك الإشكال. العبارة صريحة واضحة في تكفير مثل ابن فيروز[٧٦] وصالح بن عبد الله وأمثالهما كفرا ظاهرا ينقل عن الملة ، فضلا عن غيرهما".[٧٧]

وقال: "من لم يكفر (المشركين) أو يشك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر... ولا فرق بين جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف والمكره".[٧٨] أو " من لم يكفر (المشركين) أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم فهو كافر".[٧٩]

---

[٧٦] – ابن فيروز هو: محمد بن عبد الله ، وقد قال عنه الشيخ في مناسبة أخرى:" انه أقربهم الى الاسلام ، وهو رجل من الحنابلة وينتحل كلام الشيخ وابن القيم خاصة ، ومع هذا صنف مصنفا وأرسله الينا قرر فيه أن هذا الذي يفعل عند قبر يوسف وأمثاله هو الدين الصحيح". ابن غنام : تاريخ نجد ، ص ٣٣٧

[٧٧] – المصدر ، ص ٣٤٣ و٣٤٥

[٧٨] – محمد بن عبد الوهاب ، الرسالة الثالثة في نواقض الاسلام ، مجموعة التوحيد المعروفة بمجموعة التوحيد النجدية ، ص ١٧٨

[٧٩] – الدرر السنية ، ج٢ ص ٣٦٠

غربة الإسلام والمسلمين

وقد استساغ الشيخ محمد بن عبد الوهاب عملية تكفير عامة المسلمين واتهامهم بالشرك ، اعتمادا على بعض الأحاديث التي تشير الى غربة الإسلام في آخر الزمان ، وسير الأمة الإسلامية سيرا انحداريا أبديا ، فقال:" مما يدل على غربة الإسلام ما أخبر به النبي من وقوع الشرك في هذه الأمة (حتى تعبد فئام من أمتي الأوثان) و (تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين ، فان يهلكوا فسبيل من هلك ، وان يقم لهم دينهم يقم تسعين عاما)..

فلما طال الأمد بعدهم ، صارت كتبهم في أيدي أناس جهلة فرجعوا الى ما كان عليه من قبلهم ممن مضى من المبتدعة وكثر الشرك في القرى والأمصار ، وصاروا لا يعرفون من التوحيد الا ما تدعيه الأشاعرة .. حتى نسي العلم وعم الشرك والبدع الى منتصف القرن الثاني عشر ، فانه لا يعرف إذ ذاك عالم أنكر شركا أو بدعة مما صار في آخر هذه الأمة".[٨٠]

وقد اعتمد أيضا على حديث لابن مسعود يقول فيه: (ليس عامٌ الا والذي بعده أشرّ منه ، لا تقول عامٌ أخصب من عام ولا أميرٌ خير من أمير ، لكن ذهب علماؤكم وخياركم ، ثم يحدث أقوام يقيسون الأمور بآرائهم فيهدم الإسلام وينثلم).

---

[٨٠] – المصدر ، ج٢ ص ٢١٩ – ٢٢٠

وقال في رسالة له الى الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف:" ان رسول الله وأصحابه.. أخبروا انه لا يصبر على الدين الا الواحد بعد الواحد ، وان الإسلام يصير غريبا كما بدأ.. فإذا كان الإسلام يعود كما بدأ ، فما أجهل من استدل بكثرة الناس وإطباقهم" [٨١] " فلتكن قصة إسلام سلمان الفارسي منكم على بال ، ففيها: انه لم يكن على دين الرسل الا الواحد بعد الواحد ، حتى ان آخرهم قال عند موته: لا أعلم على وجه الأرض أحدا على ما نحن عليه ، ولكن قد أطل زمان نبي. واذكر مع هذا قول الله تعالى : (فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض الا قليلا ممن أنجينا منهم)".[٨٢]

وقال في رسالة له الى أهل حريملا :" في الصحيحين: ان بعث النار من كل ألف تسعة و تسعون وتسعمائة ، وفي الجنة واحد من كل ألف.. بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ".[٨٣]

وأضاف الشيخ الى ذلك حديث افتراق الأمة الى أكثر من سبعين فرقة كلهم في النار الا واحدة ، ليشطب على جماعة الأمة ، ويهون من خطب تكفير عامة المسلمين وحصر الحق في طائفته فقط .[٨٤]

---

[٨١] – ابن غنام : تاريخ نجد ، ص ٢١٣

[٨٢] – المصدر ، ص ٢١٩

[٨٣] – المصدر ، ص ٣٦٢ ويؤكد هذا المعنى حفيد الشيخ ، عبد اللطيف بن عبد الرحمن ، في رسالة له الى محمد بن سليمان البغدادي: حيث يقول:" لم ينج من شرك هذا الشرك الا الخواص والأفراد والغرباء في سائر البلاد ، وذلك مصداق ما أخبر به الصادق بقوله: (بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ) قال بعض الأفاضل: الاسلام في وقتنا أشد منه غربة في أول ظهوره" الدرر السنية ص ٤٩٢ – ٤٩٣ ويقول أيضا:"هذا الشرك لم يصل اليه شرك جاهلية العرب". المصدر ص ٤٩٦

[٨٤] – ابن غنام : تاريخ نجد ، ص ٢١٨

إذ فسر مفهوم الجماعة بمعنى آخر وهو: (أهل الحق وان قلوا) ، والتأكيد على أقلية الغرباء في كل العصور ، فقال لأحد أصحابه القلقين : " لعلك تنجو من الهوة الكبيرة التي هلك فيها أكثر الناس وهي الاقتداء بالأكثر وبالسواد ، والنفرة من الأقل... فان كان الناس كلهم على باطل الا واحدا ، فهم الشاذون. وقد شذ الناس كلهم في زمن أحمد بن حنبل الا نفرا يسيرا ، فكانوا هم الجماعة ، وكانت القضاة يومئذ والمفتون والخليفة وأتباعهم كلهم الشاذون ، وكان الإمام وحده هو الجماعة".[٨٥]

ومن هنا فقد أطلق الشيخ محمد بن عبد الوهاب في جميع كتبه ورسائله ، كلمة "المشركين" على عامة المسلمين ، وطلب منهم التوبة والرجوع الى (التوحيد). وسمى أتباعه فقط بـ: "الموحدين" و"المسلمين" .[٨٦]

رد فعل المسلمين

٨٥ – كشك ، محمد جلال : السعوديون والحل الاسلامي ص ٩٩

٨٦ – محمد بن عبد الوهاب: تطهير الاعتقاد ، ص ٣٥

وقد رفض كثير من علماء نجد نظرية الشيخ محمد بن عبد الوهاب في تكفير زوار القبور واعتبار الزيارة شركا ، بالرغم من انتماء بعضهم للمذهب الحنبلي والسلفي ومدرسة ابن تيمية وابن القيم.[٨٧]

و حكم بعض هؤلاء ، كالشيخ عبد الله المويس وابن اسماعيل وابن عبيد ، على الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه بالردة [٨٨]، والخروج من دين الإسلام.[٨٩] وقاموا بإرسال رسائل تحريض عامة في إنكار الدعوة الوهابية والبراءة من أصحابها.[٩٠]. وأنكروا على الشيخ تكفير المسلمين وإعلان الحرب عليهم.[٩١]

وكتب الشيخ سليمان بن سحيم ، عالم أهل الرياض ، رسالة الى أهل البصرة و الأحساء ، ضد الشيخ ، جاء فيها:" .. انه يقول: الناس من ستمائة سنة ليسوا على

---

[٨٧] – وكان من أشدهم: عبد الله بن عمر المويس التميمي (– ١١٧٥ هـ) ، قاضي بلد (حرمة) و محمد بن عبد الله بن فيروز (١١٤٦هـ – ١٢١٦هـ) في الأحساء ، و سليمان بن محمد بن سحيم (–١١٨١هـ) في الرياض ، و عبد الله بن عيسى ، وابنه عبد الوهاب ، في الدرعية ، وابن اسماعيل ، في ثرمدا ، وأحمد بن علي القباني البصري ، وعبد الرحمن ابن ربيعة ، في ثادق ، وأحمد بن يحيى ، في رغبة ، ومحمد بن سليمان ، في وثيثية ، ومحمد بن عبد الرحمن ابن عفالق (– ١١٦٤هـ) وعبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعي ، أستاذ الشيخ في الأحساء ، وسيف بن أحمد العتيقي (–١١٨٩هـ) في حرمة سدير ، وعبد الله بن أحمد بن محمد بن سحيم ، في المجمعة وسدير ، وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن عدوان (–١١٧٩هـ) في أثيثية بالوشم ، ومربد بن أحمد الوهيبي التميمي (–١١٧١هـ) في حريملاء ، وصالح بن عبد الله الصائغ (–١١٨٣هـ) القاضي في عنيزة ، و عبد الله بن داود الزبيري (– ١٢٢٥) و محمد بن سليمان الكردي (١١٢٧–١١٩٤) في المدينة المنورة.

[٨٨] – ابن غنام: تاريخ نجد ، ص ٣٥٣

[٨٩] – المصدر ، ص ٤٥١

[٩٠] – ابن غنام: تاريخ نجد ، ص ٣٤٢

[٩١] – المصدر ، ص ٣٣٦ ، في رسالة من الشيخ الى أحمد بن ابراهيم ، مطوع أهل مرات .

شيء. وتصديق ذلك أنه بعث إليّ كتابا يقول فيه: اقروا أنكم قبلي جهال ضلال. ومن أعظمها: ان من لم يوافقه في كل ما قال ويشهد أن ذلك حق ، يقطع بكفره ، ومن وافقه وصدقه في كل ما قال ؛ قال : (أنت موحد). ولو كان فاسقا محضا ومكاساً ... ومنها أنه قاطع بكفر سادة عندنا من آل الرسول ، لأجل أنهم يأخذون النذور ، ومن لم يشهد بكفرهم فهو كافر عنده".[٩٢]

أما محمد بن عبد الرحمن ابن عفالق فقد أخذ على الشيخ محمد بن عبد الوهاب تكفير الأمة كلها[٩٣]، وقال:" هذا الرجل كفّر الأمة ، بل والله وكذّب الرسل وحكم عليهم وعلى أممهم بالشرك ، وحلف يميناً فاجرة أن اليهود والمشركين أحسن حالا من هذه الأمة. لقد كفّر هذه الأمة بأسرها وكفّر من لم يقل بضلالها وكفرها".[٩٤] وهكذا قال علوي الحداد:" إذا أراد رجل أن يدخل في دينه ، يقول له : اشهد على نفسك أنك كنت كافرا ، واشهد على والديك أنهما ماتا كافرين ، واشهد على العالم الفلاني والفلاني أنهم كفار، وهكذا.. فان شهد بذلك قبله والا قتله".[٩٥]

---

[٩٢] – المصدر ، ص ٢٧٠ – ٢٧١

[٩٣] – عبد العزيز العبد اللطيف: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ٨١ و٨٢

[٩٤] – المصدر ، ص ١٦٣

[٩٥] – المصدر ، ص ١٦٥ وقال زيني دحلان في: (الدرر السنية في الرد على الوهابية) : انهم لا يعتقدون موحدا الا من تبعهم فيما يقولون ، فصار الموحدون على زعمهم أقل من كل قليل ، وكانوا يصرحون بتكفير الأمة منذ ستمائة سنة ، واذا دخل انسان في دينهم وكان قد حج حجة الاسلام قبل ذلك ، يقولون له: حج ثانيا فان حجتك الأولى فعلتها وأنت مشرك فلا تسقط عنك الحج. راجع دعوى المناوئين ، ص ٥٠ و١٦٦

ويقال إنه كان يأمر " المسلمين" الجدد بحلق رؤوسهم كما كان رسول الله (ص) يأمر المشركين عند دخولهم في الإسلام ، ويقول:" ألقِ عنك شعر الكفر" .[٩٦]

وهذا ما يفسر قيام علماء الحرمين (مكة المكرمة والمدينة المنورة) في إبان امارة الشريف مسعود بن سعيد بن زيد (المتوفى سنة ١١٦٥هـ) بإعلان كفر الوهابيين ، بعد حوار مع وفد منهم.[٩٧]

ويمكن القول ان تكفير العلماء المسلمين للشيخ وأتباعه ، كان رد فعل على تكفيرهم لعامة المسلمين ابتداء ، وليس العكس ، حيث رفض علماء الإسلام التفسير الوهابي لمعنى الشرك والتوحيد الذي يخلط بين الشرك الأصغر الذي لا يُكفّر ولا يُخرج من الدين ، وبين الشرك الأكبر الصريح الذي يجعل مع الله الها آخر .

و يمكن ملاحظة ذلك من خلال شهادة الشيخ سليمان بن عبد الوهاب ، الذي كان يشغل منصب القضاء في (حريملاء) ، والذي انتقد أخاه قائلا:" إذا طلبت منه ان يعرض كلامه على أهل العلم لم يفعل بل يوجب على الناس الأخذ بقوله

---

[٩٦] – الحصين ، أحمد: دعوة الامام .. سلفية لا وهابية ، ص ٢٧٨ (عن الحق المبين في الرد على الوهابية المبتدعين ص ٤٥) ويؤيد ذلك ما يقوله الشيخ حسين بن غنام عندما يتحدث مثلا عن عيسى بن قاسم وأحمد بن سويلم فيقول :"انهما سألا الشيخ مسألة في أول إسلامهما" ، ويعنى أول دخولهما في الحركة الوهابية. ابن غنام ، تاريخ نجد ، ص ٤١٠ و سليمان بن سحمان : منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع ، ص ٧٥

[٩٧] – دحلان ، أحمد بن زيني ، فتنة الوهابية ، ص ٧ ، وقد حاول علماء مكة مرة أخرى أن يثنوا نظراءهم من نجد ، في مناظرة جرت بينهم في أيام الشريف غالب ، عن إعلانهم إن المسلم غير الوهابي مشرك وكافر . الياسيني ، أيمن ، الدين والدولة في السعودية ، ص ٧١

وبمفهومه ، ومن خالفه فهو عنده كافر ... إن الأمة كلها تصيح بلسان واحد ومع هذا لا يرد لهم في كلمة بل كلهم كفار او جهال".[٩٨]

وقد قال للوهابيين بصراحة:" إنكم الآن تكفرون من شهد ان لا اله الا الله وحده وان محمدا عبده ورسوله واقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج البيت مؤمنا بالله وملائكته وكتبه ورسوله ملتزما لجميع شعائر الإسلام وتجعلونهم كفار او بلادهم بلاد حرب".[٩٩]

وقال:" ..لكنكم أخذتم هذا بمفاهيمكم وفارقتم الإجماع وكفرتم أمة محمد صلى الله عليه وسلم كلهم حيث قلتم من فعل هذه الأفاعيل فهو كافر ومن لم يكفره فهو كافر".[١٠٠] " كل هذه البلاد عندكم بلاد حرب، كفار أهلها ، لانهم عبدوا الأصنام على قولكم ، وكلهم عندكم مشركون شركا مخرجاً عن الملة فانا لله وانا اليه راجعون".[١٠١] وقال أيضا:" أنتم اليوم تكفرون من ليس فيه خصلة واحدة مما في أولئك (المشركين) بل الذين تكفرونهم اليوم وتستحلون دماءهم وأموالهم ، عقايدهم : عقايد أهل السنة والجماعة الفرقة الناجية" .[١٠٢]

وحذرهم قائلا:" ياعباد الله تنبهوا و ارجعو الى الحق وامشوا حيث مشى السلف الصالح وقفوا حيث وقفوا ، و لا يستغركم الشيطان ويزين لكم تكفير أهل الإسلام وتجعلون ميزان كفر الناس مخالفتكم وميزان الإسلام موافقتكم " [١٠٣]." يا عباد الله.. اتقوا الله خافوا ذا البطش الشديد لقد آذيتم المؤمنين والمؤمنات (ان الذين يرمون

---

[٩٨] – سليمان بن عبد الوهاب: فصل الخطاب في الرد على محمد بن عبد الوهاب ، ص ٤

[٩٩] – المصدر ، ص ٥

[١٠٠] – المصدر ، ص ٧

[١٠١] – المصدر ، ص ٧

[١٠٢] – المصدر ، ص ١٥

[١٠٣] – المصدر ، ص ٢٤

المومنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا) والله ما لعباد الله عند الله ذنب الا انهم لم يتبعوكم على تكفير من شهدت النصوص الصحيحة بإسلامه واجمع المسلمون على إسلامه فان اتبعوكم اغضبوا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وان عصوا آراءكم حكمتم بكفرهم وردتهم".[١٠٤] "فانتم الان تكفرون بأقل القليل من الكفر، بل تكفرون بما تظنون انتم انه كفر ، بل تكفرون بصريح الإسلام ، فان عندكم ان من توقف عن تكفير من كفرتموه خايفاً من الله تعالى في تكفير من رأى عليه علامات الإسلام فهو عندكم كافر".[١٠٥]

و عندما أرسل الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود ، رسالة الى سليمان باشا الكبير والي بغداد العثماني ، مع نسخة من كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب (التوحيد) وطلب منه ان يجمع العلماء للنظر في كتاب الشيخ ، والإيمان بما جاء فيه . أنكر علماء بغداد بزعامة الشيخ عبد الله أفندي الراوي ، ما جاء في الكتاب من أفكار .[١٠٦]

---

[١٠٤] – المصدر ، ص ٢٧

[١٠٥] – المصدر ، ص ٢٩ وقد ذكر الشيخ سليمان في كتابه كثيرا من الروايات الواردة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) والتي تنفي إمكانية الردة الشاملة للأمة الاسلامية او وقوعها في الشرك وعبادة الاوثان ، وخاصة في الجزيرة العربية ، مثل الحديث الذي رواه البخاري ومسلم :" اني لست اخشى عليكم ان تشركوا بعدي ولكن اخشى عليكم الدنيا ان تنافسوا فيها فتقتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم" ، أو الذي رواه مسلم:"ان الشيطان قد أيس ان يعبده المصلون في جزيرة العرب" أو الذي رواه الحاكم وأبو يعلى والبيهقي عن ابن مسعود: " ان الشيطان قد يئس ان تعبد الاصنام بأرض العرب ولكن رضى منهم بما دون ذلك بالمحقرات وهي الموبقات " أو الحديث الذي رواه الامام احمد والحاكم وابن ماجه عن شداد بن أوس قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : "أتخوف على امتي الشرك " قلت : يا رسول الله أتشرك أمتك بعدك ؟ قال:" نعم .. أما انهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا ولا وثنا ولكن يراؤن باعمالهم".

[١٠٦] – عبد الرحيم عبد الرحمن ، الدولة السعودية الاولى ، ص ١٧٨

ورد المرجع الديني الشيعي النجفي الشيخ جعفر كاشف الغطاء على نظرية الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، بكتاب تحت عنوان (منهج الرشاد لمن أراد السداد) فند فيه (النظرية الوهابية) التي تتهم عامة المسلمين بالشرك والكفر . وفرّق بين المشركين الذين كانوا يعبدون الصالحين ويعتقدون انهم شركاء لله ، وبين المسلمين الذين يوحدون الله ويتوسلون بالأولياء الذين يعتقدون ان لهم مكانة خاصة عنده [١٠٧].

[١٠٧] – وقال :" انما كفر عبدة الأصنام ، لأنهم فعلوا ما يعد عبادة من دون أمر الله ، ولأنهم خالفوا أنبياء الله عن نهيهم عن تلك الأشياء ، فكان قصد تقربهم فيما نهى الله عنه ، أما بناء على ان الأصنام للجبار قاهرون ، فيقربوهم قهرا ، او كان استهزاء بالرسل وتكذيبا لهم ، وكل من الكفرين أعظم من الآخر ، فان المتقربين محصل كلامهم : انا نخالف أمر الله وأمر رسوله ونعبد ما نهينا عن عبادته ليقربنا الى الله". وقال:" أما ما ذكرت من الإنكار على كثير من المسلمين الاستغاثة بغير الله ودعوة غير الله ، أقول: ان أريد بدعوة غير الله والاستغاثة إسناد الأمر الى المخلوق على انه الفاعل المختار الذي تنتهي اليه المنافع والمضار ، فذلك من أقوال الكفار ، والمسلمون بجملتهم براء من هذه المقالة او من قائلها ، وما أظن أحدا ممن في بلاد المسلمين يرى هذا الرأي ولا سمعناه من أحد الى يومنا هذا". وقال:"ان لفظ الدعاء لا يراد به المعنى اللغوي ، والا لكفر جميع الخلق ، فالمراد دعاء العبودية والمربوبية ، كمن دعا الأصنام او الصالحين مع اعتقاد ربوبيتهم وقصد عبوديتهم مكتفين بها عن عبادة الله او مشركين أولئك مع الله لقصد وصول النفع اليهم منهم وليقربوا الى الله زلفى...ثم المذمة لم تكن على اعتقاد الشفاعة او التقريب زلفى بل على العبادة بهذا القصد ، والمراد بالعبادة أعمال خاصة كما بيناه. ان المقاصد متفاوتة وانما الأعمال بالنيات ولكل امرء ما نوى. فرب كلمة ظاهرها الإسلام تصير بالنية كلمة كفر وبالعكس. وان كان المدار على الصور دون الحقائق فسجود الملائكة لآدم وسجود يعقوب ليوسف عبادة لغير الله ، وقد أوردنا من الأخبار وكلام الصحابة ما يفيد عدم المنع.

وعلى كل حال: ان أريدت الحقائق في الاستغاثات والدعوات وغيرها ففي ذلك خروج عن طريقة الإسلام ، و الا فلا بأس ، والا لزم ألا يخرج من الكفر أحد من العالم".محمد الحسين كاشف الغطاء: العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية ، ملحق: منهج الرشاد لمن أراد السداد . تحقيق الدكتور جودت القزويني

إنكار " تهمة " التكفير

و أمام حملة الاستنكار الواسعة التي جوبه بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب لتكفيره عامة المسلمين، حاول ان ينفي تهمة التكفير بالعموم ، و اتهم خصومه بتلفيقها ضده ، فقد كتب الى بعض العلماء قائلا :" أنه بلغني أن رسالة سليمان بن سحيم قد وصلت اليكم ، وأنه قبلها وصدقها بعض المنتمين للعلم في جهتكم ، والله يعلم أن الرجل افترى علي أمورا لم أقلها ولم يأت أكثرها على بالي ، فمنها قوله:... إني أقول إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء .. وإني أكفر من توسل بالصالحين وإني أكفر البوصيري لقوله (يا أكرم الخلق..) وإني أقول: لو أقدر على هدم قبة رسول الله (ص) لهدمتها .. وإني أحرم زيارة قبر النبي ، وإني أكفر من حلف بغير الله.

جوابي عن هذه المسائل أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم..

إني أقول: لا يتم إسلام الإنسان حتى يعرف معنى (لا إله إلا الله) وإني أعرف من يأتيني بمعناها ، وإني أكفر الناذر إذا أراد بنذره التقرب لغير الله وأخذ النذر لأجل ذلك ، وان الذبح لغير الله كفر والذبيحة حرام ، فهذه المسائل حق وأنا قائلها".[١٠٨] " وما ذكره المشركون .. على أني أكفر جميع الناس الا من تبعني ، وأني أزعم أن أنكحتهم غير صحيحة ، فيا عجبا كيف يدخل هذا في عقل عاقل؟ وهل يقول هذا مسلم ؟ أني أبرأ الى الله من هذا القول الذي ما يصدر الا عن مختل العقل فاقد الإدراك ، فقاتل الله أهل الأغراض الباطلة ".[١٠٩]

---

[١٠٨] – الدرر السنية ج١ ص ٣٤

[١٠٩] – الدرر السنية ، ج١ ص٨٠

وهكذا كتب الى الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله السويدي ، في العراق ، رسالة يرد فيها على "تهمة" التكفير بالعموم :".. ومنها ما ذكرتم أني أكفر جميع الناس الا من اتبعني ، وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة. ويا عجباً كيف يدخل هذا في عقل عاقل؟ هل يقول هذا مسلم؟ أو كافر؟ أو عارف ؟ أو مجنون؟... وأما التكفير فلم نقاتل أحدا الى اليوم الا دون النفس والحرمة ، وهم الذين أتونا في ديارنا ولا أبقوا ممكنا ، ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وكذلك من جاهر بسب دين الرسول بعد ما عرفه".[١١٠]

وكتب أيضا الى شريف مكة (مسعود) ينفي لديه تهمة التكفير بالعموم ، قائلا:" وأما الكذب والبهتان ، فمثل قولهم: إنا نكفر بالعموم ونوجب الهجرة الينا على من قدر على إظهار دينه ، وإنا نكفر من لم يكفر ومن لم يقاتل ، ومثل هذا وأضعاف أضعافه ، فكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله.

وإذا كنا لا نكفر مَن عَبَدَ الصنم الذي على قبر عبد القادر ، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما ، لأجل جهلهم وعدم من ينبههم ، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر الينا ولم يكفر ويقاتل؟(سبحانك هذا بهتان عظيم) ".[١١١]

وأرسل عام ١١٨٥ هـ الى شريف مكة أحمد بن سعيد ، مندوبا عنه هو الشيخ عبد العزيز الحصين ، وحمّله رسالة مليئة بالحب والتقدير والاحترام والدعاء للشريف .[١١٢] ونفى المندوب أمام علماء مكة (يحيى بن صالح الحنفي ، وعبد

---

[١١٠] – المصدرابن غنام: تاريخ نجد ، ص ٣٢٣

[١١١] – المصدر ، ص ٤٠٧

[١١٢] – جاء فيها:" ...أن الكتاب لما وصل الى الخادم وتأمل ما فيه من الكلام الحسن رفع يديه بالدعاء الى الله بتأييد الشريف لما كان قصده نصر الشريعة المحمدية ومن اتبعها وعداوة من خرج عنها ، وهذا هو الواجب على ولاة الأمور. ولما طلبتم من ناحيتنا طالب علم ، امتثلنا الأمر...

الوهاب بن حسن التركي ، وعبد الغني بن هلال) تهمة التكفير بالعموم التي كانت موجهة الى الوهابيين . [١١٣]

ونفى كذلك في رسائل أخرى ، عملية التكفير بالعموم ، فقال:" وأما التكفير فأنا أكفّر من عرف دين الرسول (ويقصد المفهوم الوهابي للتوحيد) ثم بعدما عرفه سبه ونهى الناس عنه وعادى من فعله ، فهذا هو الذي أكفر . وأكثر الناس ولله الحمد ليسوا كذلك" [١١٤]

ورغم أنه ينفي في رسائله تلك ما يسميه تهمة التكفير بالعموم ، الا انه يؤكد في طياتها ما يحاول ان ينفيه ، وقد نفى في الرسالة الثانية ، تكفيره لمن يتوسل بالصالحين ، وهذا ما يتناقض مع أهم تصريحاته الشهيرة التي يقول فيها " أن من نخا نبياً أو ملكاً أو ندبه او استغاث به ، فقد خرج من الإسلام ، وان كفر المشركين من أهل زماننا أعظم كفرا من الذين قاتلهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم)".[١١٥] كما نفى عزمه على هدم قبة رسول الله (ص) مع أنه يقول : " لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها و إبطالها يوما واحدا ، فانها شعائر الشرك والكفر ، وهي أعظم المنكرات ، فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة ، وهذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثانا تعبد من دون الله ، والأحجار التي تقصد للتبرك والنذر والتقبيل . لا يجوز إبقاء شيء منها على

وأحق الناس بذلك وأولاهم أهل البيت الذين بعثه الله منهم وشرفهم على أهل الأرض ، وأحق أهل البيت بذلك من كان من ذريته (ص) وغير ذلك يعلم الشريف أعزه الله : أن غلمانك من جملة الخدام ، ثم أنتم في حفظ الله وحسن رعايته". ابن غنام: تاريخ نجد ، ص ١٣٥

[١١٣] – المصدر ، ص ١٣٦

[١١٤] – الدرر السنية ، ص ٧١ و٨٣

[١١٥] – محمد بن عبد الوهاب: رسالة في (معنى لا اله الا الله)

وجه الأرض مع القدرة على إزالته ، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ".[١١٦] ولم يكن هناك من سبب يدعوه لاستثناء قبة الرسول من بين القبب التي قدر عليها وهدمها فعلا.

ورغم انه نفى في عدة رسائل أخرى تكفير جميع الناس الا من اتبعه ، واتهم من يتهمه بذلك باختلال العقل وتبرأ الى الله من قائله ، وادعى انه لم يقاتل الناس الا دفاعا عن النفس وعلى سبيل المقابلة [١١٧] ، الا انه اعترف أيضا بقتال من يعارضه متهما إياه بالمجاهرة بسبب (دين الرسول) أي الوهابية ، كما اعترف أيضا في رسالته الى شريف مكة بقتال حتى " من عرف التوحيد الذي أظهرناه للناس ، وأقر أن هذه الاعتقادات في الحجر والشجر والبشر ، الذي هو دين غالب الناس ، هي الشرك بالله ، ولكنه لم يلتفت الى التوحيد ولا تعلمه ولا دخل فيه ولا ترك (الشرك) " ، وقال: ان هذا كافر نقاتله بكفره. فضلا عن غيره من عامة الناس الذين لا يؤمنون بمبادئه.

وقد أكد ضمناً في تلك الرسالة اتهام غالب الناس بأن دينهم الشرك بالله.. واتهم من يزور القبور والأولياء بعبادتهم.

ويوجد في كلامه تناقض واضح فهو يصم الأضرحة التي على قبور الأولياء والصالحين (كقبر عبد القادر وأحمد البدوي) بأنها **أصنام** ، ويتهم زوارها **بعبادتها** ، ومع ذلك يقول إنه لا يكفرهم لجهلهم ، علما بأنه لا يعتبر الجهل عذراً في عدم التكفير، إذ يقول:" إن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه وقد يقولها وهو جاهل

---

١١٦ – ابن غنام : تاريخ نجد ، ص ٢٨٤

١١٧ – يقول صاحب الدرر السنية: ان الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، لم يكن في ابتداء دعوته يكفر أحدا ، وكان اذا سمع الناس يدعون زيدا بن الخطاب ، يقول: الله خير من زيد ، ويتلطف بهم بلين الكلام ، نظرا الى المصلحة وعدم النفرة. الدرر السنية ، ج ٢ ص ٢١١.

فلا يعذر بالجهل ، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه الى الله ، كما ظن المشركون".[١١٨]

ولو توقفنا عند قوله " أنا اكفّر من عرف (دين الرسول) ثم بعدما عرفه سبه ونهى الناس عنه وعادى من فعله فهذا هو الذي أكفر" لرأينا أنه يعترف بتكفير كل من يعارضه على الأقل ، وإذا جمعنا هذا الموقف مع أقواله ومواقفه الأخرى التي لا تحصى والتي يطلق فيها اسم (المشركين) على عامة المسلمين لتوصلنا الى أنه لم يكن دقيقا في نفي تهمة التكفير بالعموم ، او انه كان يمارس (التقية) في بداية أمره من باب التكتيك وخداع العدو الأقوى ، أو انه كان يتلاعب بالألفاظ. وإلا فان ظاهرة التكفير بالعموم كانت أبرز ملامح الحركة الوهابية.[١١٩]

---

[١١٨] – الحصين ، أحمد: دعوة الامام .. سلفية لا وهابية ص ١٠٤

[١١٩] – وقد تجلى ذلك الموقف بصراحة في كتاب أحد تلامذة الشيخ ومرافقيه وهو الشيخ حسين بن غنام الذي يقول: " كان أكثر المسلمين – في مطلع القرن الثاني عشر الهجري – قد ارتكسوا في الشرك وارتدوا الى الجاهلية ، وانطفأ في نفوسهم نور الهدى ، لغلبة الجهل عليهم واستعلاء ذوي الاهواء والضلال.. فنبذوا كتاب الله تعالى وراء ظهورهم ... فعدلوا الى عبادة الأولياء والصالحين: أمواتهم وأحياءهم يستغيثون بهم في النوازل والحوادث ، ويستعينونهم على قضاء الحاجات وتفريج الشدائد... وأحدثوا من الكفر والفجور والشرك بعبادة أهل القبور ، وصرف النذور اليهم والابتهال بالدعاء لهم ، ما زادوا به على أهل الجاهلية.. ولقد حدث الغي والضلال والتغيير في الدين منذ زمن قديم.. ولقد انتشر هذا الضلال حتى عم ديار المسلمين كافة". (ابن غنام ، تاريخ نجد ص ١٣ و ١٤)

وفي الحقيقة ان تاريخ ابن غنام يحفل بالعبارات التي تدل بوضوح على اعتبار الداخلين في الحركة الوهابية "مسلمين" والخارجين منها "كفرة ومرتدين وضلالا " حيث يصف الانقلاب الذي حدث في نجد عام ١١٧٨ ، بعد قيام رئيس نجران (الحسن بن هبة الله) ، بشن هجوم واسع عليها ، بقوله: "ارتد أكثر أهل نجد وسارعوا الى الضلال".(المصدر ، ص ١٢٦) وهكذا يصف خضوع أهل القصيم للأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود عام ١١٧٩هـ ، فيقول: "وفد عليه أكثر أهل القصيم فدخلوا في الاسلام وخرجوا مما كانوا فيه من عبادة الأوثان ، فأخذ عبد العزيز عليهم العهد ووضع عندهم معلمين يعلمونهم التوحيد والشرائع والاحكام. وأغار سنة ١١٨٤ على المحمرة والحائر

، فلم يجد أهل البلد الا الاذعان ، فدخلوا في الاسلام وبايعوا عبد العزيز والتزموا السمع والطاعة".(المصدر، ص ١٣٤) ويقول عن سقوط الرياض عام ١١٨٧ : " استولى ابن سعود على جميع ما في الرياض من أموال ونخيل فيئا من الله لأنه لم يوجف عليها خيل ولا ركاب".(المصدر ، ص ١٣٨) معتبرا أهلها المذعورين الذين فروا من القوات الوهابية من الكفار وبلادهم من الفيء.

ويتحدث ابن غنام عن استسلام زيد بن زامل صاحب (الدلم) سنة ١١٩٠ وقدومه على عبد العزيز في الدرعية ، مع أعيان قومه ، فيقول:" انهم بايعوا على الاسلام ... فأقاموا على ذلك زمانا يتظاهرون بالاسلام الى أن شاء الله ان يرتدوا". كما يتحدث عن أهل سدير ومنيخ ، فيقول:"بدرت سنة ١١٩١ منهم بوادر الارتداد ، فأخذ منهم رهائن لكي لا يرتدوا".ويقول أيضا:" إن أهل بلدة (حرمة) ارتدوا بالاتفاق مع رؤساء سدير .. وبعد معارك طويلة طلبوا الدخول في الاسلام ، وابدوا التوبة والندم". ويضيف:"في سنة ١١٩٣ ارتد أهل حرمة وأهل الزلفى ، فسار سعود بالمسلمين الى حرمة وقاتل أهلها وحصرهم وقطع نخلهم ، فلما ضيق المسلمون عليهم وطال حصارهم وفقدوا الأمل في النجاة ، طلبوا المصالحة ودخلوا في الاسلام ". (المصدر ، ج١ ص ١٣٩)

ويقول:" في سنة ١١٩٦ ارتد أهل القصيم جميعا ، الا أهل بريدة والرس والتنومة ، ونقضوا العهد وأجمعوا على قتل من في بلادهم من المسلمين.. ثم ضاقت الأرض بمن كان قد ارتد ، فلم يجدوا مفرا من الدخول في حوزة الاسلام. وارتد أهل الروضة فحاصرهم سعود وشرع في قطع أشجارهم ونخلهم ، فطلبوا الأمان وعاهدوه على الاسلام.

وهجم سعود سنة ١١٩٨ على بريدة وقتل منهم نحو خمسين رجلا واستولى على جميع ما فيها من الأموال ، فاظهر أهل القصيم الاسلام .

وسار سعود سنة ١١٩٩ الى الدلم وحاصر أهلها وقاتلهم الى ان استسلموا ، وأخذ ما كان في بيوتهم من الحيوانات والأمتعة والسلاح والطعام ، وأخذ نخيلها فيئا... فلما انتشر خبر ذلك ، أصاب الفزع كثيرا من أهل الضلال فأرسلوا الى سعود يطلبون الدخول في الاسلام والطاعة.

وفي سنة ١٢٠٢ دخل كثير من أهل وادي الدواسر في الاسلام ، وارتد بعضهم بعد ستة اشهر ، فجهز عبد العزيز جيشا وأرسله لقتالهم فقدم عليهم وصب عليهم العذاب وأكثر فيهم القتل حتى ذلوا وهانوا فطلبوا الدخول في الاسلام.(المصدر ، أحداث تلك السنين).

وفي سنة ١٢٠٦ و ١٢٠٧ هجم سعود على القطيف والأحساء وقتل وأباد نحو ألف وخمسمائة رجل ، واقام مجازر رهيبة بحق السكان . " ثم أرسل اليهم كتابا يدعوهم فيه الى الدخول في الاسلام ، والطاعة والانقياد ، ويحذرهم الصد والإعراض ، فبادروا الى الطاعة ولم يترددوا ، وأرسلوا الى سعود يدعونه الى القدوم اليهم ليبايعوه.. فخرج اليه أهل الأحساء وعاهدوه على الاسلام

والطاعة .. وما أن ارتحل عن الأحساء حتى أتته الأخبار بأن أهل الأحساء نقضوا العهد وارتدوا عن الدين وقتلوا المسلمين (من الدعاة والمعلمين)".[١١٩] (المصدر ، ص ١٨٢– ١٨٣)

وهكذا يتحدث ابن غنام عن سائر المناطق والمعارك فيصف الوهابيين بالمسلمين وخصومهم بالكفار والضالين ، ويعتبر خضوع القرى والمدن لسلطة آل سعود دخولا في الدين ، والثورة عليهم ردة عن الاسلام. فيقول :" حين استقر (التوحيد) وثبتت أصوله في جميع بلدان الاحساء ، غشّى قلوب المبُطلين الحزن والأسى. فأرسلوا كثيرا من الرسائل الى الحكام يستثيرونهم على (المسلمين أهل التوحيد) وأرسلوها الى سليمان باشا والي بغداد التركي ، يذكرون له فيها أنه لا يصلح لمقاتلة جموع (المسلمين) الا ثويني بن عبد الله. فخلع على ثويني ، وندبه الى قتال (أهل الدين)". (المصدر ، ص ١٩٣)

و " ارتد كثير من الأعراب وانضموا اليه ، وأقبل عليه جميع آل ظفير ، ونقضوا عهد الاسلام وارتدوا .. وفضحت هذه المحنة كثيرا من الناس الذين لم يستطيعوا أن يصبروا على البلاء ، فزين لهم الشيطان أن يرتدوا ، فنقضوا العهد".(المصدر ، ص ١٩٤ و١٩٥ و١٩٩)

الفصل الثاني

ولادة الدولة السعودية الوهابية الأولى

الهجرة والقتال و الخروج

بعد اعتبار الشيخ محمد بن عبد الوهاب عامة المسلمين كفاراً و مشركين و مرتدين الى الجاهلية الأولى ، كان لا بد ان يأمر أتباعه بالانفصال نفسياً و جسدياً عن "المجتمع الجاهلي" و الهجرة اليه من أجل البدء في تأسيس "المجتمع الإسلامي الموحد" من جديد ، و الدعوة الى "دين الإسلام والتوحيد".

و لذلك فعندما حلّ الشيخ في (الدرعية) أعلنها "دارَ هجرة وإسلام" ، و طلب من أنصاره الهجرة اليها .[120] و بدأ هؤلاء يتهافتون عليه و يهاجرون اليه من كل مكان .[121] و حسبما يقول الشيخ حسين بن غنام فان الهجرة حدثت كنتيجة لتوتر العلاقة بينهم و بين الآخرين . و " ان الشيخ محمد بن عبد الوهاب بقى في الدرعية سنتين يدعو الناس بالحجة و الموعظة الحسنة ، و يكاتب أهل البلدان و رؤساءهم و مدعي العلم فيهم فمنهم من قبل الحق و اتبعه و منهم من اتخذه سخرياً واستهزأ به ، و لم يبادر أحداً بالتكفير و لم يبدأ أحداً بالعدوان ، الى أن نهضوا عليه جميعهم بالعدوان و صاحوا في جميع البلاد بتكفيره هو وجماعته و أباحوا دماءهم ، وما اتبعوه من وسائل لإجلائه و جماعته عن البلاد ، و مطاردتهم بالتعذيب والاضطهاد. و لم يأمر رحمه الله بسفك دم و لا قتال على أكثر أهل الضلال والأهواء ، حتى بدءوه بالحكم عليه و أصحابه بالقتل و التكفير ، فأمر الشيخ حينئذ جماعته بالجهاد ، فامتثلوا لأمره".[122]

وسواء كان الشيخ عبد الوهاب هو المبادر الى تكفير عامة المسلمين ، كما لاحظنا في الفصل السابق ، أم كانوا هم المبادرين لتكفيره مع أتباعه ، فان القول بارتداد المجتمع الإسلامي الى الجاهلية الأولى كان يقسم الناس الى فريقين و دارين ، يضع في احداهما "الموحدين" الجدد ، بينما يضع في الأخرى "المشركين". ويجعل من الأولى (دار إسلام) ، في الوقت الذي يجعل من الأخرى (دار

---

[120] – و لما كان الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه و آله وسلم) قد ألغى الهجرة بعد فتح مكة ، فان الشيخ وجد نفسه مضطراً للتنظير اليها بصورة جديدة ، فقال:" ان الهجرة هي الانتقال من بلد الشرك الى بلد الاسلام ، و هي باقية الى أن تقوم الساعة. و الدليل على الهجرة من السنة قوله (ص): لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، و لا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها". الدرر السنية ، ج١ ص ١٣٤

[121] – ابن بشر: عنوان المجد ، ص٤٣

[122] – ابن غنام: تاريخ نجد ، ص ٨٨ و ٨٩

حرب).[123] وقد ذكر ابن غنام نفسه ان الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد بايع الأمير محمد بن سعود على الجهاد ، في أول مجيئه الى الدرعية. وإنه وعده بالنصرة و الجهاد.[124]

و بناء على ذلك فقد أعلن الشيخ محمد جميعَ بلاد "المشركين" داراً للحرب ، و أمر أتباعه بالانحياز الى جانبه ، و إعلان الولاء له ، و البراءة من أعدائه . و اعتبر الولاء و البراء شرطاً من شروط الإيمان ، و تركهما ناقضا من نواقض الإيمان العشرة. وأعلن الحرب على "الكفار" وخاصة "الذين بان لهم ان (التوحيد) هو دين الله و رسوله ، ثم ابغضوه و نفّروا الناس عنه ، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله". [125]

و أهدر دماء جميع المسلمين الذين سماهم بـ: "المشركين" و طالبهم بالتوبة و الرجوع الى التوحيد ، و استحل أموالهم و ذراريهم ، و قال :" من رجع منهم حقن دمه و ذراريه ، و من أصر أباح الله منه ما أباح لرسول الله من المشركين". [126] و ذلك "لأن مجرد التلفظ بكلمة التوحيد لا يعصم الدم و المال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل و لا الإقرار بذلك، بل و لا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا

---

[123] – و من هنا فقد قال الشيخ :" إن مسألة التعبد بإشراك الصالحين ، هي المسألة التي تَفرق الناس لأجلها بين مسلم وكافر، و عندها وقعت العداوة، و لأجلها شرع الله الجهاد كما قال تعالى: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله)". محمد بن عبد الوهاب: رسالة ١٢٨ مسألة من مسائل الجاهلية

[124] – ابن غنام: تاريخ نجد ، ص ٨٧

[125] – المصدر ، ص ٢٦٤

[126] – محمد بن عبد الوهاب: تطهير الاعتقاد ، ص ٣٥

شريك له ، بل لا يحرم ماله و دمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله ، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله و دمه" . [١٢٧]

و رغم ما كان يبدو في عملية التكفير و الالتزام بمبدأ الهجرة و القتال ، من ميل الى الخروج عن الدولة "الكافرة" و محاربة "المجتمع الجاهلي" ، فان الوهابيين كانوا يصرون على نفي تهمة **(الخروج)** عن أنفسهم ، ويتبرءون منها أشد التبرؤ . و ذلك خوفا من انطباق أحاديث الخوارج عليهم ، و هم ملعونون على لسان رسول الله (ص) في التراث السني ، و محكوم عليهم بالرفض و الهجران. إضافة الى ما كان يعنيه الخروج من تحدٍ للدولة العثمانية ودعوةٍ لها لمعاقبتهم. و لذا كان الوهابيون يفرقون بين أنفسهم و بين (الخوارج) بأن هؤلاء كانوا يكفّرون الناس على الكبائر ، بينما هم يكفّرون على ما يدعو الى التكفير و هو الشرك بالله ، و لا يكفّرون على الكبائر. وسواء أعلن الوهابيون الخروج واعترفوا به.. أم لم يعلنوا ذلك ، فان نظريتهم كانت تنطوي على مبرر كبير للخروج و تشكيل دولة مستقلة ، وخاصة في الوقت المناسب و مع توفر القوة الكافية لهم.

و إذا عدنا الى مرجع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، و هو ابن تيمية فسوف نجد انه يفتح نافذة واسعة على الثورة و الخروج والتمرد على الامام أي إمام ، و يعطي لصاحب كل قوة ان يتمرد على الإمام ، لأنه أساساًً يعقد الامامة لمن غلب ، بغض النظر عن توفر الشرط الشرعية فيه او اختياره عبر أهل الحل و العقد ، خاصة إذا التزم الخارجي المتغلب بالشريعة الإسلامية أو أخذ على الإمام القائم عدم التزامه بالشريعة ، و ذلك لأن ابن تيمية اعتبر الخروج الحقيقي هو الخروج

---

[١٢٧] – محمد بن عبد الوهاب: كتاب التوحيد ، باب تفسير التوحيد وشهادة ان لا اله الا الله

على الشريعة لا على الإمام ، وبذل قصارى جهده لتحويل الأنظار من شخص (الإمام) الى (الشريعة) . ولم يكن (الإمام) في نظره يشكل مركز الشرعية ، و إنما الشريعة هي المعيار لشرعية أي نظام. وقد اختلف بذلك مع عامة الفقهاء السنة السابقين الذين كانوا يضفون على الحاكم نوعا من القدسية و الشرعية و يحرّمون الخروج عليه . و قد كان ابن تيمية يرفض قتال الخوارج (أو الثوار إذا ثاروا) ، و ذلك بسبب احتمال اعتماد الخوارج على التأويل . و ينفي وجود أي حديث صحيح يأمر بقتال الخارجين على الإمام ، ويقول: إن الحديث الوحيد الذي يذكره القائلون بذلك ، هو حديث كوثر بن حكيم عن نافع ، و هو حديث موضوع ، و أما الأحاديث الصحيحة التي جاءت في قتال الخارجين فهي تنص على قتال الخارجين عن الشريعة لا على الإمام . ويقول : " أما القتال لمن لم يخرج إلا عن طاعة إمام معين فليس في النصوص أمر بذلك ، فارتكب الأولون ثلاثة محاذير :

الأول:قتال من خرج عن طاعة ملك معين و ان كان قريبا منه و مثله في السنة و الشريعة ، لوجود الافتراق ، و الافتراق هو الفتنة.

و الثاني: التسوية بين هؤلاء و بين المرتدين عن بعض شرائع الإسلام.

و الثالث: التسوية بين هؤلاء و بين قتال الخوارج المارقين من الإسلام ، و لهذا تجد تلك الطائفة يدخلون في كثير من أهواء الملوك و ولاة الأمور و يأمرون بالقتال معهم لأعدائهم بناء على انهم هل العدل و أولئك البغاة ".[١٢٨]

وبناء على ذلك فقد كان ابن تيمية يعترف أيضا بواقع التعددية السياسية في عصر الملك ، ولا يؤمن بضرورة وحدة الخلافة ، كما يعتقد غالبية أهل السنة ، و يقول بجواز الخروج على الإمام العادل نظرا لشبهة أو تأويل كما خرج معاوية بن

[١٢٨] – ابن تيمية: مجموع الفتاوى ، ج٤ ص ٤٥٠ – ٤٥٢

أبي سفيان على الإمام علي بن أبي طالب ، فضلا عن وجوب الخروج على كل من يرفض تطبيق الشريعة الإسلامية و قتاله.[١٢٩]

و إذا كان ابن تيمية قد توصل الى جواز الخروج و وجوب الثورة و استعمال القوة ضد من يمتنع عن الالتزام بالشريعة الإسلامية ، رغم عدم قوله بكفر الأمة ، فقد كان من الأولى بمحمد بن عبد الوهاب الذي قال بارتداد الأمة جمعاء ، أن يرفض أي التزام بوحدتها القائمة او الخضوع لإمام (الأمة الكافرة) ، و ان يقوم بالخروج على الدولة الإسلامية ، وأن لا يجد بالطبع في أحاديث وجوب الطاعة للإمام ، أي معنى . ولذلك لم يعد لديه أي التزام بالطاعة للدولة العثمانية ، أو المحافظة على الجماعة ، إذ أن الجماعة في مفهومه هي (جماعة التوحيد) الوهابية فقط ، وهم وحدهم: (أهل الحق و المسلمون) ، الذين يجب ان يدخل الآخرون في طاعتهم و جماعتهم.

و في الوقت الذي كان يفترض ان يتصدى الشيخ محمد بن عبد الوهاب بنفسه لقيادة الحركة أو الدولة الوهابية أو (الأمة الإسلامية الجديدة) التي كان يبنيها بيديه ، كما يفعل أي ثائر يجمع أنصاره ويقود الثورة ليؤسس النظام الجديد الذي يريد ، و يجعل نفسه قائدا لذلك النظام الثوري.. لكن الشيخ لسبب أو لآخر ، فضل الاتفاق مع بعض الأمراء المحليين في نجد ، و مبايعتهم بشرط النصرة .

---

١٢٩ – " قال شيخ الاسلام أبو العباس أحمد بن تيمية: كل طائفة ممتنعة عن التزام شريعة من شرائع الاسلام الظاهرة المتواترة فانه يجب قتالهم حتى يلتزموا شرائعه ، وان كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين وملتزمين بعض شرائعه". أبو بطين ، عبد الله بن عبد الرحمن: (مجموع الرسائل والمسائل النجدية) ج٢ ص ١٦٩

وقد كان هذا الاتفاق واضحا في علاقة الشيخ الأولى بأمير العيينة (عثمان بن معمر) كما كان واضحا في اتفاق الشيخ مع أمير الدرعية محمد بن سعود ، الذي بايعه بمفرده فبنى بذلك أساس الدولة السعودية الوهابية.

إذ تقول الرواية التاريخية: إن الشيخ بعد ما طُرد من العيينة لجأ الى دار أحد أنصاره في الدرعية ، و هو الشيخ عبد الله بن سويلم ، على غير علم و لا رضا من أميرها (محمد بن سعود) ، ولكن اخوة الأمير : ثنيان و مشاري ، و زوجته (موضى) و ابنه عبد العزيز ، أقنعوا الأمير بالذهاب الى الشيخ في بيته ، ليرحب به ويعلن تأييده له ويقول له:"إن هذا دين الله ورسوله الذي لا شك فيه ، فأبشر بالنصرة لك و لما أمرت به والجهاد لمن خالف التوحيد" . [١٣٠]

فقال له الشيخ:" وأنا أبشرك بالعز و التمكين و النصر ، وهذه كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسل كلهم . فمن تمسك بها و عمل بها و نصرها ، ملك البلاد و العباد ، وأنت ترى نجداً كلها و أقطارها أطبقت على الشرك و الجهل و الفرقة و الاختلاف و القتال لبعضهم بعضاً ، فأرجو أن تكون إماماً يجتمع عليه المسلمون و ذريتك من بعدك".

فطلب ابن سعود من الشيخ المبايعة ، فبايع الشيخ على ذلك ، و على أن الدم بالدم و الهدم بالهدم ، و على أن الشيخ لا يرغب عنه إن أظهره الله.[١٣١]

ويكاد هذا النص يكون واضحاً في بيعة الشيخ للأمير و بقاء الأمير على إمارته "إماماً يجتمع عليه المسلمون" ، حيث قدم الشيخ له فروض البيعة بشرط النصرة ، و وعده بملك نجد او الجزيرة العربية ، وقدم له الدعم و أضفى صفة "الشرعية الدينية" على نظام حكمه القائم بالفعل .

---

[١٣٠] – ووضع ابن سعود شرطين لنصرته هما: عدم مغادرة الشيخ للدرعية بعد الانتصار ، وقبوله بقانون ابن سعود على ثمار الدرعية كل عام. راجع: ابن غنام:تاريخ نجد ، ص ٨٧ ، وعنوان المجد لابن بشر

[١٣١] – – عثمان بن عبد الله بن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج١ ، ص ٤٢

وقد وافق الشيخ بالتعاون مع أي أمير مستعد لنصرته بغض النظر عن طريقته في الوصول الى السلطة .إذ كان يؤمن أساساً بشرعية إمامة المتغلب ، حيث يقول :"إن الأئمة مجمعون في كل مذهب على أن من تغلب على بلد أو بلدان ، له حكم الإمام في جميع الأشياء . و لولا هذا لما استقامت الدنيا ، لأن الناس من زمن طويل قبل الإمام أحمد بن حنبل الى يومنا هذا ما اجتمعوا على إمام واحد".[١٣٢]

ومع أن رواية ابن غنام كانت واضحة في بيعة الشيخ للأمير ، إلا أن المؤرخ المتأخر عثمان بن بشر يضفي نوعاً من الغموض على حقيقة الاتفاق بينهما عندما يقول :" إن الحل و العقد و الأخذ و العطاء و التقديم و التأخير كان بيد الشيخ ، و لا يركب جيش و لا يصدر رأي من محمد (ابن سعود) و عبد العزيز ، إلا عن قوله و رأيه . فلما فتح الله الرياض عليهم و اتسعت لهم الناحية و أمنت السبل و انقاد كل صعب من باد وحاضر ، جعل الشيخ الأمر بيد عبد العزيز و فوّض أمور المسلمين و بيت المال إليه ، و انسلخ منها بالكلية و لزم العبادة و تعليم العلم ، و لكن ما يقطع عبد العزيز أمراً دونه و لا ينفذ إلا بإذنه".[١٣٣] و هو ما يلقي بعض الغموض حول : من الذي بايع من؟ ومن أصبح الإمام الأعلى؟ هل هو الأمير الفعلي ابن سعود؟ أم الإمام الجديد ابن عبد الوهاب؟

ولكن على أية حال يمكن أن يقال : إن الشيخ قد احتل موقعاً توجيهياً أكبر ، مشابها لموقع (الولي الفقيه) الذي احتله الإمام الخميني في الجمهورية الإسلامية الإيرانية كمرشد أعلى من رئيس الجمهورية. أما الإمام الفعلي فقد ظل هو الأمير

---

[١٣٢] – وقد قال ذلك عندما أحتج البعض عليه بعد ان قام برجم زانية عندما كان قاضيا في (العيينة) في ظل إمارة ابن معمر ، بأنه لا يمتلك تفويضا من الامام الأعظم لتنفيذ العقوبة. ابن غنام : تاريخ نجد ، ص ٤٥٤

[١٣٣] – ابن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج١ ، ص ٤٦

محمد بن سعود . بدليل ان ابن بشر يقول : إن الشيخ اعترف بالأمير ابن سعود "إماما يجتمع عليه المسلمون". و يؤكد هذا المعنى قدوم أمير (العيينة) عثمان بن معمر ، بُعيد الاتفاق بين الشيخ والأمير ، الى (الدرعية) و محاولته استعادة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى قريته ، وتعهده بالنصر و التأييد له. ولو كان (الشيخ) قد أعلن نفسه إماماً رسمياً لخضع ابن معمر له و هو في قريته ، ولما كانت ثمة حاجة لنقل الشيخ الى (العيينة).

و هناك رواية أخرى يذكرها صاحب (لمع الشهاب) ، وهو كاتب مجهول الاسم غير وهابي، تتحدث عن عقد الشيخ صفقة صريحة مع الأمير محمد بن سعود ، حول تقاسم السلطتين الدينية و السياسية و الاتفاق على توارثهما معا في عائلتي الشيخ و الأمير. و ان الشيخ قال لابن سعود:" أريد منك عهداً على انك تجاهد في هذا الدين ، و الرياسة و الإمامة فيك و في ذريتك ، و ان المشيخة و الخلافة في الدين فيّ و في آلي من بعدي أبداً ، بحيث لا ينعقد أمر و لا يقع صلح أو حرب إلا ما نراه كذلك ، فان قبلت هذا فأخبرك : ان الله يطلعك على أمور لم يدركها أحد من عظماء الملوك و السلاطين " فقال الأمير ابن سعود : قبلت وبايعتك على ذلك.[١٣٤]

ويضيف صاحب (لمع الشهاب) بان الشيخ قد هيمن على آل سعود ، ويقول:"صارت الإمامة الكبرى و هي إمامة الدين لمحمد بن عبد الوهاب ، و كذا ما يتبعها من مصالح الدنيا كتدبير الحروب و المصالحة و العداوة و ما يرجع الى آلة الحرب.. و الحاصل انه صار الأمر كله بيد محمد بن عبد الوهاب بحيث كل شيء أراده محمد بن سعود أو أولاده رجعوا به الى محمد بن عبد الوهاب ، فان ارتضاه ارتضوه و ان أباه أبَوه بلا كلام.

[١٣٤] - لمع الشهاب ص ٣٠ –٣١

وكانت العادة جارية بأن يزوره محمد بن سعود كل يوم مرتين صباحا و مساءا ، هو وابنه عبد العزيز و بقية أولاده ، وكانوا يجلسون عنده متئدين صامتين لا ينطقون بشيء ما لم يحادثهم به أولاً ، و يدرسون على يده علم التوحيد".[١٣٥]

وهذه الرواية تدل على تمتع الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمكانة عالية جدا في ظل إمارة آل سعود. ومع إمكانية حدوث ذلك ، إلا أن تلك الصفقة المزعومة بتقاسم السلطتين السياسية و الدينية ، ليست ثابتة تاريخيا ، و لا يبدو ان الشيخ الذي كان مطاردا لاجئا في (الدرعية) ، كان في موقف يسمح له بإملاء شروط على الأمير محمد بن سعود ، و إنما كان يريد اقتناص الفرصة لإقناع الأمير بالموافقة على وجوده في ظل إمارته ، أولاً ، ثم تقديم النصرة والعون له ، ثانياً. وقد تخلى الشيخ من أجل ذلك عن شرط (القرشية) في الإمام ، الوارد في بعض الأحاديث النبوية ، و الذي دأب أهل السنة والحديث ، و خصوصا الحنابلة ، على الالتزام به.

بيد انه يمكن القول ان الشيخ أقام فعلاً نظاماً ثنائياً مزدوجا يجمع بين الإمارة و المشيخة الدينية ، و اكتفى من النظام السعودي بدعم المبادئ الوهابية ، مع المحافظة على احترام دور رجال الدين ، الذين سيسيطر عليهم ، لقرون قادمة ، أبناء الشيخ و أحفاده تقريباً ، بما يشبه التحالف القبلي.

الولادة السلمية

---

[١٣٥] - المصدر ، ص ٣٥

وكما لاحظنا فان الولادة الأولى للدولة الوهابية لم تكن عسكرية عنيفة و إنما كانت ثقافية سلمية ، وفي الحقيقة كان للظروف الجغرافية والسياسية و الاجتماعية و الديموغرافية المحيطة بنجد ، أبان انطلاقة الحركة الوهابية في منتصف القرن الثاني عشر الهجري ، دور كبير في طبيعة حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب و ولادتها السلمية ، حيث كانت نجد تقع في عمق الصحراء العربية وفقيرة تعيش على هامش الدولة العثمانية التي زهدت فيها ولم تهيمن عليها عسكريا و إنما اكتفت بالسيطرة على الأقاليم المحيطة بها كالحجاز و اليمن و الأحساء و العراق و الشام ، و هذا ما أعطى نجداً فرصة قيام إمارات متعددة في كل قرية و مدينة و مضرب قبيلة في الصحراء. و عندما بدأ عبد الوهاب يبشر بأفكاره الإصلاحية في (حُريملا) ، استطاع أن يكسب عددا من الأنصار ، ولكنه تعرض أيضا الى مضايقات و محاولة للاغتيال ، مما اضطره لمغادرة القرية و اللجوء الى قريته الأولى (العيينة) و أميرها عثمان بن معمر ، الذي سارع الى نصرته و تأييده ، فمكث في ظل حمايته بضع سنين (من ١١٤٣ الى ١١٥٧) ، و استطاع خلالها ان يكتسب المزيد من الأنصار و المؤيدين ، بحيث قام بتنفيذ بعض ما كانوا يدعو اليه كهدم عدد من القبور (كقبر زيد بن الخطاب) و قطع بعض الأشجار التي كان يلجأ اليها بعض الجهال لقضاء حوائجهم ، و إقامة الحد على امرأة زانية ، و ذلك بدعم قوي و مباشر من الأمير.

و لكن اتساع المعارضة للشيخ محمد بن عبد الوهاب في داخل نجد وخارجها ، و خاصة في الأحساء ، أجبر الأمير عثمان بن معمر على وقف دعمه للشيخ و الطلب منه مغادرة (العيينة) بسلام ، فاتجه الشيخ الى قرية أخرى هي (الدرعية) التي كان عدد من أخوة أميرها محمد بن سعود قد تأثروا بأفكاره و مالوا اليه. و نجح بسرعة في كسب الأمير الى جانبه و الانطلاق لتأسيس الدولة الوهابية الأولى.

و لو كانت هنالك وحدة سياسية في نجد ، شاملة و واسعة ، لما استطاع الشيخ عبد الوهاب ان يتنقل من إمارة الى أخرى ، و ربما اضطر الى اللجوء الى العمل السري او الهرب في الصحاري و الجبال ، الا أن تعدد الإمارات في نجد و اختلافها ، و ربما تنافسها فيما بينها ، دفع الشيخ الى اعتماد سياسة التعاون و التحالف مع الأمراء بدل الثورة عليهم و الخروج ضدهم. ولم تمض سنوات قليلة حتى نجح الشيخ في ضم عدد من القرى المجاورة للدرعية اليها ، كمنفوحة و حريملا و ضرما و ثرمدا و العيينة التي عاد أميرها ابن معمر فندم على طرده للشيخ منها و أعلن انضمامه الى الكيان الوهابي الوليد.

وقد تمت ولادة ذلك الكيان الأول بصورة سلمية ، لأنها كانت عبارة عن تحول ثقافي لدى أمراء بعض القرى و البلدات النجدية في إقليم (العارض) و انضمام بعضها الى بعض تحت قيادة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. ولم تشكل الولادة الأولى عملية خروج سافرة على الدولة العثمانية ، لأن هذه الأخيرة – كما قلنا – لم تكن تهيمن عسكريا على نجد ، التي كانت تخضع لسلطة الأمراء المحليين المنتخبين من قبائلها او المسيطرين عليها بالقوة. ولم يكن يوجد فيها والٍ عثماني أو حامية عسكرية ، و إنما كانت تخضع لنفوذ أمراء الحجاز أو الاحساء الذين كانوا بدورهم تابعين للخلافة العثمانية ، و لذلك كان أئمة المساجد يكتفون بالدعاء للسلطان العثماني في خطب الجمعة. وعندما قام الشيخ عبد الوهاب بحركته منع أئمة المساجد من الدعاء للسلاطين بحجة أن ذلك من الأمور البدعية.[١٣٦] أو " ان السلطان فاسق لا يجوز تمجيده".[١٣٧] ومع ذلك فان المنع لم يشكل علامة كبيرة على الخروج ، حيث ظل الشيخ يحرص على إقامة علاقات طيبة مع شريف مكة و من ورائه الدولة العثمانية.[١٣٨]

---

[١٣٦] – ابن عثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية ص ٣٧

[١٣٧] – ابن غنام: تاريخ نجد ،ج١ ص ٢٧٢

[١٣٨] – المصدر ، ص ١٣٦

الفصل الثالث

ملامح التجربة السياسية الوهابية

١ – سياسة الاستبداد و القهر و الغلبة

لقد كان النظام السياسي في تلك الأيام بصورة عامة ، والبدوي بصورة خاصة ، يقوم على القوة و الوراثة و ليس الشورى و الانتخاب ، وكان يعاني من خلل كبير هو: التباس حق الخلافة في الإمارة عندما يموت الأمير و ليس له ابن رشيد ، أو ذو مقدرة معترف بها ليتولى مقاليد الحكم ، إذ يقع النزاع المسلح على الخلافة بين المتنافسين من اخوة و أعمام و أولاد الأعمام ، فتقع نتيجة لذلك سلسلة من الحروب الداخلية لا تنتهي الا بدمار المجتمع وزرع مزيد من العداوة والبغضاء فيه . وكان ينتظر من أي مصلح خاصة إذا كان يهدف الى التجديد في الدين ، أن يحل هذه المشكلة المزمنة ليعيد الأمور الى طبيعتها و يقيم نظاماً إسلاميا يقوم على الشورى و الاختيار و التبادل السلمي للسلطة ، و لكن الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي كان يركز على موضوع إصلاح العقيدة الإسلامية و محاربة الشرك في الأمة ، لم يلتفت كثيرا الى مشكلة النظام السياسي ، و انخرط في النظام البدوي الوراثي القائم ، بل كرس ذلك النظام و أعطاه شرعية دينية و بايع الأمير محمد بن سعود بدلا من أن يأخذ البيعة من الأمير له.

وعلى أية حال فان اتفاق الشيخ مع الأمير ، لم يطرح أي تصور واضح عن العلاقة بين الحركة الوهابية وبين آل سعود ، ولم يتضمن أي حديث عن نظام الشورى او مشاركة الأمة في انتخاب الامام ، ولم يشر الى أي دور له أو لذريته في تعيين الامام في المستقبل ، أو كيفية إدارة الدولة و اتخاذ القرارات المهمة فيها. كما لم يتحدث عن طريقة تبادل السلطة داخل الإمارة بين الأبناء و الإخوان من

آل سعود ، و إنما ترك كل ذلك لما اعتاد عليه النظام القبلي و لإرادة الأمير الحاكم.

و هكذا اتخذت التجربة الوهابية السعودية الأولى التي قامت على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود عام ١١٥٨هـ صفة الحكم الاستبدادي المطلق ، وخلت من أي صورة من صور المشاركة الشعبية ، سواء في داخل الحركة الوهابية او بالنسبة للجماهير التي خضعت لحكم الدولة التي أقامتها باسم الوهابية [١٣٩].

وعلى رغم ان الشيخ محمد بن عبد الوهاب عاش فترة طويلة في ظل إمارة آل سعود (حوالي أربعين عاما) ، و شهد نجاحها في السيطرة على تمام نجد ، الا انه مع ذلك لم يقدم تصوراً مستقراً و متكاملاً عن النظام السياسي او المشاركة الشعبية او العلمائية فيه ، ما عدا مشاركته هو و مشاركة أبنائه في إرشاد الأمراء بشكل شخصي ، او تقديم المشورة غير الملزمة لهم ، إذا استثنينا بالطبع الحالة الخاصة التي كان يهيمن فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب على السلطة في ظل إمارة محمد بن سعود و ابنه عبد العزيز.

وإذا كان أمراء آل سعود قد قاموا في بعض الأحيان ، بتشكيل مجالس استشارية ضمت عددا من رؤساء القبائل و حكام الأقاليم و أهل العلم ، و لكن عملية الاستشارة ،أو مجالس الشورى تلك، لم تكن لتلزم الأمراء ، الذين كانوا يتخذون القرارات بصورة فردية.

---

[١٣٩] – يذكر عثمان بن بشر في (عنوان المجد في تاريخ نجد) ج١ ص ٦١ : ان أهل بلد العيينة ارتأوا عام ١١٦٣ بعد مقتل أميرهم عثمان بن معمر ، أن لا يتأمر عليهم أحد من رؤسائها (من آل معمر) خوفا من أن ينالهم منهم أذى ، فلم يوافقهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي استعمل عليهم مشاري بن معمر.

و للإنصاف لم يكن أحد يتوقع من الشيخ عبد الوهاب أن يقوم في تلك الأجواء الفكرية السائدة في العالم آنذاك ، و الظروف الموضوعية التي كانت تمر بها صحاري نجد ، بتغيير أسس النظام الاجتماعي والسياسي البدوي الحاكم واستبداله بنظام الشورى المهمل منذ القرن الهجري الأول.

ونظرا لغياب نظام الشورى و عدم وجود آلية لمحاسبة الأمراء المتمردين أو المخالفين لأوامر القيادة العليا ، لم يكن أمام النظام الوهابي الجديد سوى اللجوء الى القوة لحل الخلافات الداخلية. كما حدث مع الأمير عثمان بن معمر الذي كان قد أصبح قائداً أعلى للقوات الوهابية عام ١١٦١هـ ، والذي حاول أن يسلك طريق الصلح والسلام مع خصوم الدعوة الوهابية وخصوصا مع أمير الرياض دهام بن دواس ، الذي دعاه الى العيينة للحوار معه و أرسل الى الشيخ محمد بن عبد الوهاب وألحّ عليه بالحضور ، ولكن الشيخ رفض الصلح واللقاء بدهام. [١٤٠] و قرر بدلاً من ذلك تصفية عثمان بن معمر اغتيالاً ، فأرسل اليه من يقتله في المسجد بعد أداء صلاة الجمعة ، في منتصف رجب عام ١١٦٣هـ . [١٤١]

---

[١٤٠] – ابن غنام ، تاريخ نجد ، ص ١٠٠

[١٤١] – يقول الشيخ حسين بن غنام:" لما تزايد شرّ عثمان بن معمر على أهل التوحيد ، وظهر بغضه لهم وموالاته لأهل الباطل ، وتبين الشيخ محمد بن عبد الوهاب صدق ما كان يروى عنه ، وجاءه أهل البلاد كافة وشكوا اليه خشيتهم من غدره بالمسلمين قال الشيخ حينئذ لمن وفد عليه من أهل العيينة :"أريد منكم البيعة على دين الله ورسوله ومعاداة من عاداه وموالاة من والاه ، ولو أنه أميركم عثمان".. فلما انقضت صلاة الجمعة قتلوه في مصلاه بالمسجد في رجب سنة ١١٦٣هـ، فلما بلغ الخبر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ركب الى بلد العيينة.. واستعمل فيها أميراً مشاري بن معمر . ابن غنام: تاريخ نجد ص١٠٣ و– ابن بشر: عنوان المجد ، ج١ ص ٦٠ – ٦١

وكان موضوع تكفير المسلمين الذين لا يؤمنون بمبادئ الوهابية ، و إعلان الحرب عليهم ، موضع خلاف داخلي و تململ في صفوف الكيان الوهابي الجديد في أيامه الأولى ، حيث ألّف الشيخ سليمان بن عبد الوهاب (أخو الشيخ محمد) ، الذي كان يشغل منصب القضاء في حريملا ، كتاباً يرفض فيه بشدة عملية التكفير لعموم المسلمين .

وقد أدى انتشار ذلك الكتاب ورفض الشيخ محمد مبادرة الصلح الى حدوث تململ عام في كافة المدن والقرى الوهابية ، فانشق أمير ثرمدا إبراهيم بن سلمان ، و قام أمير ضرما ، إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن سنة ١١٦٤ بالتمرد ، و تبعه أهل حريملا بإعلان الاستقلال عن حكم آل سعود سنة ١١٦٥ ، وإخراج الوهابيين من بلدتهم ، وقتل أميرهم محمد بن عبد الله المبارك.[١٤٢]و هكذا فعل أهل (منفوحة) الذين طردوا في السنة التالية أميرهم محمد بن صالح وتمردوا على القيادة الوهابية.[١٤٣] وأرسل الشيخ سليمان رجلا من أنصاره الى العيينة ، اسمه (سليمان بن خويطر) وأعطاه كتابه و أمره ان يقرأه في المحافل و البيوت ، فأثر في قلوب بعض أهل العيينة . كما تأثر بعض أهل الدرعية نفسها بفكر الشيخ سليمان ، المعتدل و الرافض للتكفير.

وبدلا من فتح باب الحوار حول الموضوع ، أمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب بإلقاء القبض على (سليمان بن خويطر) بتهمة ترويج كتاب أخيه ، و أصدر أمرا بإعدامه ، فقتل.[١٤٤] و قامت مجموعة وهابية بالهجوم على أمير ضرما المتمرد ابراهيم بن محمد و قتله في مجلسه .[١٤٥] ولكن المعارضة لم تخمد ، وكادت أن تتحول الى انتفاضة عامة ، فأوعز الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى أمير ضرما

---

[١٤٢] – ابن غنام: تاريخ نجد ، ص ١٠٦

[١٤٣] – المصدر ، ص ١٠٦

[١٤٤] – المصدر ، ص ١٠٨

[١٤٥] – المصدر ، ص ١٠٤

الجديد محمد بن عبد الله بالتصرف كيفما يشاء معها ، فبادر هذا الى اعتقال المشكوك فيهم وإعدامهم صبراً.[١٤٦] و قامت القوات الوهابية بالهجوم على ثرمدا ، و قتل حوالي سبعين شخصا من أهلها "المرتدين".[١٤٧] ثم قام عبد العزيز بن محمد بن سعود سنة ١١٦٨ بمهاجمة حريملا والقضاء على حركة التمرد التي استمرت أربع سنوات ، و إخضاع البلدة بالقوة ، بعد أن قتل من أهلها مائة رجل . وصادر أموال الناس الذين هربوا في الشعاب والجبال .[١٤٨] و قام بعد ذلك بمهاجمة (منفوحة) ومقاتلة أهلها و صادر كثيرا من الإبل و البقر و الحمير. [١٤٩]

الجذور التاريخية لنظرية القهر و الغلبة

من المعروف ان الفكر السياسي الإسلامي عموما انقسم ، منذ العصر الأول ، الى مدرستين رئيسيتين هما المدرسة السنية التي تقول بالشورى والمدرسة الشيعية (الامامية) التي تقول بالنص والتعيين ، حيث قالت المدرسة السنية ، بصورة عامة ، بنظرية الشورى في الحكم ، و عدم تعيين الرسول الأعظم محمد (ص) لأي خليفة من بعده بالنص ، خلافا للمدرسة الامامية التي قالت بأن النبي قد عين خليفته من بعده ، و أنه قد حصر الخلافة في أهل البيت. و تبعا لذلك فقد آمنت المدرسة السنية بشرعية خلافة أبى بكر و عمر و عثمان و علي ، عن طريق البيعة و الانتخاب بالصور المختلفة التي تمت بها .

---

[١٤٦] – ابن غنام: تاريخ نجد ، ص ١٠٨

[١٤٧] – ابن غنام ، تاريخ نجد ، ص ١٠٢

[١٤٨] – ابن غنام: تاريخ نجد ، ص ١٠٩

[١٤٩] – ابن غنام ، تاريخ نجد ، ص ١١١

وبغض النظر عن تحول الخلافة في العهدين الأموي و العباسي الى نظام وراثي قائم على القوة ، الا ان المتكلمين السنة ظلوا يتحدثون عن البيعة و الشورى كأساس لشرعية النظام ، كما فعل الأشعري في (الإبانة) والباقلاني في (تمهيد الاوائل): حيث قال " إنما يصير الإمام إماما بعقد من يعقد له الامامة من أفاضل المسلمين الذين هم أهل الحل والعقد المؤتمنين على هذا الشأن " .

ومع ان بيعة أهل الحل و العقد و أفاضل المسلمين لم تكن دائما تمثل عموم المسلمين ، الا انها كانت تلبي ، بدرجة ما ، طموح أصحاب نظرية الشورى و الراغبين بقيام الحكم الإسلامي على أساس من الشرعية الدستورية المبنية على الانتخاب و الشورى و رضا الأمة ، و ليس القوة و القهر و الغلبة. ولكن هذه الرغبة تراجعت قليلا ، في القرن الثالث الهجري مع الإمام أحمد بن حنبل الذي اشتهر عنه القول:" بأن من غلبهم صار خليفة و سُمّيَ اميرَ المؤمنين ، ولا يحل لأحد يؤمن الله واليوم الآخر أن يبيت و لا يراه إماما عليه ، بَراً كان أو فاجراً ، فهو أمير المؤمنين ". ثم جاء أبو يوسف الماوردي ، في القرن الخامس الهجري ، ليقبل في (الأحكام السلطانية) إمارة الاضطرار والاستيلاء ، الى جانب عملية العهد من الامام السابق الى اللاحق ، و اختيار أهل الحل والعقد.

ولكن الفكر السياسي الإسلامي عاد فارتقى من جديد الى روح الشورى ، مع الفقيه الحنبلي أبي يعلى (٤٥٨هـ) الذي رفض عقد الخلافة الا ببيعة جمهور أهل الحل والعقد ، و رفض إمامة المعهود اليه الا بانعقادها بعد موت العاهد باختيار أهل الوقت. و فسر قول الامام أحمد (من غلبهم بالسيف صار خليفة) أنه أراد غلبة نظرائه ممن يطلب الأمر ، فإذا غلبهم فبايعه الناس بعد ذلك صار خليفة ، و لم يرد به أنه يصير بنفس الغلبة خليفة.

ثم أصبح الفكر السياسي الإسلامي (السني) أكثر واقعية و انعكاسا لطبيعة الأنظمة القائمة ، عندما أخذ الفقهاء يعترفون بصراحة بشرعية الطريق الثالث القائم على القوة والقهر و الغلبة ، الى جانب اختيار أهل الحل والعقد و ولاية العهد ،

حيث اعترف الجويني في كتابه (الغياثى) بإمكانية غياب الامام الحق ، و قرر إمامة المستولي غير المستجمع للشروط ما دام متغلبا و مستبدا بالسلطة، وسماه (والياً) و اشترط عليه مراجعة العلماء. وقال ابن قدامة (٦٣٠هـ) في (الكافي – كتاب أهل البغي) : " كل من ثبتت إمامته حرم الخروج عليه وقتاله سواء ثبتت بإجماع المسلمين عليه كإمامة أبي بكر الصديق أو بعهد الامام الذي قبله كعهد أبي بكر الى عمر ، أو بقهره للناس حتى أذعنوا له و دعوه إماماً كعبد الملك بن مروان". وأقر يحيى بن شرف النووي (٦٧٧هـ) في (منهاج الطالبين) و (روضة الطالبين) : القهر و الغلبة كوسيلة مشروعة للاستيلاء على السلطة ، حيث قال بصراحة:" تنعقد الامامة بثلاثة طرق ... البيعة.. واستخلاف الامام من قبل و عهده اليه .. و أما الطريق الثالث : فهو القهر والاستيلاء ، فإذا مات الامام فتصدى للإمامة من جمع شرائطها من غير استخلاف ولا بيعة ، وقهر الناس بشوكته وجنوده انعقدت خلافته لينتظم شمل المسلمين ، فان لم يكن جامعا للشرائط بأن يكون فاسقا أو جاهلا فوجهان: أصحهما انعقاده لما ذكرناه و ان كان عاصيا بفعله".

و هكذا قال البناني ، (١١٩٤هـ) ، المعاصر للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، في (حاشية البناني على شرح الزرقاني) : " اعلم أن الإمامة تثبت بأحد أمور ثلاثة: اما بيعة أهل الحل و العقد ، واما بعهد الامام الذي قبله ، و اما بتغلبه على الناس ، و حينئذ فلا يشترط فيه شرط ، لأن من اشتدت على الناس وطأته وجبت طاعته".

بل ان فقيها مثل (ابن عابدين) اعتبر الإمامة مقرونة بالقوة و دائرة مدارها ، و سلب الشرعية من الامام الذي يبايعه الناس و لا يملك القوة ، وقال : " يصير (الإمام) اماماً بالتغلب و نفاذ الحكم و القهر بدون مبايعة ، او استخلاف ، فان بايعه الناس ولم ينفذ حكمه فيهم لعجزه لا يصير اماماً ".

نظرية ابن تيمية السياسية

في هذا السياق من تدهور الفكر السياسي الإسلامي و اعترافه بالأمر الواقع ، أو إضفاء نوع من الشرعية عليه ، و الاستسلام لنظرية القوة والقهر و الغلبة ، و الابتعاد عن نظرية الشورى ، جاء الشيخ أحمد بن تيمية ، الذي قام بمراجعة شاملة للفكر الإسلامي ، و دخل في مجادلات صاخبة مع جميع التيارات و المدارس و الفرق الإسلامية المختلفة ، و انتقد كثيرا من الظواهر السلبية في المجتمع الإسلامي ، فنظر الى المشكلة السياسية من زاوية انسجام الحكام مع الشريعة الإسلامية أو عدم انسجامهم ، وطرح نظرية التوحيد في الألوهية ، أي عبادة الله وحده لا شريك له ، تلك العبادة التي لا تتحقق الا باتباع الشريعة الإلهية . وعلى رغم اقتضاء تلك النظرية للحديث بتفصيل عن العدالة في الحكم و شروط الحاكم و صفاته و كيفية وصوله الى السلطة بطرق شرعية ، الا إن الشيخ ابن تيمية لم يبحث مشكلة السلطة من ناحية طرق الحصول عليها ، ولم يجد أية ضرورة لبحث موضوع الشورى و اشتراط مجيء الحكام عبر أهل الحل والعقد ، أو حصولهم على رضا الأمة .

وقدم ابن تيمية نظرة واقعية الى موضوع السلطة شبيهة بنظرة المؤرخ الاجتماعي ابن خلدون ، إذ فصل مختلف الأنظمة السياسية التي مرت على العالم الإسلامي ، عن خلافة النبوة ، التي قال انها استمرت ثلاثين سنة فقط ، و انها اختلطت بعد ذلك بالملك او تحولت الى ملك خالص . و اعتمد ابن تيمية في تحليله التاريخي لمسألة السلطة على حديث منسوب الى الرسول الأعظم يقول فيه:

"تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها.

ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها.

ثم تكون ملكاً عضوضاً فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها.

ثم تكون ملكاً جبريا ، فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها.

ثم تكون خلافة على منهاج النبوة " ثم سكت.

وقال ابن تيمية : " إن شوب الخلافة بالملك جائز في شريعتنا ، ومعاوية قد شابها الملك ، وليس هذا قادحا في خلافته" وإن " انتقال الأمر عن خلافة النبوة الى الملك إما ان يكون لعجز العباد عن خلافة النبوة ، أو اجتهاد سائغ ، أو مع القدرة على ذلك علماً وعملاً ، فان كان مع العجز كان ذو الملك معذوراً في ذلك... وان كان مع القدرة علما وعملا ، وقدّر أن خلافة النبوة مستحبة ليست واجبة و ان اختيار الملك جائز في شريعتنا كجوازه في غير شريعتنا ، فهذا التقدير إذا فرض أنه حق فلا إثم على الملك العادل أيضا". [١٥٠]

و بينما كانت الخلافة عند عامة العلماء من أهل السنة اما صحيحة و اما باطلة ولا توسط بينهما ، وان معيار الإمامة الشرعية هو من جهة انعقادها أو توليتها ، لم يذكر ابن تيمية في (السياسة الشرعية) مسألة تنصيب الإمام ، لأن الخلافة الراشدة انتهت في نظره خلال السنوات الثلاثين الأولى بعد وفاة الرسول الأعظم ، ولن تعود ثانية ، و أنها كانت تستند الى نصوص ولم تقم على أساس الشورى.

إضافة الى أنه كان يعتقد أن إمامة الراشدين ذاتها كانت قائمة على الغلبة و السيطرة ، إذ يقول : إن " الامام هو من يقتدى به ، وصاحب يد وسيف يطاع

---

[١٥٠] – ابن تيمية: مجموع الفتاوى ، ج٣٥ ص ٢٥

طوعا وكرها... و هذان الوصفان كانا كاملين في الخلفاء الراشدين".[151] ويقول: " إن الامام الذي يطاع هو من كان له سلطان ، سواء كان عادلاً أو ظالما". [152]

وقد توصل ابن تيمية من خلال ذلك التحليل الى جواز قيام الأنظمة السياسية على أساس القوة والقهر و الغلبة ، و قال: إن الإمامة " تثبت بموافقة أهل الشوكة عليها ، و لا يصير الرجل إماما حتى يوافقه أهل الشوكة الذين يحصل بطاعتهم له مقصود الإمامة ، فان المقصود من الإمامة إنما يحصل بالقدرة و السلطان... و أما نفس الولاية والسلطان فهو عبارة عن القدرة الحاصلة ، ثم قد تحصل على وجه يحبه الله ورسوله كسلطان الخلفاء الراشدين ، و قد تحصل على وجه فيه معصية كسلطان الظالمين".[153]

لقد كان ابن تيمية يعتقد ان الإمامة تقوم على أساسين هما: (القوة والأمانة) بناء على نصوص قرآنية و رد فيها ذكر القوة قبل الأمانة مثل قوله تعالى (إن خير من استأجرت القوي الأمين) وقول صاحب مصر ليوسف (ع): (انك اليوم لدينا مكين أمين) و قول أحمد ابن حنبل : (أما الفاجر القوي ، فقوته للمسلمين ، و فجوره على نفسه ، و أما الصالح الضعيف فصلاحه لنفسه و ضعفه على المسلمين). ومن هنا فقد جمع ابن تيمية صفات الولاية في صفتين رئيسيتين هما القوة و الأمانة ، وقد اختلف في هذا عن فقهاء أهل السنة و غيرهم من الذين اشترطوا صفات عديدة في الإمام أو عينوا طرقا محددة لتولي السلطة ، حيث كانت القوة عنده أهم وأكثر ضرورة ولا بد منها ، و الأمانة تابع للقدرة ، فهي حينئذ مكملة لها أو هي التي تضفي عليها المثالية ، و بتعبير آخر فان القدرة هي أساس الولاية الواقعي ، بينما الأمانة هي مطلوب الولاية الشرعي.

---

[151] – ابن تيمية: مجموع الفتاوى ، ج١ ص ١٣٥

[152] – المصدر ، ج١ ص ١٤٩

[153] – ابن تيمية:منهاج السنة النبوية ج ١ ص ١٤١– ١٤٢

و بعد القبول بفلسفة القوة في السلطة كان لا بد من التراجع عن كثير من الأمور المثالية والشروط التي ذكرها العلماء السنة السابقون و أكدتها أحاديث نبوية عديدة ، تتعلق بصفات الحاكم الإسلامي ، مثل شرط "القرشية" الوارد في بعض الأحاديث النبوية مثل: (الإمامة في قريش) أو (إن هذا الأمر لقريش ما أقاموا الدين) ، و الذي دأب أهل السنة والحديث ، و خصوصا الحنابلة ، على الالتزام به ، وكذلك التقوى و العدالة والعلم و الكفاءة ورضا الأمة أو بيعة أهل الحل والعقد.

وربما كان تخلي ابن تيمية عن مبدأ الشورى في الحكم ، يعود الى النظرة السلبية التي كان ينظر من خلالها الى (الأمة الإسلامية) بعد أن قال بانحرافها و تدهورها و ضلال معظم فرقها و طوائفها ، وبغربة الإسلام فيها ، استنادا الى بعض الأحاديث التي تتحدث عن (غربة الإسلام) وعن أفضلية القرن الأول ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم. فقد كان ابن تيمية يعتقد أن الأمة الإسلامية ليست كلها على الحق ولا هي مضمونة النجاة ، و إنما بعض منها وهم (أهل الحديث) الذين كانوا يشكلون (الفرقة الناجية).[١٥٤] و يقول:" إن الله لم يكن ليجمع هذه الأمة على ضلالة ، و إنه لا يزال فيها طائفة ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم و لا من خذلهم ، و لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسا يستعملهم فيه بطاعة الله".[١٥٥]

و من المعروف ان ابن تيمية قد أخرج معظم طوائف الأمة و فرقها حتى الأشاعرة (السنة) من أهل الحق. ولم يكن مفهوم (الأمة) عنده بالمعنى المعروف المتبادر ، أي الجماعة الشاملة التي تتخذ الإسلام دينا لها ، بكل فرقها ، وكما

---

[١٥٤] – ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ، ج٤ ص ٢٣٥

[١٥٥] – المصدر ، ج٤ ص ٢٣٥

تكونت وتطورت في الواقع التاريخي ، بل كان معنى (الأمة) عنده هي: (الجماعة الجزئية) وهي : (أهل الحديث) أو (أهل الحديث والقرآن) أو (أهل السنة والجماعة) كما يسميهم.[١٥٦]

وبما أن (أهل الحديث) ، أو (أهل الحق) لا يشكلون – بالضرورة – الأغلبية دائما ، وخاصة في زمان "اغتراب الإسلام" فقد كان من المستحيل ان يحتكم ابن تيمية الى الشورى و الأغلبية أو يشترط حصول الإمام على رضا الأمة ، وكان من الطبيعي ان يميل الى نظرية القهر والغلبة ، و يضفي نوعا من الشرعية على حكومات الأمر الواقع ، بغض الطرف عن الطريقة التي استولت فيها على السلطة.

ومن هنا كان من المتوقع جدا أن يلغي الشيخ محمد بن عبد الوهاب (الشورى) من قاموسه السياسي ، وأن لا يفكر بالسماح للجماهير الواسعة بالمشاركة في الحكم ، أو يشترط رضاها أو رضا أهل الحل و العقد في تنصيب الإمام ، وأن يعتمد على القوة و العنف في توسيع رقعة الدولة السعودية الوهابية الأولى . ولم يكن يحتاج لاستيراد الفكر السلفي الذي يبيح استخدام القوة في الاستيلاء على السلطة أو يعتبر (الشوكة) أساساً للحكم. و ذلك لأنه كان يرى نفسه منخرطا في عملية ثقافية جذرية ، أكبر من مجرد بناء نظام سياسي ، و ينظر الى موقعه تماماً كموقع النبي أمام أهل الجاهلية ، حيث لم يكن يوجد أي معنى لمنحهم حق ممارسة الشورى أو السماح لهم بالمشاركة في بناء الدولة الإسلامية أو اختيار الإمام أو اتخاذ القرارات العسكرية و السياسية .

ولم يكن يملك ما يضيفه على الفكر السياسي الموروث من ابن تيمية ، أو يشكك فيه ، أو يقدم بديلا جديدا عنه ، وهو الذي قام بحركة ذات صبغة فكرية عقدية ، أكثر منها سياسية.

---

[١٥٦] – حسن كو نا كاتا ، النظرية السياسية عند ابن تيمية ، ص ١٣٢

الدعوة الى طاعة الإمام وتحريم الخروج عليه

وإضافة الى إيمان الشيخ محمد بن عبد الوهاب بشرعية الحاكم المتغلب والقاهر ، و رفضه للشورى، كان يدعو الناس الى طاعة الإمام في ظل الدولة الوهابية و التسليم له ، و يحرم الثورة عليه ، بغض النظر عن طبيعة سياسته وسلوكه ، إذ يقول:" أرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين ، برهم و فاجرهم ما لم يأمروا بمعصية الله".[١٥٧] و" إن من تمام الاجتماع : السمع والطاعة لمن تأمر علينا ولو كان عبدا حبشيا".[١٥٨] ويقول:" من ولي الخلافة و اجتمع عليه الناس و رضوا به ، و غلبهم بسيفه حتى صار خليفة ، وجبت طاعته وحرم الخروج عليه".[١٥٩] وذلك ضمن السياق العام للموقف السني المدعوم بروايات كثيرة حول الموضوع. [١٦٠]

---

[١٥٧] – عبد الرحمن بن محمد بن قاسم : الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١ ، ص ٣٠ و ٣٣

[١٥٨] – المصدر ، ج١ ، ص ١٧٣

[١٥٩] – المصدر ، ج١ ، ص ٣٠ و ٣٣

[١٦٠] – مثل: "من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصيته ولا ينزعن يداً عن طاعة". و "من كره من أميره شيئاً فليصبر عليه فإنه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبراً فمات عليه الاّ مات ميتة جاهلية " و ما روي عن ابي سلام قال حذيفة بن اليمان قلت يا رسول الله: إنّا كنا بشر ، فجاء الله بخير، فنحن منه ، فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال نعم، قلت: كيف؟ قال يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشيطان في جثمان انس؟ قال قلت كيف أصنع يا رسول الله إن ادركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأطع" وانه"سيليكم بعدي ولاة فيليكم البرّ ببره ، ويليكم الفاجر بفجوره ، فاسمعوا لهم وأطيعوا في كلّ ما وافق الحق ، فأن احسنوا فلكم ولهم وأن أساءوا فلكم وعليهم " وما روي عن سليمة بن يزيد الجعفري أنه سأل رسول الله(ص) فقال: يا نبي الله أرأيت ان

وعلى رغم وجود رأي لابن تيمية يجيز على ضوئه الخروج على أي حاكم ، بشرط الالتزام بالشريعة الإسلامية ، وعدم إدانته للخروج بصورة عامة الا إذا كان خروجا على الشريعة [١٦١]، فإن الفكر السياسي الوهابي ، بعد إقامة الدولة

قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا؟ فأعرض عنه ، ثم سأله ثانية فاعرض عنه ، ثم سأله في الثانية او في الثالثة فجذبه وقال: "اسمعوا واطيعوا فانما عليهم ما حمّلوا وعليكم ما حمّلتم" .

وبناء على ذلك قال الشيخ حسن بن الشيخ حسين ، حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب :".. والانقياد لمن ولاه الله عز وجل أمركم ، لا تنزع يدا من طاعة ولا تخرج عليه بسيف حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا ، ولا تخرج على السلطان ، وتسمع وتطع ولا تنكث بيعته ، فمن فعل ذلك فهو مبتدع مخالف مفارق للجماعة ، وإن أمرك السلطان بأمر فيه لله معصية ، فليس لك أن تطيعه ألبتة ، وليس لك أن تخرج عليه ولا تمنعه حقه"- عبد الرحمن بن محمد بن قاسم : الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١ ، ص ٣٤٨

[١٦١] - كان ابن تيمية يرفض بصورة أولية الثورة على الحكام المستبدين ويقول :" المشهور في مذهب اهل السنة انهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف ، وإن كان فيهم ظلم ، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي (ص).. لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم ، فيدافع أعظم الفسادين بالتزام الأذى ولا نكاد نعرف طائفة خرجت على ذي السلطان الا كان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي ازالته ". (ابن تيمية: الاستقامة ج١ ص ٣٣٠) ولكن ابن تيمية لم يجعل الامام مصدر الشرعية ، وانما العمل بالشريعة ، ولذلك فتح نافذة واسعة على الثورة ، وكان يرفض الانجرار لقتال الخوارج ، بسبب احتمال اعتماد الخوارج على التأويل . وقد نفى وجود أي حديث صحيح يأمر بقتال الخارجين على الامام ، وقال إن الحديث الوحيد الذي يذكره القائلون بذلك ، هو حديث كوثر بن حكيم عن نافع ، وهو حديث موضوع ، و أما الأحاديث الصحيحة التي جاءت في قتال الخارجين فهي تنص على قتال الخارجين عن الشريعة لا على الامام . وقال : " أما القتال لمن لم يخرج الا عن طاعة امام معين فليس في النصوص أمر بذلك ". وكان ابن تيمية يقول بجواز الخروج على الامام العادل نظرا لشبهة أو تأويل كما خرج معاوية بن أبي سفيان على الامام علي بن أبي طالب . (ابن تيمية: مجموع الفتاوى ، ج٤ ص ٤٥٠ – ٤٥٢)

السعودية ، غض الطرف عن ذلك الرأي و عاد ليتمسك بالرأي السني القديم الذي يحرم الخروج على الحاكم بصورة مطلقة.

و كانت فكرة الطاعة المطلقة للإمام قد ارتبطت من قبل ، في الفكر السياسي السلفي (السني) ، بنظرية شرعية إمامة المتغلب بغض النظر عن تحقيق العدالة الاجتماعية و المساواة أو الالتزام بالقانون ، وتهميش دور الأمة في عملية الإصلاح الاجتماعي أو المعارضة السياسية ، و ترك المجال السياسي للأمراء و الحكام يتصارعون فيه فيما بينهم حتى يغلب أحدهم على الآخر. و قد أضاف الفكر الوهابي الى ذلك وجوب التسليم والخضوع لأئمة الدعوة الوهابية من قبل أبناء الحركة ، فضلا عن عامة الناس . [١٦٢]

وبناء على ذلك فان الشيخ لم يعط الأمة أو الحركة الوهابية الحق في المعارضة أو التمرد والخروج على النظام الوهابي. بالرغم من عدم وجود أي قانون للمحاسبة أو النقد أو التغيير . وكان يرفض توجيه النقد للأمراء بصورة علنية. [١٦٣]

---

[١٦٢] – وقد نظم الشيخ سليمان بن سحمان ، فكرة الطاعة المطلقة للأمراء في أبيات من الشعر قال فيها :

فيلزمكم أن توفوا بعهد إمامكم ... على الكره منكم والرضا والتحمد
وتعطونه في ذاك سمعا وطاعة ... كما جاء في النص الأكيد المؤيد
ولو جار في أخذ من المال واعتدى ... بضرب وتنكيل عنيف منكد
فلا تخرجوا يوما عليه تعنتا ... تريدون كشفا للظلامة باليد

عبد الرحمن بن محمد بن قاسم : الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١ ، ص ٥٨٧

[١٦٣] – يقول ابن غنام في تاريخ نجد (ص ٣٥٢) : إنه في ذات مرة انتقد بعض أبناء الحركة الوهابية أميراً في منطقة سدير ، فرفض الشيخ محمد بن عبد الوهاب توجيه الانتقاد له علنا وكتب الى أهل سدير وحرمة والمجمعة والغاط والزلفى بياناً ينهاهم فيه عن توجيه النقد العلني الى الأمراء حتى لو كانوا أمراء مناطق ، وقال لهم:" اذا صدر المنكر من أمير أو غيره ينصح برفق ، خفية ما يشترف أحد ، فان وافق والا استلحق عليه رجلا يقبل منه بخفية ، فان لم يفعل ، فيمكن الانكار

٢ – العنف والإرهاب

لقد كان عامة المسلمين يرفضون التفسير الوهابي للتوحيد ، و يجادلون بقوة فيما إذا كان دعاء الصالحين و الاستغاثة بهم شركا بالله تعالى ، خاصة مع الإيمان بأن الأولياء وسائل فقط الى الله و ليس بأيديهم النفع أو الضر. وكان ذلك يشكل مبررا كافيا للتوقف في تكفير المسلمين لأنهم – على الأقل – آمنوا بذلك عن جهل و شبهة [١٦٤]. ولكن الوهابيين لم يكونوا يعترفون بتلك المبررات ، و كانوا يصرون على فرض قراءتهم الخاصة للتوحيد بالقوة على الناس ، و مقاتلة من لم يوافقهم على نظريتهم. و ذهب الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعيداً في عملية التكفير لتشمل المعارضين له و المحايدين و المترددين .

ظاهرا ، الا ان كان على أمير ونصحه ولا وافق واستلحق عليه ولا وافق فيرفع الأمر يمنا (إلينا) خفية".

[١٦٤] – يقول الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب :" لا نكفر الا من بلغته دعوتنا للحق ، ووضحت له المحجة وقامت عليه الحجة ، وأصر مستكبرا معاندا ، كغالب من نقاتلهم اليوم ، يصرون على ذلك الإشراك ... ونعتذر عمن مضى : بأنهم مخطئون معذورون ، لعدم عصمتهم من الخطأ.

فان قلت: فما القول فيمن حرر الأدلة، واطلع على كلام الأئمة القدوة ، واستمر مصرا على ذلك حتى مات؟

قلت: لا مانع من ان نعتذر لمن ذكر ، ولا نقول : انه كافر ، ولا لما تقدم انه مخطيء ، وان استمر على خطئه ، لعدم من يناضل عن هذه المسألة في وقته بلسانه وسيفه وسنانه ، فلم تقم عليه الحجة ولا وضحت له المحجة". الدرر السنية والأجوبة النجدية ، ج١ ص ٢٣٤ – ٢٣٥ وصيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان ، لمحمد بشير السهسواني الهندي ، ص ٤١٩

و قد صرّح بذلك في رسالة له الى شريف مكة ، الذي سأله عما يقاتل عليه الناس؟ و عما يكفِّر به الرجل ، فقال :" أنه يكفّر ويقاتل أنواعا من الناس:

الأول: من عرف (التوحيد)[١٦٥] دين الله و رسوله ، الذي أظهرناه للناس ، و أقرّ أن هذه الاعتقادات في الحجر والشجر و البشر ، الذي هو دين غالب الناس هي الشرك بالله ، ومع ذلك لم يلتفت الى (التوحيد) و لا تعلمه و لا دخل فيه و لا ترك (الشرك) فهذا كافر نقاتله بكفره ، لأنه عرف دين الرسول فلم يتبعه ، و عرف دين الشرك فلم يتركه ، مع انه لا يبغض دين الرسول و لا من دخل فيه ، و لا يمدح الشرك ولا يزينه للناس.

الثاني: من عرف ذلك كله و لكنه تبيّن في سب (دين الرسول) مع ادعائه أنه عامل به ، و تبيّن في مدح من عبد يوسف و الأشقر ، و من عبد أبا علي و الخضر من أهل الكويت ، وفضّلهم على من وحد الله و ترك الشرك ، فهذا أعظم من الأول.

الثالث: من عرف (التوحيد) و أحبه و اتبعه ، و عرف (الشرك) و تركه ، و لكن يكره من دخل (التوحيد) و يحب من بقي على (الشرك) فهذا أيضا كافر.

الرابع: من سلم من هذا كله و لكن أهل بلده مصرون بعداوة (التوحيد) و اتباع أهل الشرك ، و ساعون في قتالهم ، و يتعذر أن تركه وطنه يشق عليه ، فيقاتل أهل (التوحيد) مع أهل بلده و يجاهد بماله و نفسه ، فهذا أيضا كافر".

---

[١٦٥] – ويقصد به مفهومه الخاص عن التوحيد ، كما هو واضح

دوامة العنف

و نظراً لهذه العقيدة المتطرفة التي تكفر جميع المسلمين و تتهمهم بالشرك ، و تحاول إدخالهم في "الدين الإسلامي" من جديد [١٦٦] ، لم تكن الدولة الوهابية

---

[١٦٦] – و قد عبر الأمير سعود بن عبد العزيز ، عن التزام الحركة الوهابية بالجهاد الابتدائي ، عندما دخل مكة المكرمة ، سنة ١٢١٨ هـ حيث أصدر بيانا قال فيه بعد أن شرح معنى الشرك بالمفهوم الوهابي:" .. هذا هو الذي ندعو الناس اليه و نقاتلهم عليه بعد ما نقيم الحجة عليهم من كتاب الله وسنة رسوله (ص) و إجماع السلف الصالح من الأمة ، ممتثلين لقوله تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله) فمن لم يجب الدعوة بالحجة و البيان قاتلناه بالسيف و السنان".[١٦٦]

وقال في مكان آخر:" قد قدمنا أننا لا نكفّر بالذنوب ، و انما نقاتل و نكفر من أشرك بالله وجعل لله ندا... فإن لم ينته عن ذلك الا بالمقاتلة ، وجب قتاله ، حتى يجعل الدين كله لله...

وأما ان دمتم على حالكم هذه ، ولم تتوبوا من الشرك الذي أنتم عليه و تلتزموا دين الله الذي بعث الله به رسوله ، و تتركوا الشرك و البدع و المحدثات ، لم نزل نقاتلكم حتى تراجعوا دين الله القويم و تسلكوا طريقه المستقيم. (وقاتلوهم حتى لا يكون فتنة ويكون الدين كله لله)".[١٦٦]

و أجبر سعود علماء مكة و المدينة على إصدار فتوى تقول:" **إن** من لم يدخل في هذا الدين ويعمل به و يوالي أهله و يعادي أعداءه فهو كافر بالله واليوم الآخر. و واجب على إمام المسلمين ، والمسلمين ، جهاده و قتاله حتى يتوب الى الله مما هو عليه ، و يعمل بهذا الدين".[١٦٦]

تستطيع أن تقوم إلا بالعنف ، و لم تستطع أن تستمر إلا في ظل السيف ، فكان لا بد أن تجابه بالقوة و العنف ، و تضطر هي الى ممارسة المزيد من العنف و الإرهاب لفرض سيطرتها على المسلمين ، و لذلك فقد نشأ نوع من الصراع المحموم الذي لا يهدأ بينها وبين الجماهير المسلمة ، و هو إن خبا فترة من الزمن فلكي يعد أصحابه العدة لجولة جديدة من الحرب. و لم يكن هنالك أي مجال في ظل العقيدة الوهابية ، لأي نوع من الصلح والسلام بين الحكومة الوهابية و القبائل و الشعوب و الطوائف الإسلامية المختلفة ، الا بالدخول في مذهبها ، و مع ذلك فان تلك القبائل و الطوائف لم تكن تسلم من العنف و الاستبداد و الاتهام بالردة.

إن الحركة الوهابية ولدت في مجتمع إسلامي قائم يرفض الدعوة الوهابية المكفرة له ، و هو لا يمكن ان يخضع لها بسهولة و يقرها على ما جاءت به من تأويلات تعسفية فيعترف على نفسه بالشرك و الكفر ثم يدخل على يديها الى الإسلام من جديد.

وهذا ما يفسر دموية المعارك التي خاضها الوهابيون لفرض مذهبهم ، أو الانتقام من أعدائهم ، سواء في نجد [١٦٧]، أو في الأحساء [١٦٨]، أو في الحجاز [١٦٩]، أو في العراق و خاصة في كربلاء.

---

[١٦٧] – يقول المؤرخ الوهابي عثمان ابن بشر ، وهو يصف هزيمة أهل الرياض سنة ١١٨٧: " فَرَّ اهل الرياض ، الرجال والنساء والاطفال لا يلوي أحد على أحد هربوا على وجوههم الى البرية في السهال قاصدين الخرج ، وذلك في فصل الصيف ، فهلك منهم خلق كثير جوعاً وعطشا ... وتركوها خاوية على عروشها ، الطعام واللحم في قدوره والسواني واقفة في المناحي ، وأبواب المنازل لم تغلق ، وفي البلد من الاموال ما لا يحصر ، فلما دخل عبد العزيز الرياض وجدها خالية من أهلها الاّ قليلاً فساروا في اثرهم يقتلون ويغنمون .." (عنوان المجد ، ص ١٢٠)

مجزرة كربلاء

وكان على رأس تلك المجازر التي أقامها الوهابيون في عهدهم الأول مجزرة كربلاء الرهيبة ، التي شن فيها الوهابيون بقيادة سعود بن عبد العزيز ، هجوما مباغتاً دون سابق إنذار أو دعوة لمذهبهم ، و إنما على حين غفلة من أهلها ،

ويكمل ابن غنام المشهد ، فيقول : " استولى ابن سعود على جميع ما في الرياض من أموال ونخيل فيئا من الله لأنه لم يوجف عليها خيل ولا ركاب". (تاريخ نجد ، ص ١٣٨)

[١٦٨] – يقول ابن غنام إنه في سنة ١٢٠٦ و ١٢٠٧ هجم سعود على القطيف والأحساء وقتل وأباد نحو ألف وخمسمائة رجل ، واقام مجازر رهيبة بحق السكان. (ابن غنام: تاريخ نجد ، ص ١٨٢ –١٨٣)

وفي سنة ١٢٠٨– حاصر سعود بعض القرى في الأحساء وقتل منهم رجالا ونهب أموالا ، وأمر أهل القرين بالجلاء. وكان الأعراب وأهل البوادي ممن مع سعود في تلك الأثناء يدمرون في الاحساء ويقطعون النخيل . (ابن غنام: تاريخ نجد ، ص ١٨٧)

وقد صور المؤرخ الوهابي عثمان ابن بشر أحداث إحدى تلك الغزوات الملطخة بالعنف والدماء ، وهي (وقعة الرقيّقة) التي حدثت عام ١٢١٠هـ ، بقوله : " ثوّر المسلمون بنادقهم دفعة واحدة فأرجفت الأرض واظلمت السماء وثار عج الدخان في الجو وأسقطت كثير من الحوامل في الأحساء. ثم نزل سعود في (الرقيقة) المذكورة . وأقام مدة أشهر يقتل من أراد قتله . ويجلي من أراد جلاءه ، ويحبس من أراد حبسه ويأخذ من الاموال، ويهدم من المحال ، ويبني ثغورا ويهدم دورا ، وضرب عليهم ألوفاً من الدراهم وقبضها منهم ، وأكثر فيهم سعود القتل ... فهذا مقتول في البلد ، وهذا يخرجونه الى الخيام ويضرب عنقه عند خيمة سعود ، حتى افناهم الاّ قليلاً ، وحاز سعود من الاموال في تلك الغزوة ما لايعد ولا يحصى " . ويقول ابن بشر: ان ابن سعود قتل من أهل قرية واحدة هي (الفضول) ثلاثمائة رجل ، حتى صارت تلك القرية مضرب الأمثال. (عنوان المجد ، ص ٢١٦)

[١٦٩] – يقول الجبرتي: أخذ البلدة الوهابيون واستولوا عليها عنوة وقتلوا الرجال وأسروا النساء والأطفال ، وهذا دأبهم مع من يحاربهم./ غالب ، محمد أديب : من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي ، ص ٩٠

فأقاموا مجزرة رهيبة فيها ، و ذلك في شهر ذي القعدة من سنة ١٢١٦ هـ (المصادف ٢٠ نيسان ١٨٠٢م)

يقول المؤرخ الوهابي عثمان ابن بشر في كتابه (عنوان المجد في تاريخ نجد):" إن سعود سار بالجيوش المنصورة و الخيل العتاق المشهورة ، من جميع حاضر نجد و باديها ، و الجنوب و الحجاز و تهامة و غير ذلك ، و قصدوا أرض كربلاء و نازل أهل بلد الحسين ، فحشد عليها المسلمون و تسوروا جدرانها ودخلوها عنوة ، و قتلوا غالب أهلها في الأسواق والبيوت ، و هدموا القبة الموضوعة بزعم من اعتقد فيها على قبر الحسين ، و أخذوا ما في القبة و ما حولها ، و اخذوا النصيبة التي وضعوها على القبر و كانت مرصوفة بالزمرد والياقوت و الجواهر ، و أخذوا جميع ما وجدوا في البلد من الأموال والسلاح واللباس و الفرش و الذهب و الفضة و المصاحف الثمينة و غير ذلك مما يعجز عنه الحصر ولم يلبثوا فيها الا ضحوة و خرجوا منها قرب الظهر بجميع تلك الأموال ، و قتل من أهلها قريب ألفي رجل ، ثم إن سعودا ارتحل منها فجمع الغنائم و عزل أخماسها ، و قسم باقيها على **المسلمين** غنيمة للرجل سهم وللفارس سهمان " .[١٧٠]

---

١٧٠ – ابن بشر: عنوان المجد ، ص ٢٥٧ – ٢٥٨

و ربما كان اعتماد الدعوة الوهابية على العنف بدلا من الحوار و الإقناع ، و تحول الصراع في نجد الى محاولة لفرض سلطان آل سعود ، أكثر منه محاولة لنشر مبادئ الدعوة الوهابية ، هو ما يفسر المعارضة الشديدة التي لقيتها الدعوة في نجد ، و التي استغرقت حوالي أربعين عاما ، و لذا فان الناس الذين كانوا يخضعون بالسيف لسلطة آل سعود فترة من الزمن ، كانوا سرعان ما ينفضون عنهم و يتمردون لمجرد ما يتغير ميزان القوى لصالحهم.

و قد استمرت تلك الحقبة المضطربة المشحونة بالانتفاضات ، و اشتدت مع تسلم سعود بن عبد العزيز للقيادة العسكرية في بداية عقد التسعينات من القرن الثاني عشر الهجري ، حيث حصل اضطراب شديد ، و تذبذب كبير في دخول القرى النجدية في طاعة آل سعود و الخروج منها ، و ذلك لما كان يتسم به سعود من عنف و دموية و إرهاب ، فما أن يسيطر على بلد حتى ينتفض بلد آخر ، وما أن يقمع قرية حتى تتحداه قرية أخرى.

دعوة أهالي مكة الى الإسلام

بعد ان فرض سعود بن عبد العزيز سيطرته على نجد و الاحساء توجه لاحتلال الحجاز ، و هنا تغيرت لهجة الحركة الوهابية تجاه الحجازيين و الدولة العثمانية ، فبعد ان كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب يتودد الى شريف مكة ويتظاهر بالولاء له و ينفي "تهمة التكفير بالعموم" أرسل سعود وفداً الى شريف مكة الأمير غالب بن مساعد ، بزعامة الشيخ حمد بن ناصر بن معمر ، و وجّه لأهلها اتهامات مباشرة و صريحة بوجود مظاهر الشرك في مكة ودعوة الأموات ، ولم ينفع إنكار أهل مكة لذلك .

وعندما اقتربت قوات سعود من مكة في نهاية عام ١٢١٧هـ ، و طلب أهل مكة منه الأمان ، أصدر اليهم بياناً يتضمن التشكيك بإسلامهم ، و يدعوهم الى "دين الله" حيث جاء فيه:

" بسم الله الرحمن الرحيم

من سعود بن عبد العزيز

الى كافة أهل مكة والعلماء والآغوات وقاضي السلطان

السلام على من اتبع الهدى

أما بعد: فأنتم جيران الله وسكان حرمه آمنون بأمنه. إنما ندعوكم لدين الله ورسوله (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فان تولوا فقولوا: اشهدوا بأننا مسلمون " فأنتم في أمان الله ثم في أمان أمير المسلمين سعود بن عبد العزيز وأميركم عبد المعين بن مساعد ، فاسمعوا له وأطيعوا ما أطاع الله والسلام " .[١٧١]

ويتضح من خلال هذا النص ، أن سعوداً كان ينظر الى (الوهابيين) نظرة خاصة باعتبارهم (المسلمين) والى أهل مكة باعتبارهم (مشركين) ولذلك لم يسلم عليهم وانما وجه سلامه الى من اتبع الهدى ، ودعاهم الى كلمة سواء هي كلمة التوحيد.

وعندما دخل سعود مكة المكرمة في اليوم الثامن من محرم ١٢١٨هـ وطلب من الناس الاجتماع بالمسجد الحرام ، خطب فيهم قائلا:" احمدوا الله الذي هداكم للإسلام وأنقذكم من الشرك. أطلب منكم أن تبايعوني على دين الله ورسوله وتوالوا من والاه وتعادوا من عاده في السراء والضراء والسمع والطاعة".[١٧٢] وأصدر بياناً جاء فيه:" قد عمت البلوى من حوادث الأمور التي أعظمها : الإشراك بالله والتوجه

---

[١٧١] – ابن بشر: عنوان المجد ، ص ٢٦١

[١٧٢] – عبد العزيز التويجري ، لسراة الليل هتف الصباح ، ص ٤٩

الى الموتى وسؤالهم النصر على الأعداء وقضاء الحاجات وتفريج الكربات التي لا يقدر عليها الا رب الأرض والسماوات... فأخبر أن من جعل بينه وبين الله وسائط يسألهم الشفاعة فقد عبدهم وأشرك به. وذلك ان الشفاعة كلها لله .كما في الحديث عنه (ص) أنه قال: لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان...

فهذا هو الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس حتى آل بهم الأمر الى أن كفرونا وقاتلونا واستحلوا دمائنا وأموالنا...حتى نصرنا الله عليهم وظفرنا بهم ، وهو الذي ندعو الناس اليه ونقاتلهم عليه بعد ما نقيم الحجة عليهم من كتاب الله وسنة رسوله (ص) وإجماع السلف الصالح من الأمة ، ممتثلين لقوله تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله) فمن لم يجب الدعوة بالحجة والبيان قاتلناه بالسيف والسنان".[١٧٣]

ثم بادر الوهابيون لهدم القباب التي كانت على محل مولد النبي (ص) ومولد ابي بكر ومولد الامام علي و السيدة خديجة ، والتي كانوا يعتبرونها "أصناما تعبد من دون الله" . وأرسل سعود رسالة الى السلطان العثماني سليم ، يخبره فيها بأنه "قد هدم ما هنالك من أشباه الوثنية" .[١٧٤] و أمر مناديه أن ينادي في مكة المكرمة: (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا).

و وقف الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في مكة قائلا:" إن من قال يا رسول الله، أو يا ابن عباس ، أو يا عبد القادر أو غيرهم من المخلوقين ، طالبا بذلك دفع شر أو جلب خير من كل ما لا يقدر عليه الا الله تعالى من شفاء

---

[١٧٣] – غالب ، محمد أديب : من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي ، ص ٩٤

[١٧٤] – عبد العزيز التويجري ، لسراة الليل هتف الصباح ، ص ٤٦

المريض والنصر على العدو ، والحفظ من المكروه ونحو ذلك: انه مشرك شركا أكبر ، يهدر دمه ويبيح ماله ، وان كان يعتقد أن الفاعل المؤثر في تصريف الكون هو الله تعالى وحده ، لكنه قصد المخلوقين بالدعاء متشفعا بهم ومتقربا بهم لتقضى حاجته من الله بسرهم وشفاعتهم له فيها أيام البرزخ".[١٧٥]

---

[١٧٥] – الدرر السنية والأجوبة النجدية ، ج١ ص ٢٢٤ ورغم هذه الصراحة في تكفير عامة المسلمين الذين كانوا ولا يزالون يطلبون الشفاعة من الأنبياء والأولياء ، فان الشيخ عبد الله يشكو في أماكن أخرى من كذب الخصوم بإلصاق تهمة تكفير المسلمين بالعموم بالوهابيين ، فيقول في رسالة له:" وأما ما يكذب علينا سترا للحق وتلبيسا على الخلق... أنا نكفر الناس على الإطلاق ومن بعد الستمائة ، الا من هو على ما نحن عليه ، ومن فروع ذلك أنا لا نقبل بيعة أحد حتى نقرر عليه بأنه كان مشركا ، وأن أبويه ماتا على الإشراك بالله... كان جوابنا عليه في كل مسألة من ذلك (سبحانك هذا بهتان عظيم). ولكنه يكمل فيقول: " فان قال قائل: يلزم من تقريركم وقطعكم في أن من قال: (يا رسول الله اسألك الشفاعة) أنه مشرك مهدر الدم ، أن يقال: يكفر غالب الأمة ولا سيما المتأخرين ، لتصريح علمائهم المعتبرين: أن ذلك مندوب ، وشنوا الغارة على من خالف في ذلك.

قلت: لا يلزم ، لأن لازم المذهب ليس بمذهب ، ونحن نقول فيمن مات : تلك أمة قد خلت ، ولا نكفر الا من بلغته دعوتنا للحق ، ووضحت له المحجة وقامت عليه الحجة ، وأصر مستكبرا معاندا ، كغالب من نقاتلهم اليوم ، يصرون على ذلك الإشراك .. وغير الغالب: انما نقاتله لمناصرته من هذه حاله ، ورضاه به ، ولتكثير سواد من ذكر ، والتأليب معه ، فله حينئذ حكمه في قتاله. ونعتذر عمن مضى : بأنهم مخطئون معذورون ، لعدم عصمتهم من الخطأ.

فان قلت: فما القول فيمن حرر الأدلة، واطلع على كلام الأئمة القدوة ، واستمر مصرا على ذلك حتى مات؟

قلت: لا مانع من ان نعتذر لمن ذكر ، ولا نقول : انه كافر ، ولا لما تقدم انه مخطيء ، وان استمر على خطئه ، لعدم من يناضل عن هذه المسألة في وقته بلسانه وسيفه وسنانه ، فلم تقم عليه الحجة ولا وضحت له المحجة". الدرر السنية والأجوبة النجدية ، ج١ ص ٢٣٤ – ٢٣٥ وصيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان ، لمحمد بشير السهسواني الهندي ، ص ٤١٩

واستصدر الوهابيون عدة بيانات من علماء الحرمين ومن الشريف غالب بالاعتراف بالدين الجديد (الإسلام) والتبرؤ من دينهم السابق (الشرك) والإفتاء بكفر عامة المسلمين – تحت تهديد السلاح بالطبع – فأصدر علماء مكة المكرمة البيان التالي :" نحن علماء مكة الواضعون خطوطنا في هذا الرقيم: ان هذا الدين الذي قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، ودعا اليه إمام المسلمين سعود بن عبد العزيز ، من توحيد الله ونفي الشرك الذي ذكره في هذا الكتاب ، أنه هو الحق الذي لا شك فيه. ولا ريب وان ما وقع في مكة والمدينة سابقا ومصر والشام وغيرهما من البلدان ، الى الآن ، من أنواع الشرك المذكورة في هذا الكتاب ، أنه: الكفر المبيح للدم والمال ، والموجب للخلود في النار. ومن لم يدخل في هذا الدين ويعمل به ويوالي أهله ويعادي أعداءه فهو عندنا كافر بالله واليوم الآخر. و واجب على إمام المسلمين ، والمسلمين ، جهاده وقتاله حتى يتوب الى الله مما هو عليه ، ويعمل بهذا الدين.

اشهد بذلك:

١- عبد الملك بن عبد المنعم القلعي والحنفي ، مفتي مكة المكرمة.
٢- محمد بن صالح بن إبراهيم ، مفتي الشافعية بمكة.
٣- محمد بن محمد عربي البناتي ، مفتي المالكية بمكة
٤- محمد بن أحمد ، المالكي
٥- محمد بن يحيى ، مفتي الحنابلة بمكة
٦- عبد الحفيظ بن درويش العجيمي
٧- زين العابدين جمل الليل
٨- علي بن محمد البيتي
٩- عبد الرحمن جمال

١٠- بشر بن هاشم الشافعي".[176]

وأصدر علماء المدينة المنورة كذلك بياناً مشابهاً ، جاء فيه:" نشهد بأن هذا الذي قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ودعانا اليه إمام المسلمين سعود من توحيد الله ونفي الشرك ، هو الدين الحق الذي لا شك فيه ولا ريب. وان ما وقع في مكة والمدينة سابقا والشام ومصر وغيرها من البلدان الى الآن من أنواع الشرك المذكورة في هذا الكتاب أنها : الكفر المبيح للدم والمال... وكل من خالف ما في هذا الكتاب من أهل مصر والشام والعراق وكل من كان دينهم الذي هم عليه الآن فهو كافر مشرك.

أشهد بذلك وأنا الفقير بن حسين ، بالروضة الشريفة ، وكتبه محمد صالح رضوان ، وشهد بذلك وكتبه محمد بن إسماعيل ، وكتبه الفقير الى الله حسن".[177]

وهكذا وقع الشريف غالب بن مساعد على بيان مشابه يعترف فيه على نفسه بالكفر سابقا ، بالإضافة الى تكفير الأمة الإسلامية جمعاء .[178]

إعلان تكفير الدولة العثمانية

وعندما حاولت الدولة العثمانية ان تتنازل قليلا لسعود بن عبد العزيز فبعثت له بعدة وفود و رسائل تطلب فيها الهدنة والصلح ، كتب في جواب ذلك رسالة مطولة الى يوسف باشا ، جاء فيها:" وأما المهادنة والمسابلة على غير الإسلام ، فهذا أمر محال ، بحول الله وقوته ، وأنت تفهم أن هذا أمر طلبتموه منا مرة بعد مرة

---

[176] - الدرر السنية والأجوبة النجدية ، ج١ ص ٣١٤

[177] - الدرر السنية والأجوبة النجدية ، ج١ ص ٣١٧

[178] - المصدر ، ج١ ص ٣١٦

... وبذلتم الجزية على أنفسكم كل سنة ثلاثين ألف مثقال ذهبا ، فلم نقبل منكم ولم نجبكم بالمهادنة ، فان قبلتم الإسلام فخيرتها لكم وهو مطلبنا ، وان توليتم فنقول كما قال الله تعالى: (فان تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم).[١٧٩]

وقد احتج والي بغداد سليمان باشا ، على هذه الرسالة العنيفة ، فأرسل اليه سعود رسالة يعلن فيها موقفه الصريح من الدولة العثمانية ، التي أخذ يتهمها بالكفر والشرك والردة ، ويدعوها الى الدخول في الإسلام . وقد جاء فيها: " ذكرتم أن كتابنا المرسل الى يوسف باشا ، على غير ما أمر الله به ورسوله من الخطاب للمسلمين ، بمخاطبة الكفار والمشركين ، وان هذا حال الضالين وأسوة الجاهلين ، فنقول : بأنا متبعون ما أمر الله به ورسول عباده المؤمنين. ومن تلبيس إبليس أن يظن أن ما ذم الله به اليهود والنصارى والمشركين لا يتناول من شابههم من هذه الأمة ... ما يفعله إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم ، فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم وسلكوا سبيلهم.. وغلب الشرك على أكثر النفوس ، لظهور الجهل وخفاء العلم وصار المعروف منكرا والمنكر معروفا.. نشأ في ذلك الصغير وهرم عليه الكبير ، وطمست الأعلام واشتدت غربة الإسلام وقلّت العلماء وغلبت السفهاء وتفاقم الأمر واشتد البأس وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس. ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين ، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين ، الى أن يرث الله الأرض ومن عليها... فانظر الى تصريح هؤلاء الأئمة بأن هذه الأعمال الشركية قد عمت بها البلوى وشاعت في كثير من بلاد الشام وغيرها ، وان الإسلام قد اشتدت غربته.. وان هذه المشاهد والأبنية التي على

---

[١٧٩] – هامش عنوان المجد ، لابن بشر ، ج١ ص ٣٢٣ ، نقلا عن الدرر السنية والأجوبة النجدية ، ج٧ ص ٢٦١

القبور قد كثرت وكثر الشرك عندها وبها حتى صار كثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، بل أعظم شركا عندها وبها. وهذا ما يبطل قولكم إنكم على الفطرة الإسلامية والاعتقادات الصحيحة ، ويبين أن أكثركم قد فارق ذلك ونبذه وراء ظهره وصار دينه الشرك بالله ودعاء الأموات والاستغاثة بهم.

وأما قولكم: (فنحن مسلمون حقا ، وأجمع على ذلك أئمتنا أئمة المذاهب الأربعة ومجتهدو الدين والملة المحمدية).

فنقول: قد بينا من كلام الله وكلام رسوله وكلام أتباع الأئمة الأربعة ما يدحض حجتكم الواهية ويبطل دعواكم الباطلة. وحالكم وحال أئمتكم وسلاطينكم تشهد بكذبكم وافترائكم في ذلك. وقد رأينا لما فتحنا الحجرة الشريفة ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، عام ٢٢ رسالة لسلطانكم سليم ، أرسلها الى ابن عمه الى رسول الله يستغيث به ويدعوه ويسأله النصر على الأعداء من النصارى وغيرهم ، وفيها من الذل والخضوع والعبادة والخشوع ما يشهد بكذبكم ، وأولها: (من عُبيدك السلطان سليم ، وبعد يا رسول الله قد نالنا الضر ونزل بنا المكروه ن نسألك النصر عليهم والعون عليهم) . وقال غير واحد من العلماء: إن من أسباب الكفر والشرك : الغلو في الصالحين... فكل هذا شرك وضلال ، يستتاب صاحبه ، فان تاب ، وإلا قتل.

وأما قولكم: (وأما ما اعترينا من الذنوب فلا يخرجنا من دائرة الإسلام ، كما زعمت الخوارج).

فنقول: نحن بحمد الله لا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ، وانما نكفرهم بما نص الله ورسوله وأجمع عليه علماء الأمة المحمدية: أنه كفر ، كالشرك في عبادة الله غيره ، من دعاء ونذر وذبح ، وكبغض الدين وأهله والاستهزاء به.

وأما قولكم: (فكيف التجري بالغفلة على إيقاظ الفتنة بتكفير المسلمين وأهل القبلة ، ومقاتلة قوم يؤمنون بالله واليوم الآخر ، واستباحة أموالهم وأعراضهم وعقر مواشيهم وحرق أقواتهم ، من نواحي الشام...إلخ؟).

فنقول: قد قدمنا أننا لا نكفّر بالذنوب ، وانما نقاتل ونكفر من أشرك بالله وجعل لله ندا... فان كنتم صادقين في دعواكم: (أنكم على ملة الإسلام ومتابعة الرسول (ص)) فاهدموا تلك الأوثان كلها وسووها بالأرض ، وتوبوا الى الله من جميع الشرك والبدع ، وحققوا قول : (لا إله إلا الله). ومن صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله من الأحياء والأموات ، فانهوه عن ذلك ، وعرّفوه أن هذا مناقض لدين الإسلام ومشابهة لدين عباد الأصنام ، فإن لم ينته عن ذلك الا بالمقاتلة ، وجب قتاله ، حتى يجعل الدين كله لله...

فإذا فعلتم ذلك فأنتم إخواننا لكم ما لنا وعليكم ما علينا ، يحرم علينا دماؤكم وأموالكم . وأما ان دمتم على حالكم هذه ، ولم تتوبوا من الشرك الذي أنتم عليه وتلتزموا دين الله الذي بعث الله به رسوله ، وتتركوا الشرك والبدع والمحدثات ، لم نزل نقاتلكم حتى تراجعوا دين الله القويم وتسلكوا طريقه المستقيم.

(وقاتلوهم حتى لا يكون فتنة ويكون الدين كله لله).

حرر في اليوم الرابع عشر من شهر ذي القعدة ، سنة خمس وعشرين".[١٨٠]

إن إعلان تكفير الدولة العثمانية و رعاياها من المسلمين ، من قبل الحركة الوهابية بقيادة الأمير سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود ، الذي اقترن مع حملات عسكرية عنيفة على اطرافها المختلفة ، واستعمال لدرجة عالية من الإرهاب ، حقق لابن سعود سيطرة شبه كاملة على الجزيرة العربية ، ولكنه استفز الدولة

١٨٠ – الدرر السنية والأجوبة النجدية ، ج١ ص ٢٨٧ و ٣٠٤ – ٣١٣ راجع أيضا : رسائل أئمة دعوة التوحيد ، لفيصل بن مشعل آل سعود ، ص ٥٥ – ٧٩

العثمانية و العالم الإسلامي للقيام بحملة مضادة تمثلت في الإيعاز الى والي مصر محمد علي باشا بالهجوم على الحجاز و نجد و القضاء على الدولة الوهابية. ولم ينفع بعد ذلك تراجع زعيم الوهابية الجديد الأمير عبد الله بن سعود عن التكفير ، و لا إعلان الولاء التام للسلطان العثماني محمود الغازي والاعتراف بأنه " عبد من عبيد الباب العالي و من جملة الخدام" [١٨١]

وبما أنه كان من الصعب جداً على عامة المسلمين القبول بالدعوة الوهابية التي كانت تحتم عليهم الاعتراف على أنفسهم بالشرك و الكفر و الدخول في الإسلام من جديد ، فقد كانت تلقى منهم مجابهة واسعة و عريضة ، ولم يكن أمام الحركة الوهابية الا استخدام العنف و الإرهاب لإجبار الناس على الخضوع لهم و القبول بعقيدتهم ، و هذا ما كان يمهد الطريق للعمل من أجل مقاومتهم و تحين الفرص للتخلص منهم بالقوة.إذ أن السيف وحده لم يكن ليشكل يوما أساساً لدولة ، وان الشعب الذي يخضع لحركة قوية قد يقبل بها مؤقتا ، ولكن رفض الشعب لها سيكون سلبياً و عنيفاً في المستقبل . وهو ما حصل بالفعل فقد كانت المواجهة قائمة على قدم وساق بين أغلب سكان المناطق في الجزيرة العربية و الجيوش السعودية الوهابية الغازية، وكان لهذه المواجهات العسكرية المستمرة دوراً كبيراً في إفشال الدولة الوهابية الأولى .

و هذا ما ذهب اليه حافظ وهبة ، مستشار الملك عبد العزيز بن سعود ، حيث قال ان السبب الأول لسقوط الدولة السعودية الأولى : أنها كانت مستندة الى القوة العسكرية أكثر من استنادها على القلوب ، و ان الدعوة لم تتمكن من قلوب الناس ، و لذلك فان الثورات كانت تنشب من وقت لآخر لطرح الحكم السعودي ، لا

---

[١٨١] – عبدالرحيم عبدالرحيم ، الدولة السعودية الأولى ص٣٩٢-٣٩٣

سيما في البلاد البعيدة عن نجد كعسير و عمان.[١٨٢] و هو ما ذهب اليه أيضا الدكتور عبد الله بن عثيمين الذي قال :" كانت الحروب من أهم أسباب توسع الدولة السعودية الأولى ، كما كانت السبب الجوهري في نهايتها". [١٨٣]

٣ – التذبذب بين المقاومة و الولاء للدولة العثمانية

قضى إبراهيم بن محمد علي باشا على الدولة السعودية الوهابية الأولى ، و دمر عاصمتها الدرعية
واعتقل و أباد و شتت كثيراً من قادتها السياسيين و الدينيين ، من آل سعود و آل الشيخ ، و افتتح بذلك عهداً جديداً من الهيمنة السياسية و العسكرية المباشرة على

---

[١٨٢] – كشك ، محمد جلال :السعوديون والحل الاسلامي ، ص ١٩٠-١٩١

[١٨٣] – ابن عثيمين:تاريخ المملكة العربية السعودية ، ص ١٧٧

نجد ، و لكنه لم يستطع القضاء على الحركة الوهابية التي أخذت تشكل أرضية المقاومة للهيمنة المصرية العثمانية ، و التي عادت لتحقق انتصارات متعددة و تشكل حكومات مستقلة بين الفينة والأخرى ، الا انها لم تستطع استعادة مجدها الأول في دولتها الثانية ، حيث ظل أمراؤها على درجة أو أخرى من التبعية و الولاء الظاهر للدولة العثمانية. و بما أن عقيدة الحركة الوهابية كانت تعتبر الدولة العثمانية كافرة و مشركة ، وهو ما عبر عنه بوضوح الأمير سعود الكبير بعد احتلال الحجاز ، فان الولاء و الخضوع و التبعية لها أصبح يعتبر عملاً مناقضا للإيمان و التوحيد و لمبادئ الحركة الوهابية التي كانت تكفر من يقف على الحياد تجاهها فكيف بمن يحاربها و يجتاح عاصمتها ويأسر و يقتل قادتها و يبطش برجالها؟ ومن هنا فقد انقسمت حول الموقف من الدولة العثمانية بين معارض و موالٍ ، أصيبت بأزمة خطيرة انعكست على علاقاتها الداخلية إذ أخذ المعارضون يكفرون الموالين و المتعاونين مع القوات المصرية و الدولة العثمانية "الكافرة". فقد أفتى الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ والشيخ حمد بن عتيق بكفر و ردة من أعان جيوش "المشركين" التي هجمت على أراضي نجد.[١٨٤] و قال الشيخ

---

١٨٤ – قال الشيخ حمد بن عتيق: انقسم الناس إلى أقسام أحدها : ناصر لدين الإسلام وساعٍ في ذلك بكل جهده وهم القليلون عدداً الأعظمون عند الله أجراً . القسم الثاني : خاذل لأهل الإسلام تارك لمعونتهم .القسم الثالث : خارج عن شريعة الإسلام بمظاهرة حزب المشركين ومناصحتهم. (مجموعة التوحيد ٢٥٦.٢٥٧).

وقال أيضا: ...الوجه الثاني : أن يوافقهم مع مخالفته لهم في الباطن وهو ليس في سلطانهم، وإنما حمله على ذلك إما طمع في رئاسة أو مال أو مشحة بوطن أو عيال أو خوف مما يحدث في المآل، فإنه في هذه الحالة يكون مرتداً ولاتنفعه كراهته لهم في الباطن وهو ممن قال الله فيهم "ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين" . (سبيل النجاة . مجموعة التوحيد ، ص ٢٩٦)

سليمان:" إن الإنسان إذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم خوفا منهم و مداراة لهم و مداهنة لدفع شرهم فإنه كافر مثلهم ، و ان كان يكره دينهم و يبغضهم و يحب "الإسلام والمسلمين" ، هذا إذا لم يقع منه الا ذلك ، فكيف إذا كان في دار منعة و استدعى بهم و دخل في طاعتهم و أظهر الموافقة على دينهم الباطل و أعانهم عليه بالنصرة و المال ، و والاهم و قطع الموالاة بينه و بين "المسلمين" ، و صار من جنود القباب و الشرك و أهلها بعد ما كان من جنود الإخلاص و التوحيد و أهله؟ فان هذا لا يشك "مسلم" أنه كافر من أشد الناس عداوة لله و رسوله (ص) و لا يستثنى منه ذلك الا المكره ، و هو الذي يستولي عليه "المشركون" فيقولون له : اكفر أو افعل كذا و إلا فعلنا بك وقتلناك ، أو يأخذونه فيعذبونه حتى يوافقهم فيجوز له الموافقة باللسان مع طمأنينة القلب و الإيمان. و قد أجمع العلماء على أن من تكلم بالكفر هازلاً أنه يكفر ، فكيف بمن أظهر الكفر خوفاً و طمعاً في الدنيا ".[١٨٥] وطالب الشيخ سليمان بمقاطعة "المشركين" اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا.

وقال: " قد نهى الله سبحانه عن موالاة الكفار وشدد في ذلك ، وأخبر النبي (ص) أن من أحب قوما حشر معهم. ويفهم مما ذكرنا أمور من فعلها تعرض للوعيد بمسيس النار ، أحدها: التولي العام ، الثاني: المودة والمحبة الخاصة ، الثالث: الركون القليل ، الرابع : مداهنتهم ومداراتهم، الخامس: طاعتهم فيما يتولون وفيما يشيرون ، السادس: تقريبهم في الجلوس والدخول على أمراء الإسلام ، السابع: مشاورتهم في الأمور ، الثامن استعمالهم في أمر من أمور المسلمين أي أمر كان إمارة أو عمالة أو كتابة أو غير ذلك ، التاسع: اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين ، العاشر: مجالستهم ومزاورتهم والدخول عليهم ، الحادي عشر: البشاشة لهم

---

[١٨٥] – سليمان بن عبد الله بن الشيخ ، الرسالة السابعة في حكم موالاة أهل الإشراك ، مجموعة التوحيد النجدية ، ص ٢٤٧

والطلاقة ، الثاني عشر: الإكرام العام ، الثالث عشر: استئمانهم وقد خونهم الله ، الرابع عشر:معاونتهم في أمورهم ولو بشيء قليل كبري القلم وتقريب الدواة ليكتبوا ظلمهم ، الخامس عشر: مناصحتهم ، السادس عشر:اتباع أهوائهم ، السابع عشر: مصاحبتهم ومعاشرتهم ، الثامن عشر: الرضا بأعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ، التاسع عشر: ذكر ما فيه تعظيم لهم كتسميتهم سادات وحكماء كما يقال للطواغيت "السيد فلان" ، العشرون: السكنة معهم في ديارهم كما قال (ص):" من جامع المشركين وسكن معهم فانه مثلهم" رواه أبو داود.[١٨٦]

و قد اعتبر الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ من يشير بكفّ "المسلمين" – أي الوهابيين – عن "الكفار" – أي المصريين و الأتراك – " من أعظم الموالين المحبين للكفار من المرتدين و المنافقين" و قال : ينبغي أن تكون الغلظة على المرتدين أشد من الكافر الأصلي ، لان هذا عادى الله على بصيرة و عادى رسوله (ص) بعد ما عرف الحق ثم أنكره و عاداه و العياذ بالله... و ما ظنك بمن يُسِرُّ الى الكفار بالمودة و يُعلمهم أنه يحبهم ليواصلوه و يكرموه؟".[١٨٧]

و كرد فعل على تهاون بعض الوهابيين في علاقته مع الدولة العثمانية و قبوله بالتعاون معها و التبعية لها ، صعد الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ من موقفه تجاه الدولة العمانية التي اتهما بالشرك و حصر صفة الإسلام و المسلمين على أتباع الدعوة الوهابية ، و اصدر بيانا الى عامة بلدان نجد ، جاء فيه:" و بعد فالذي أوجب هذا الكتاب ، ذكر ما أنعم الله به عليكم من نعمة الإسلام الذي عرّفكم به و هداكم اليه ، و تسمون به فلا يعني باسم المسلمين الا أنتم (!!!) وما أعطاكم

---

[١٨٦] – راجع: سليمان بن عبد الله بن الشيخ ، الرسالة السادسة ، مجموعة التوحيد النجدية ، ص ٢٤٠ –٢٤١ راجع أيضا : الرسالة الثامنة ، للشيخ سليمان ، في حكم السفر الى بلاد الشرك والإقامة فيها للتجارة وإظهار علامات النفاق وموالاة الكفار. ص ٢٦٦

[١٨٧] – سليمان بن عبد الله بن الشيخ ، الرسالة السادسة ، مجموعة التوحيد النجدية ، ص ٢٤٢

الله تعالى في هذا الدين من النعم أكثر من أن تحصى.. أولها : كون الدعوة الى دين الإسلام ما قام في بيانها و الدعوة اليها الا رجل واحد (هو محمد بن عبد الوهاب).. و لا يُعرف أن أحدا دعا فيها الى توحيد الله و أنكر الشرك المنافي له ، بل قد ظنوا جواز ذلك و استحبابه ، و ذلك قد عمت به البلوى من عبادة الطواغيت و القبور و الجن و الأشجار و الأحجار في جميع القرى و الأمصار و البوادي وغيرها...فرحم الله هذا الشيخ الذي أقامه الله مقام رسله و أنبيائه في الدعوة الى دينه.

هذا ما نوصيكم به و ندلكم عليه عامة ، و العلماء و الأمراء خاصة ، فيجب عليكم أن تكونوا صدراً في هذا الدين (و يقصد: الوهابية) بالرغبة فيه و الترغيب ، و أن تكونوا سندا و عونا لمن أمر بالمعروف و نهى عن المنكر (من آل سعود) ".[١٨٨]

و عندما قام محمد علي باشا باعتقال الأمير فيصل بن تركي سنة ١٢٥٣هـ ، و تعيين الأمير خالد بن سعود والياً على نجد مكانه ، و قف الشيخ عبد الرحمن معلناً : أن موالاة "المشرك" و الركون اليه ونصرته و إعانته باليد أو اللسان أو المال من الأمور التي تنقض التوحيد.[١٨٩] و أخذ يحث على مقاومة القوات المصرية "المشركة" و الجهاد ضدها حتى مع عدم وجود إمام.[١٩٠]

---

[١٨٨] – ابن بشر :عنوان المجد ، ج٢ ص ٤٩

[١٨٩] – مجموعة الرسائل والمسائل ، ج٤ ص ٢٩١

[١٩٠] – وقد ناقش المستسلمين الذين كانوا يحتجون بعدم وجود إمام ينظم مقاومتهم ، فقال مستنكرا:" بأي كتاب أم بأي حجة أن الجهاد لا يجب إلا مع إمام متبع؟ هذا من الفرية في الدين والعدول عن سبيل المؤمنين ، والأدلة على بطلان هذا القول أشهر من أن تذكر. من ذلك عموم الأمر بالجهاد والترغيب فيه ...وكل من قام بالجهاد في سبيل الله فقد أطاع الله وأدى ما فرضه الله ولا يكون الإمام إلا بالجهاد لا أنه لا يكون جهادا إلا بإمام". وقال بعد الاستدلال بقصة أبي بصير

و عندما عاد فيصل بن تركي الى السلطة بعد سقوط خالد ، طلب منه الشيخ عبد الرحمن : " أن يجاهد من أبى أن يلتزم التوحيد و يعرفه ، من البادية والحاضرة ، و خصوصا آل ظفير المشركين الذين يجب جهادهم و دعوتهم الى الله".[١٩١]

وتنفيذاً لتعليمات الشيخ عبد الرحمن و في محاولة لتعزيز الوحدة الداخلية الوهابية و تحصينها عقائدياً ضد الاختراق العثماني ، قام الأمير فيصل بإرسال كتاب الى أهل النواحي ، "يحضهم على التمسك بالتوحيد و الاستقامة عليه" و يقول لهم:" ان أكثر الناس في هذه الأزمنة و قبلها قد وقع منهم ما وقع من أولئك المشركين ، و هم يقرءون القرآن فعموا و صموا عن هذا (التوحيد) و أدلته".[١٩٢] و يضيف:" اعلموا أنه قد غلط في هذا طوائف لهم علوم و زهد و ورع و عبادة ، فما حصل لهم من العلم الا القشور ، و قد حرموا لبه و ذوقه ، و قلدوا أسلافا قد ضلوا من قبل و أضلوا كثيرا و ضلوا عن سواء السبيل ، فيا لها من مصيبة ما أعظمها و خسارة ما أكبرها ؟ فلا حول و لا قوة الا بالله. فلا غنى لكم عن تعلم (التوحيد) و حقوقه من فرائض الله و واجباته و أن يكون ذلك أكبر همكم و محصل علمكم ".[١٩٣]

أما الشيخ عبد الرحمن فقد اهتم كثيرا في السيطرة الثقافية و السياسية على المساجد و تعيين الأئمة الوهابيين فيها خوفاً من تسرب التيارات المعتدلة الى القواعد الشعبية ، و قد استنكر تنصيب شيخ حنبلي من أهل الأحساء ، إماماً في

عندما كان في نفر يهجم على قريش وقوافلهم واستقلاله بحربهم : هل قال له رسول الله أخطأتم في قتال قريش لأنكم لستم مع إمام !. الدرر السنية ، ج ٧ ص ٩٧

[١٩١] – ابن سحمان: منهاج أهل الحق ، ص ١٩

[١٩٢] – ابن بشر: عنوان المجد ، ج٢ ص ٢١٦ و آل سعود ، فيصل: رسائل أئمة دعوة التوحيد ، ص ١٠١

[١٩٣] – ابن بشر: عنوان المجد ، ج٢ ص ٢١٨

بعض المساجد ، من غير إذن الإمام (ابن سعود).[١٩٤] فكتب الى الشيخ عبد اللطيف بن مبارك ، ممثله في الأحساء ، يقول:"إن شيخنا رحمه الله ، لما تبين بهذه الدعوة الإسلامية ، وجد العلماء في الأحساء و غيرها لا يعرفون التوحيد من الشرك ، بل قد اتخذوا الشرك في العبادة دينا ، فأنكروا دعوته لجهلهم بالتوحيد و معنى (لا إله إلا الله).. ان العلماء ما عرفوا التوحيد و لا عرفوا هذا الشرك ، و لا عالم من علماء الأحساء أنكر هذا ، بل قد صار إنكارهم لإخلاص العبادة لله وحده . و من دعا الى الإخلاص كفّروه و بدّعوه ، و لا نعلم أحدا من علماء الأحساء صدع بهذا الدين و عرفه و عرّفه".[١٩٥]

و يبدو ان حركة ثقافية معتدلة نشطت في الأحساء بقيادة الشيخ الحنبلي محمد بن فيروز ، حفيد ابن فيروز الخصم الألد للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وامتدت الى القصيم و عنيزة بقيادة الشيخ داود بن جرجيس ، و كانت تدعو الى التريث في تكفير المسلمين ، ونجحت في استقطاب بعض القواعد الوهابية ، حتى أحدثت شرخاً عميقاً دفع البعض الى اعتزال الجمعة و الجماعة في الأحساء وتكفير " مَن في تلك البلاد من "المسلمين" ، يقولون: أهل الأحساء يجالسون ابن فيروز و يخالطونه هو و أمثاله ممن لم يكفر بالطاغوت ولم يصرح بتكفير جده الذي رد دعوة الشيخ محمد و لم يقبلها و عاداها. قال: ومن لم يصرح بكفره فهو كافر بالله لم يكفر بالطاغوت ، و من جالسه فهو مثله . و رتبوا على هاتين المقدمتين .. ما يترتب على الردة الصريحة من الأحكام حتى تركوا رد السلام". [١٩٦] مما اضطر الشيخ عبد الرحمن الى شن هجوم على أهل الاحساء و علمائها والتشكيك بعقيدتهم ، كما جاء في رسالة له الى بعض علماء الأحساء:" و أما أهل بلدكم في السابق ،

---

[١٩٤] – الدرر السنية والأجوبة النجدية ، ج١ ص ٣١٩

[١٩٥] – المصدر ، ج١ ص ٣٢٤

[١٩٦] – ابن بشر: عنوان المجد ، ج٢ ص ٢٦٩

و غيرهم ، فهم أشاعرة ، و الأشاعرة أخطأوا في ثلاثة من أصول الدين ، منها : تأويل الصفات.. و أخطئوا أيضا في التوحيد ، و لم يعرفوا من تفسير (لا إله إلا الله) الا معناها: (القادر على الاختراع). فإذا كان العلماء في وقتنا هذا و قبله ، في كثير من الأمصار ، ما يعرفون من معنى (لا إله إلا الله) الا توحيد الربوبية ، اغتروا بقول بعض العلماء.. و علماء الاحساء ما عادوا شيخنا رحمه الله ، في مبدأ دعوته الا من أجل أنهم ظنوا: أن عبادة يوسف و العيدروس و أمثالهما لا يستفاد بطلانها من كلمة التوحيد".[١٩٧]

وقام الأمير فيصل بن تركي بإرسال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن الى الأحساء لتكريس العقيدة الوهابية ، و مناظرة علمائها في أصول الدين والعقائد.[١٩٨] و التصدي لتأليف كتب حول الموضوع.[١٩٩]

---

[١٩٧] – الدرر السنية والاجوبة النجدية ، ج١ ص ٣٢٠

[١٩٨] – هامش كتاب عنوان المجد ، للمحقق عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ،ج ٢ ص ٢٧٨

[١٩٩] – قام الشيخ عبد اللطيف بالرد على الشيخ داود بكتابين هما : (منهاج التقديس في الرد على داود بن جرجيس) و(تحفة الطالب والجليس في الرد على داود بن جرجيس). حيث حاول أن ينفي تهمة التكفير بالعموم التي وجهها ابن جرجيس للوهابية ، فقال:" أما القول بأنا نكفر الناس عموما ، ونوجب الهجرة الينا على من قدر على إظهار دينه ، وأنا نكفر من لم يكفر ولم يقاتل ، فكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون الناس به عن دين الله ورسوله ، سبحانك هذا بهتان عظيم". عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ ، ص ١٧٤

كما حاول ان يلطف من أقوال جده ، فقال:" ان الشيخ محمد رحمه الله كان من أعظم الناس توقفا وإحجاما عن إطلاق الكفر ، حتى انه لم يجزم بتكفير الجاهل الذي يدعوا غير الله من أهل القبور ، أو غيرهم ، اذا لم يتيسر له من ينصحه ويبلغه الحجة التي يكفر مرتكبها.. فانه لا يكفر الا من كفره الله ورسوله وأجمعت الأمة على كفره ، كمن اتخذ الآلهة والأنداد لرب العالمين". عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ ، ص ١٧٣

و فيما كان الشيخ عبد اللطيف يواجه المعتدلين الذين يرفضون التكفير بالعموم ، كانت هناك مجموعة أخرى تنمو في الأحساء بقيادة عبد العزيز الخطيب ، وتقف على يمين النظام الوهابي القائم ، وتتهمه بالولاء للحكومة العثمانية "الكافرة" ، و من ثم تقوم بتكفيره . و قد حاول الشيخ عبد اللطيف أن يردعهم عن الخوض في هذا الأمر و قام باتهامهم بالجهل و اتباع الخوارج. وأرسل الى أحدهم الرسالة التالية :" بلغنا عنهم : تكفير أئمة المسلمين بمكاتبة الملوك المصريين ، بل كفروا من خالط من كاتبهم من مشايخ المسلمين.. وبلغنا عنكم نحو من هذا ، وخضتم في مسائل من هذا الباب ، كالكلام في الموالاة والمعادة والمصالحة والمكاتبات وبذل الأموال والهدايا ونحو ذلك.

والكلام في هذا الباب يتوقف على معرفة ما قدمناه ومعرفة أصول عامة كلية ، لا يجوز الكلام في هذا الباب وفي غيره لمن جهلها وأعرض عنها وعن تفاصيلها ، فان الإجمال والإطلاق وعدم العلم بمعرفة مواقع الخطاب وتفاصيله ، يحصل به من اللبس والخطأ وعدم الفقه عن الله ما يفسد الأديان ويشتت الأذهان ويحول بينها وبين فهم السنة والقرآن.

وأما التكفير بهذه الأمور التي ظننتموها من مكفرات أهل الإسلام ، فهذا مذهب الحرورية المارقين الخارجين على علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ومن معه من الصحابة.

وقد أسأت في قولك: إن ما أنكره شيخنا الوالد من تكفيركم أهل الحق واعتقاد إصابتكم ، انه لم يصدر منكم. وتذكر أن إخوانك من أهل النقيع يجادلونك وينازعونك في شأننا ، وانهم ينسبونا الى السكوت عن بعض الأمور. وأنت تعرف انهم يذكرون هذا غالبا ، على سبيل القدح في العقيدة والطعن في الطريقة ، وان لم يصرحوا بالتكفير فقد حاموا حول الحمى" .[٢٠٠]

---

٢٠٠ – الدرر السنية والأجوبة النجدية ، ج١ ص ٤٦٥

كما حاول الشيخ عبد اللطيف أن يفسر معنى الولاء والبراء ، بما لا يخرج آل سعود من (الدين) بسبب تعاونهم مع العثمانيين ، فقال موجها حديثه للوهابيين المتطرفين المكفرين لهم: " قد بلغني أنكم تأولتم قوله تعالى في سورة محمد : (ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما أنزل الله سنطيعكم في بعض الأمر) على بعض ما يجري من أمراء الوقت من مكاتبة أو مصالحة أو هدنة لبعض رؤساء الضالين **والملوك المشركين** ، ولم تنظروا لأول الآية وهو قوله: (إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى) ولم تفقهوا المراد من هذه الطاعة ، و لا المراد من الأمر ، المعروف المذكور في هذه الآية الكريمة ، و في قصة صلح الحديبية و ما طلب المشركون و اشترطوه".[٢٠١]

و برر الشيخ عبد اللطيف في رسالة أخرى حالة العجز عن إظهار العداوة "للمشركين" ، و ممارسة التقية مع "الكفار" . و حاول ان يجد لها العذر ، فقال لمن سأله عن حكم من كان في سلطان "المشركين" ، و عرف التوحيد و عمل به و لكن ما عاداهم و لا فارق أوطانهم: "إن هذا السؤال صدر عن عدم تعقل لصورة الأمر والمعنى المقصود من التوحيد والعمل به ، لأنه لا يتصور أنه يعرف التوحيد و يعمل به و لا يعادي المشركين. و من لم يعادهم لا يقال له: (عرف التوحيد و عمل به). و السؤال متناقض .. و أظن مقصودك : من لم يظهر العداوة ولم يفارق. و مسألة إظهار العداوة غير مسألة وجود العداوة ، فالأول يعذر به مع العجز والخوف".[٢٠٢]

و فرق الشيخ عبد اللطيف بين الكفر العملي و الكفر الاعتقادي ، فقال : بأن الحكم بغير ما أنزل الله و ترك الصلاة كفر عمل لا كفر اعتقاد ، و قد سمى الله من عمل ببعض كتابه وترك العمل ببعض مؤمنا بما عمل وكافرا بما ترك العمل به

---

[٢٠١] – المصدر ، ج١ ص ٤٧٨

[٢٠٢] – ابن سحمان: منهاج أهل الحق ، ص ٢٩

(أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) فالإيمان العملي يضاده الكفر العملي ، و الإيمان الاعتقادي يضاده الكفر الاعتقادي ، و كذلك الشرك: شركان ، شرك ينقل عن الملة و هو الشرك الأكبر ، و شرك لا ينقل عن الملة و هو الشرك الأصغر.. وانه لا يلزم من قيام شعبة من شعب الكفر أن يسمى كافرا ، وان كان ما قام به كفر. و أما الشعبة نفسها فيطلق عليها اسم الكفر ، و لكنه لا يستحق اسم الكفر على الإطلاق".[٢٠٣]

وهكذا تذبذبت الحركة الوهابية في الدولة السعودية الثانية بين المعارضة والمقاومة للدولة العثمانية و تكفير من يتعاون معها او يخضع لها باعتبارها دولة كافرة ، و بين الولاء لها و الحكم باسمها و تبرير ذلك باسم التقية والعجز عن إظهار العداوة للمشركين ، مما أفقد الحركة الوهابية صدقيتها و مزق وحدتها و أبعد الجماهير عنها و أدى الى انهيارها و تلاشيها بعد حين.

٤ – الصراع الداخلي على السلطة

نتيجة لغياب الشورى و غياب نظام واضح لتبادل السلطة اعتماداً على إرادة الأمة ، تَمَّ الخضوع للنظام البدوي الوراثي القائم ، ولكن هذا ترك مصير الدولة

[٢٠٣] – الدرر السنية والأجوبة النجدية ، ج١ ص ٤٨٢ و ٤٨٤

الوهابية السعودية في مهب الريح و وضعها عرضة للانقسام و الصراعات الداخلية بين الأمراء.

من المعروف ان الشيخ محمد بن عبد الوهاب أخذ البيعة لولاية العهد للأمير عبد العزيز في حياة والده محمد بن سعود ، ثم أخذ البيعة لولاية العهد لابنه سعود في حياة أبيه عبد العزيز. و عندما توفي سعود احتل ابنه عبد الله مكانه بالوراثة ، و لكنه لم يسلم من منافسة أخيه و عمه عبد الله.

و بعد أن سقطت الدولة السعودية الأولى.. و اخذ إبراهيم باشا معظم رجال آل سعود أسارى الى مصر.. انبرى رجل من آل معمر (حكام العيينة سابقا) و هو (محمد بن مشاري بن معمر) سنة ١٢٣٤ لتنظيم المقاومة ضد القوات المصرية و نَصَّب نفسه إماماً للحركة الوهابية . [٢٠٤] ولكن الأمير مشاري بن سعود بن عبد العزيز ، استطاع الهروب من مصر و جاء الى نجد و أخذ يطالب ابن معمر بالزعامة ، فتنازل له هذا في البداية ثم قتله . [٢٠٥]

ولم يمض طويل وقت حتى انبرى تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود في عام ١٢٣٦ ليعيد حكم آل سعود و ينشئ دولتهم الثانية ، فقتل من أجل ذلك أمير بلدة (ضرما) ناصر السياري ، في المسجد ، و استولي على البلدة ، ثم أخذ البيعة من أهلها بالقوة ، و احتل الرياض و قتل محمد ابن معمر.[٢٠٦] و استطاع أن يفرض هيمنته على نجد كلها بحلول عام ١٢٤١. وقد استند تركي بن عبد الله ، في تثبيت شرعيته ، الى الفكر القدري ، فقال في بيان الى عامة المسلمين: (إن الله ولاه أمرهم).[٢٠٧]

---

[٢٠٤] – ابن بشر: عنوان المجد ، ج ١ ص ٤٤٢

[٢٠٥] – المصدر ، ج ١ ص ٤٤٢

[٢٠٦] – ابن بشر:عنوان المجد ، ج٢ ص ٢٨

[٢٠٧] – المصدر ، ج٢ ص ١١٣

و بالرغم من تمتع الإمام تركي بن عبد الله ، بجميع المواصفات الشرعية ، حسب الفكر السياسي الوهابي ، و تأييد رجال الدين من آل الشيخ له ، الا أن ذلك لم يمنع من اغتياله سنة ١٢٤٩ ، على يد ابن أخته (مشاري بن عبد الرحمن بن مشاري بن سعود) الذي كمن له عند باب المسجد وقتله غدرا بعد خروجه من صلاة الجمعة ، و استولى على السلطة عنوة .

و مع أن مقتل الامام تركي أثار غضباً وامتعاضاً كبيرين لدى آل الشيخ الذين احتجوا بالاعتصام في المسجد [٢٠٨]، الا انهم سلّموا للأمر الواقع فيما بعد ، و بايعوا الأمير الجديد مشاري[٢٠٩] ، فالسلطة أولاً وأخيراً هي لمن غلب ، و لا دور للأمة في انتخاب الامام ولا رأي حتى لعلماء الدين.

و لولا تمرد فيصل ابن تركي ، وعدم استسلامه للانقلاب ، لظل الأمير مشاري مستمراً في الحكم الى أن يشاء الله ، و لربما ورّث السلطة الى أولاده و أحفاده. ولكن فيصل بن تركي استطاع بعد بضعة شهور أن ينتقم لوالده ويقتل مشاري ، و يستعيد السلطة منه. وما كان من آل الشيخ هنا الا أن عادوا لنقل ولائهم الى المنتصر الجديد (فيصل).

و بعد ثلاث سنوات ، قرر والي مصر محمد علي باشا إعادة الحكم المصري الى نجد ، بواسطة أمير منافس من آل سعود ، هو: (خالد بن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود) الذي استاء من استيلاء أبناء عمه على السلطة ، وكان لا يزال يتمتع ببعض الأنصار الذين لم يرضوا عن انتقال الإمامة من أولاد سعود

---

٢٠٨ – لما علم آل الشيخ بعملية الاغتيال ، جلسوا في المسجد فلم يخرجوا منه حتى أرسل اليهم مشاري يدعوهم ، فأبوا أن يأتوا اليه الا بالأمان ، فكتب لهم بالأمان ، فأتوا اليه وطلب منهم المبايعة ، فبايعوه. كما يقول ابن بشر في عنوان المجد ، ج٢ ص ١٠٠

٢٠٩ – المصدر ، ج٢ ص ١٠٠

الكبير الى أولاد عبد الله بن محمد [٢١٠]. فاستعان محمد علي بخالد سنة ١٢٥٣هـ و أرسله الى الرياض مع قوة عسكرية مصرية ، وعندما اقترب الجيش المصري من الرياض اضطربت الأمور على فيصل فهرب منها ، وهرب معه آل الشيخ ، ولكن القوات المصرية اعتقلت فيصلاً وأعادته مرة ثانية الى مصر. وفي حين لم يجد معظم أهل نجد غضاضة بحكم خالد ، لأنه من آل سعود وهو الأقوى ، امتنع بعض أهلها من الخضوع له بسبب تعاونه مع المصريين "المشركين" وخوفاً من عودة الحكم التركي المباشر.[٢١١] وهو ما يشير الى قبولهم لأي حاكم قاهر ، و رفضهم للحكم التركي الذي كانوا يعتبرونه "كافراً ومشركاً".[٢١٢]

و بمجرد انسحاب القوات المصرية عام ١٢٥٧ قام عبد الله بن ثنيان باقتحام الرياض و تنصيب نفسه حاكماً جديداً عليها . وعندما حاول خالد أن يقاوم ، قال له مستشاروه من رؤساء أهل الرياض :"ان هذا ملك انفسخ منك و تولاه غيرك ، والأمر بيد الله ، ثم بيد من استولى عليه".[٢١٣] وهكذا استسلم خالد دون مقاومة ، و أصبح عبد الله بن ثنيان أميراً ، فقدم عليه آل الشيخ وبايعوه ، و تتابعت الوفود على بيعته. [٢١٤]

---

[٢١٠] – الحصين ، أحمد: دعوة الامام .. سلفية لا وهابية ص ٢٣١

[٢١١] – كتب أهل (الحوطة) الى خالد بن سعود :" ان كان الأمر لك ، ولا يأتينا في ناحيتنا عسكر من الترك فنحن رعايا لكم ، وان كان الأمر للترك فنحن لهم محاربون".(ابن بشر: عنوان المجد ، ج٢ ص ١٤٧)

[٢١٢] –"توحدت القرى النجدية وقامت ضده ثورات بزعامة عبد الله بن ثنيان بن سعود ، تريد التحرر من حكم الأتراك والمصريين ، وتبغي المحافظة على الدين الاسلامي الصحيح على طريقة الامام محمد بن عبد الوهاب ". الحصين ، أحمد: دعوة الامام .. سلفية لا وهابية ، ص ٢٣٣

[٢١٣] – ابن بشر: عنوان المجد ، ج٢ ص ١٩٩

[٢١٤] – الحصين ، أحمد: دعوة الامام .. سلفية لا وهابية ، ص ٢٣٣

ولم تمض سنتان ، حتى هرب فيصل بن تركي ، من سجنه في مصر عام ١٢٥٩ ، ليستعيد السلطة بالقوة من عبد الله ، ويلقي به في السجن حتى الموت .[٢١٥] ورغم أن عبد الله كان يحظى بدعم آل الشيخ ويتمتع بكامل الشرعية ، الا ان منطق الغلبة للأقوى .. كتب تلك النهاية المأساوية لعبد الله بن ثنيان.

و ما أن توفي فيصل عام ١٢٨٢هـ حتى عادت الصراعات الداخلية لتشتعل مرة أخرى بين أبنائه الأربعة عبد الله وسعود ومحمد وعبد الرحمن والد الملك عبد العزيز ، حيث خرج سعود على أخيه عبد الله بعد سنة من توليه للحكم ، و دخل معه في معركة ، ثم هرب الى البحرين التي كانت خاضعة لسيطرة الإنجليز ، ثم عاد بدعم منهم ومن أمير البحرين وسلطان مسقط ، ليهاجم الأحساء و يعتقل أخاه محمد الذي كان يقود جيشا لمحاربته ، مما ألقى الذعر في قلب أخيه عبد الله الذي هرب من الرياض الى الصحراء ، فدخلها سعود عام ١٢٨٨هـ و أخذ يطارد أخاه هنا و هناك.

و لم يجد عبد الله وهو في تلك الحالة مفراً من الاستعانة بالقوات العثمانية ، متهماً أخاه بالثورة ضدها و بالتعاون مع الإنجليز ، و أرسل الى والي بغداد مدحت باشا ، يطلب مساعدته ، فهب لنجدته بإرسال حملة عسكرية من خمسة آلاف جندي .[٢١٦] و هكذا عاد عبد الله بن فيصل الى الرياض بعد أن هرب منها سعود ، و لكن هذا لم يلبث الا سنتين حتى عاد مرة أخرى الى الرياض عام ١٢٩٠هـ ليطرد أخاه عبد الله من السلطة.

و عندما توفي سعود عام ١٢٩١هـ (١٨٧٥م) ورثه أخوه عبد الرحمن فحكم لسنتين ثم خرج عليه أخوه محمد الذي كان يكبره سنا ويدعي أحقيته بالحكم ،

---

[٢١٥] – ابن بشر: عنوان المجد ، ج٢ ص ٢٠٨

[٢١٦] – الحصين ، أحمد: دعوة الامام .. سلفية لا وهابية ص ٢٣٥

فوقعت بينهما معارك حتى وافق الاثنان على ان يتولى الحكم أخوهما الأكبر عبد الله ، فعاد هذا الأخير من البادية و تولى السلطة عام ١٢٩٣هـ للمرة الثالثة.

و لكن أبناء سعود لم يقبلوا بهذه الصفقة فخرجوا على عمهم عبد الله عام ١٣٠٥هـ واحتلوا الرياض واعتقلوا عمهم و تولى أحدهم و هو محمد بن سعود السلطة لبعض الوقت.

وهنا استنجد عبد الله ، من سجنه ، بأمير حائل (الوهابي): محمد بن الرشيد ، فقدم الرياض واحتلها و أطلق سراحه و قتل محمد بن سعود ، ولكنه لم يعد السلطة الى عبد الله و إنما أخذه "ضيفا" الى حائل ، و عيّن والياً من قبله على الرياض. وسارعت القبائل النجدية بتقديم الطاعة لمحمد بن رشيد. و عندما توفي عبد الله ، بعيدا عن السلطة ، حاول أخوه عبد الرحمن عام ١٣٠٨هـ ان يقوم بانقلاب على ابن الرشيد و يستعيد إمارته المفقودة و لكنه فشل فلجأ الى الكويت التي كانت لا تزال تخضع للحكم العثماني .

و هكذا انتهى حكم آل سعود في دولتهم الثانية نتيجة لصراعاتهم الداخلية المريرة القائمة على أساس القوة و الغلبة ، وفي غياب الشورى أو أي دور للأمة أو لأهل الحل و العقد ، أو أي دستور ينظم طريقة توارث السلطة .[٢١٧]

---

[٢١٧] – يقول أحمد الحصين: " ومن الجدير بالملاحظة أن آل رشيد استولوا على نجد وقضوا على حكم آل سعود من دون معركة ، وكان من أهم أسباب نجاحهم النزاعات الداخلية والحروب الدامية بين أفراد العائلة الواحدة الطامعين بالامامة ، مما أضعف ولاء السكان للدعوة ورجالها". (دعوة الامام .. سلفية لا وهابية ص ٢٣٧)

الفصل الرابع

الدولة السعودية الوهابية الثالثة و الشورى

١- الاعتماد على الدعم الخارجي

إذا كانت الدولة السعودية الوهابية الأولى قد بلغت أوجها و طبقت مبادئها و أهدافها على يدي الأمير سعود الكبير ، و سقطت أمام قوة خارجية هي القوة المصرية العثمانية التي احتلت عاصمتها الدرعية و أسرت أميرها عبد الله بن سعود و أعدمته ، فان الدولة السعودية الثالثة التي رفعت لواء الوهابية و استعانت بها لترسيخ أقدامها و مد سلطانها على نجد و الأحساء و حائل و الحجاز ، هي التي انقلبت على الحركة الوهابية المتمثلة في (الإخوان) و قضت عليهم ، و ذلك بسبب طبيعة العلاقة الاستبدادية بين النظام السعودي و الحركة الوهابية ، و بالطبع بينهما وبين عامة أبناء الشعب . وإذا كان النظام السعودي الأول قد ولد من رحم الحركة الوهابية ، فان النظام الأخير قد ولد خارج رحمها واعتماداً على قوة أجنبية هي بريطانيا التي دفعت بعبد العزيز بن سعود الى احتلال الرياض والانقلاب على الدولة العثمانية.

وقد ابتدأت علاقة الملك عبد العزيز بن سعود مع بريطانيا في الكويت ، عندما كان يعيش فيها لاجئاً مع أبيه (عبد الرحمن بن فيصل بن سعود) آخر إمام في الدولة السعودية الثانية ، و ذلك عندما تمرد حاكم الكويت (الشيخ مبارك الصباح) على الدولة العثمانية و تحالف مع بريطانيا في بداية القرن العشرين ، فأوعزت تركيا لأحد ولاتها وهو أمير حائل عبد العزيز بن رشيد ، بالاستيلاء على الكويت و تأديب أميرها المتمرد . وهنا قام مبارك ضمن خطته لمواجهة أمير حائل ، بالاستعانة بابن سعود الذي كان له من العمر يوم ذاك حوالي عشرين عاما ، فقاد

كتيبة كويتية لاحتلال الرياض في ذي القعدة ١٣١٨هـ – مارس ١٩٠١ ، ولكنه مني بهزيمة منكرة اضطر إثرها للانسحاب ، فيما أخذت قوات ابن الرشيد تلاحقه حتى أسوار الكويت ، ولم ينجُ من تلك القوات إلا عندما أوقفتها المدافع البريطانية .

و تعلم عبد العزيز من دفاع بوارج بريطانيا عن ابن الصباح وتثبيته على عرشه في الكويت و أبطالها لمفعول الفرمان العثماني ، درساً مهماً أقنعه بأهمية الاعتماد على بريطانيا في أية مواجهة مع الدولة العثمانية و حلفائها من آل الرشيد ، وعاد من العام القادم مع عصابة صغيرة من أتباعه و نجح في اقتحام قصر الإمارة في الرياض في الأول من شوال عام ١٣١٩هـ – الخامس عشر من يناير عام ١٩٠٢م و قتل الأمير بن عجلان ، عامل ابن الرشيد .

وكانت عملية استيلاء عبد العزيز بن سعود على الرياض حلقة من سلسلة طويلة من الصراع على السلطة داخل الحركة الوهابية ، بعيداً عن إرادة الشعب ، و اعتمادا على منطق القوة والقهر والغلبة. ومع ان الاستيلاء على الرياض بتلك الصورة كان يعتبر نوعا من التمرد والخروج على السلطة الشرعية (العثمانية) التي كان يعترف بها السعوديون في ذلك الوقت ، الا ان ابن سعود أعلن منذ اليوم الأول لاحتلاله للرياض بأنه سيحكم باسم السلطان العثماني ، و أعلم حاكمَ البصرة أنه يعتبر نفسه والياً من ولاته.[٢١٨]

---

[٢١٨] – وكذلك فعل أبوه الامام عبد الرحمن ، الذي كتب في ٥ صفر ١٣٢٠هـ عند خروجه من الكويت ، كتابا الى السيد رجب ، نقيب أشراف البصرة ، يبرر فيه عملية الخروج على ابن رشيد ، ويؤكد فيه "اننا خدام محسوبون على الدولة العليا. وانه لما صار علينا ما صار من غدر ابن الرشيد وخيانته لم نلجأ الى أحد إلا الله تعالى ثم الى عدالة أمير المؤمنين أدام الله مجده.. ونحن في كل مكان وحال من الأحوال لا نزال بحول الله نؤدي الخدمات لحضرة أمير المؤمنين باذلين الجد والاجتهاد فيما يحصل به رضاه منقادين الى أوامر الدولة العلية". الرشيد ، عبد العزيز ، تاريخ الكويت ، ص ١٧٩

ولكن العملية في الواقع لم تكن بعيدة عن أعين بريطانيا و دعم حليفها أمير الكويت . إذ يقول مؤرخ الكويت المعاصر لتلك الفترة عبد العزيز الرشيد : إن الشيخ مبارك الصباح قدم لابن سعود دعما اقتصادياً وعسكرياً حيوياً ، خاصة عندما حاول ابن الرشيد مهاجمة الرياض و استعادة سلطته فيها في أوائل سنة ١٣٢٠هـ حيث هبَّ مبارك لنجدة ابن سعود و أمر بشحن جملة من السفن الكويتية أطعمة و ذخيرة ، و أصدر أمره الى الجيش بالمسير الى الرياض لينقل منها ما يحتاجه[٢١٩]." وكان مبارك ، فوق ذلك ، يرسم الخطط الحربية له و هو في مدينته ، فانتصار ابن سعود إذاً على ابن الرشيد ، هو انتصار لمبارك على خصمه ، و تنفيذ لخططه التي رسمها".[٢٢٠]

وفي ذلك الوقت كانت بريطانيا تعمل جاهدة على فصل إقليم الأحساء عن الدولة العثمانية ، و إلحاقه بمشيخات الخليج الخاضعة للحماية البريطانية ، و قد بذلت عدة محاولات مع أهالي الأحساء لدفعهم للتمرد و الاستقلال وطلب الحماية البريطانية.[٢٢١] ولكنها باءت بالفشل مما دفعها لإعطاء الضوء الأخضر لابن سعود

---

[٢١٩] – المصدر ، ص ١٨٢

[٢٢٠] – المصدر ، ص ١٧٥

[٢٢١] – " وكانت المحاولة الأولى عام ١٨٩٩ عندما زار الممثل البريطاني في البحرين ، منصور باشا بن جمعة ، وعرض عليه نيابة عن بريطانيا المساعدة على الاستقلال وتقديم الحماية البريطانية ضد أي إجراء عسكري تتخذه الدولة التركية. ولكن منصور باشا بوازع من الحمية الدينية ووفاءً للدولة الاسلامية رفض العرض البريطاني جملة وتفصيلا. وقد نمى الى علم السلطان عبد الحميد أمر هذه المحاولة ورفض ابن جمعة قبولها فأنعم عليه برتبة الباشوية.

أما المحاولة الثانية فقد كانت عام ١٩٠٥ مع حسين النصر عمدة (سيهات) وقد رفض النصر العرض البريطاني من جانبه ، ولكنه أحاله على منصور باشا بن جمعة الذي أكد رفضه للمرة الثانية.

وفي سنة ١٩٠٧ تولى المحاولة المقيم البريطاني في الخليج المستر برسي كوكس الذي نزل ضيفا على منصور باشا في قصره المسمى (بقصر الدرويشية) بالقطيف وطلب منه الموافقة على تقديم

لاحتلال الأحساء. [٢٢٢] وقد قام ابن سعود بهذه المهمة في أكتوبر سنة ١٩١٣ في الوقت الذي كانت تركيا تواجه زحف البلغار الى الأستانة و الصرب الى سالونيك ، و استيلاء الطليان على ليبيا.

ورغم أن ابن سعود تظاهر بعد احتلال الأحساء بالبقاء على ولائه للدولة العثمانية ، الا انه سرعان ما كشف عن انحيازه ضدها الى جانب بريطانيا عند اشتعال الحرب العالمية الأولى [٢٢٣]، حيث أخذ يشارك في اجتماعات البصرة و

مساعدة بريطانية للاستقلال بالأحساء دون التقيد بمعاهدة حماية بريطانية ، ولكن منصور باشا أصر على أن شعوره الديني وحده يمنعه من التنكر للدولة الاسلامية ، وليس الحاجة للمعونة العسكرية أو الحماية ، ولما أعيت بريطانيا الحيلة في الحصول على واجهات وطنية لتبرير تدخلها المباشر في ساحل الأحساء ، أرسلت سفينة حربية عام ١٩٠٨ الى رأس تنورة بالقطيف فركزت علمها البريطاني هناك . ولكن ما كاد نبأ ذلك يصل الى مسامع أهل (صفوى) حتى بادروا الى انزال العلم البريطاني وتمزيقه وتحطيم ساريته ".ناصر الفرج ، قيام العرش السعودي ، ص ١٥

[٢٢٢] – ذكر بنوا ميشان: ان عبد العزيز أجرى اتصالات مع مبارك الصباح عام ١٩١١ طلب منه جس نبض أصدقائه الانجليز في امكانية احتلال الأحساء فرحبت بريطانيا بذلك .ناصر الفرج ، قيام العرش السعودي ، ص ٢٧ وقد أكدت الوثائق المحفوظة في دار الوثائق البريطانية: ان بريطانيا هي التي طلبت من عبد العزيز ابن السعود احتلال الأحساء ، حيث ورد في المجلد ٢١٣٩ ما نصه:" وردت الى لندن برقية من نائب الملك في الهند جاء فيها ، يطلب من ابن السعود تعاونه في طرد الأتراك من الأحساء والقطيف ، وفي مقابل ذلك تعقدون معه معاهدة يعترف فيها باستقلاله حاكما على نجد والأحساء مع ضمان عدم الاعتداء عليه من ناحية البحر". ناصر الفرج ، قيام العرش السعودي ، ص ٣٥

[٢٢٣] – وجاء في الوثائق البريطانية المجلد رقم ٢١٤٠ ما نصه:" في ٥ اكتوبر ١٩١٤ وجهت وزارة الهند رسالة الى النقيب شكسبير بأن عليه ان يسافر بأسرع فرصة ممكنة ويتصل بابن السعود في الحال ، ويستخدم نفوذه للوصول الى هدفين ، أولهما: منع وقوع اضطرابات بين الأوساط العربية نتيجة للاجراءات التي ستقوم بريطانيا باتخاذها في الخليج والأراضي العربية التي تقع تحت النفوذ التركي ، وثانيهما: التأكد بأن لا يقدم العرب مساعدة للأتراك اذا ما قامت الحرب بينهم وبين بريطانيا.

الكويت و المحمرة التي كان يعقدها مبارك و خزعل و طالب النقيب ، تحت إشراف عملاء المخابرات البريطانية ، و حاول ان يجر عجمي السعدون زعيم عشائر المنتفك في جنوب العراق الى جانب بريطانيا و التعاون معها ضد الدولة العثمانية.[٢٢٤] و قد ذكر مستشار عبد العزيز ، حافظ وهبة في كتابه (خمسون عاما في جزيرة العرب) : ان عبد العزيز عندما زار الكويت عام ١٩١٦ اجتمع بكبار أهلها وكان حديثه معهم كله تشديد النكير على الأتراك والحطّ من شأنهم والتنويه بأنه لو كان في بدنه قطرة دم تميل الى الأتراك لبذل كل وسيلة لإخراجها من جسمه. [٢٢٥]

وفي ٢يناير ١٩١٥ بعث نائب الملك في الهند برقية الى وزارة الهند تعرب عن موقف ابن السعود ، فقد وصل الى المقيم البريطاني في الخليج يوم ٣١ ديسمبر ١٩١٤ رد من ابن السعود يعلن فيه انه في جانب بريطانيا وان من أهم أهدافه تحرير البصرة من حكم الترك"

وجاء في الوثيقة المحفوظة في المجلد ٢٤٧٩ بدار الوثائق البريطانية ما نصه:" ان الأخبار الواردة من ابن السعود تقول انه في طريقه لمهاجمة ابن الرشيد ويأمل ان يتغلب عليه في آخر يناير ١٩١٥ ، وسيبقى شكسبير معه ، والضمانات التي اعطيت لابن السعود كانت مشروطة بتعاونه مع شيخ الكويت والمحمرة لاحتلال البصرة. وفي حال فشلهم في ذلك يعملون على منع الامدادات التركية من الوصول الى البصرة".

وتقول مس بيل في كتابها (فصول من تاريخ العراق القريب):" أثبتت الصداقة الراسخة بيننا وبين أمير نجد أنها شيء لا يُثمَّن". ناصر الفرج ، قيام العرش السعودي ، ص ٣٦

[٢٢٤] – ذكرت المس بيل في كتابها (فصول من تاريخ العراق القريب) ان ابن سعود كتب الى عجمي السعدون يحرضه على الأتراك ويدعوه للانضمام الى الانجليز ، وقد أجابه السعدون بكتاب رفض فيه دعوته وأكد له سعيه من أجل حماية البلاد الاسلامية من دنس الكافرين . ناصر الفرج ، قيام العرش السعودي ، ص ٣٢

[٢٢٥] – المصدر ، ص ٣٣

قبول الحماية البريطانية

و إضافة الى ذلك قام عبد العزيز بن سعود بتوقيع معاهدة حماية مع بريطانيا ، هي **(معاهدة دارين)** التي وقعها في ٢٦ ديسمبر ١٩١٥ و التي اعترف بموجبها باتباع نصائح بريطانيا و بحقها في الإشراف على علاقاته الخارجية و عدم إقامة علاقات مع أية دولة الا بعد الحصول على موافقة الحكومة البريطانية ، و الاعتراف بالهيمنة الاستعمارية البريطانية على الإمارات المحتلة في الخليج ، في مقابل الاعتراف به من قبل بريطانيا وبضمان الحكم له ولذريته من بعده.

وقد جاء في البند الأول من المعاهدة: "ان الحكومة البريطانية تعترف وتقبل بأن نجدا والأحساء والقطيف وجبيل وملحقاتها التي تعين هنا والمرافئ التابعة لها على سواحل خليج العجم ، كل هذه المقاطعات هي تابعة للأمير ابن سعود وآبائه من قبل ، وهي تعترف بابن سعود حاكما مستقل على هذه الأراضي ، و رئيسا مطلقا على جميع القبائل الموجودة فيها ، وتعترف لأولاده وأعقابه الوارثين من بعده على ان يكون خليفته منتخباً من الأمير الحاكم ، وان لا يكون مخاصما لإنجلترا بوجه من الوجوه".

وجاء في البند الثالث منها:" يتعهد ابن سعود ان يمتنع عن كل مخابرة او اتفاق او معاهدة مع أية حكومة أو دولة أجنبية ، وعلاوة على ذلك فانه يتعهد بإعلام الحكومة البريطانية عن كل تعرض أو تجاوز يقع من قبل حكومة أخرى على أراضيه".

وجاء في البند الرابع:" يتعهد ابن سعود بصورة قطعية ان لا يتخلى ولا يبيع ولا يرهن ، ولا بصورة من الصور يقبل بترك قطعة أو التخلي عن الأراضي التي ذكرت آنفا ، ولا يمنح امتيازا في تلك الأراضي لدولة أجنبية أو لتبعة دولة أجنبية ، دون رضا الحكومة البريطانية ، وانه يتبع نصائحها التي لا تضر بمصالحه".

وجاء في البند السادس:" يتعهد ابن سعود –كما تعهد والده من قبل – بأن يمتنع عن كل تجاوز أو تدخل في أرض الكويت والبحرين وأراضي مشايخ قطر وعمان وسواحلها وكل المشايخ الموجودة تحت حماية إنجلترا والذين لهم معاهدات معها".[٢٢٦]

وتنفيذا لهذه المعاهدة زودت بريطانيا ابن سعود بالمشورة العسكرية خلال حملة قام بها ضد أمير حائل ابن الرشيد ، وعينت النقيب شكسبير كمستشار عسكري له ، وقد قتل هذا في المعركة وهو يساعد على حشو مدفع أثناء المعركة .[٢٢٧]

ورغم ان انحياز ابن سعود الى جانب بريطانيا في الحرب ضد المسلمين و الدولة العثمانية ، وتوقيعه لمعاهدة الحماية المشينة مع بريطانيا [٢٢٨]، كان يشكل في منطق الوهابية وحسب شروط التوحيد التي قررها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، من أكبر نواقض الإيمان ، وهو الولاء للكفار. [٢٢٩] خاصة في ذلك الوقت العصيب الذي كان فيه الإنجليز يخططون لضرب وحدة المسلمين و تمزيق أوصال دولتهم العظمى (الدولة العثمانية) و ترسيخ جذور الاستعمار في المنطقة وإقامة

---

[٢٢٦] – المصدر ، ص ٥٩

[٢٢٧] – المصدر ، ص ٣٦

[٢٢٨] – وصف فؤاد حمزة وكيل وزارة الخارجية السعودية ، المعاهدة بأنها "معاهدة جائرة". وقال عنها السفير السعودي خير الدين الزركلي: " بأنها على غرار المعاهدات التي كان الانجليز يعقدونها مع امارات الخليج" ووصفها مستشار عبد العزيز وسفيره في لندن حافظ وهبة ، فقال:" انها معاهدة تضعه تحت الحماية البريطانية كسائر أمراء الخليج ، فكانت كل اتصالاته برئيس الخليج الذي كان يقيم عادة في بوشهر".المصدر ، ص ٨٥

[٢٢٩] – يقول الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ : "التولي : كفر يخرج من الملة ، وهو كالذب عنهم ، وإعانتهم بالمال والبدن والرأي ، والموالاة : كبيرة من كبائر الذنوب كبلّ الدواة ، أو بري القلم ، أو التبشبش لهم أو رفع السوط لهم" . الدرر السنية والاجوبة النجدية ، ج ٧ ص٢٠١

الأنظمة التابعة لهم . الا ان ذلك لم يؤثر على علاقة ابن سعود بالحركة الوهابية التي نشطت في ظل حكمه وانخرطت في جيشه وكانت تصف عامة المسلمين بالشرك ، و لا تفرق بين المستعمِر و المستعمَر.

٢- علاقة ابن سعود مع (الإخوان) الوهابيين

مع عودة الحكم الى آل سعود في الرياض ، انطلقت الوهابية في حركة إحياء جديدة ، حيث قام أحد المشايخ الوهابيين و هو (عبد الكريم المغربي) ببناء خلية في واحة (الأرطاوية) و أقنع حوالي خمسين شخصا من البدو بالاستيطان في الواحة ، أو القرى المحيطة بها ، في محاولة منه لاستعادة تجربة الحركة الوهابية الأولى التي قامت على يدي الشيخ محمد بن عبد الوهاب قبل قرن ونصف قرن من ذلك الزمان. ثم انتشرت الفكرة في طول نجد وعرضها ، و أخذ الدعاة الوهابيون (**المطاوعة**) يطوفون في قبائل نجد ، يدعونهم الى الهجرة والاستقرار في القرى و الواحات ، التي أطلقوا عليها اسم : "الهجر" أو "اليثربيات" نسبة الى "يثرب" مهجر الرسول الأعظم محمد (ص): المدينة المنورة [٢٣٠] ، واعتبروا "الهجر" داراً للإيمان والهجرة من دار الشرك و الجاهلية ، كما كانت المدينة المنورة في مطلع الإسلام ، حيث رأوا أن من آية الإخلاص لله ودينه و آية الإيمان الصحيح : التخلص من كل ما يشتم منه رائحة الجاهلية ، فأخذوا يبيعون إبلهم و أغنامهم و ينقطعون في الهجر للعبادة و تعلم القراءة وحفظ القرآن وسماع السيرة

---

[٢٣٠] – بناء على وجوب الهجرة الى يوم القيامة كما قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه (الأصول الثلاثة).

النبوية و غزوات الرسول وتاريخ انتشار الإسلام في جزيرة العرب . وأطلقوا على أنفسهم اسم : "**الإخوان**" تيمنا بآية: "فأصبحتم بنعمته إخواناً".[٢٣١]

و قد تفاعل البدو الذين اعتادوا على الغزو و النهب و القتل في الصحراء ، مع العقيدة الوهابية التي كانت تبرر لهم ذلك بما تصوره لهم من أنهم وحدهم "المسلمون" و أن غيرهم "كفار ومشركون" لا حرمة لدمائهم و أموالهم و أعراضهم ، و أنهم يمارسون في غزوهم ، الجهاد في سبيل الله .

ثم توسعت الحركة و أصبحت لها اليد الطولى في شؤون نجد ، و استرعت انتباه الأمير ابن سعود في معركة احتلال الأحساء عام ١٩١٣م بما أبدت فيها من بسالة عسكرية كبيرة وتفانيا شديدا في القتال. و بادر ابن سعود في عام ١٩١٦ الى التصدي لقيادتهم كزعيم روحي لهم ، واستغلالهم في مشاريعه السياسية و العسكرية القادمة ، وكان أحوج ما يكون إلى جنود مطيعين كالإخوان ، فقرر أن يتولى قيادتهم .[٢٣٢] و أصدر أوامره بانخراط جميع القبائل العربية في صفوف "الإخوان" ، شاءوا أم أبوا ، فتألفت حوالي ٢٢٠ مستوطنة (هجرة) . و أوكل ابن سعود إلى الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف إدارة الهجر و تغذية البدو

---

[٢٣١] – محمد جلال كشك ، السعوديون والحل الاسلامي ، ص ٥٥٦

[٢٣٢] – ولم يكن تبني ابن سعود للإخوان بمعزل عن الإرادة البريطانية التي حاولت توظيف الحركة الوهابية في خدمة مخططاتها في المنطقة. إذ يقول الجاسوس البريطاني جون فيلبيي : إن عملية احياء الافكار الوهابية كانت من بين المهمات المكلف بها من أجل ايجاد انصار لابن سعود في كل بلدة وقبيلة وقرية من انحاء جزيرة العرب . جون فيلبي ، تاريخ آل سعود ٥٨٣

الملتحقين بها بالأفكار الوهابية و التركيز على طاعة الله وطاعة الحاكم و محاربة "الكفار" ، والإيحاء اليهم بأنهم فرسان التوحيد في مواجهة "المشركين".[٢٣٣]

وقبل نهاية السنة وجد ابن سعود نفسه قائدا لجيش كبير من المتطوعين العقائديين يستطيع الاعتماد عليهم حتى الموت ، و أن يضمن بهم التفوق على أعدائه.[٢٣٤] ولم تأت سنة ١٩٢٠ حتى كانت الحماسة للحركة الوهابية بين البدو قد بلغت حدا كبيرا ، بحيث أنه لم يبق أحد إلا و انضم إليها.[٢٣٥]

وقد جعل عبد العزيز من "الإخوان" نواة جيشه الدائم الذي يخصه بالأسلحة و الذخائر ، لأنهم كانوا يجمعون بين سطوة البدو و ثبات الحضر. وقال لفيلبي مفتخرا بهم : " إنه يكفي أن أصدر النداء ليهب للقتال تحت رايتي ألوف من بيشة الى نجران و من رانية الى تثليث و غيرها ، ليس فيهم من لا يحب الموت في سبيل العقيدة ، وكلهم يؤمنون بأن الفرار من الزحف يدخلهم النار".[٢٣٦]

وأحدث تلاحم ابن سعود مع حركة الإخوان ، تحولا كبيرا في طبيعة الحروب التي كان يشنها من أجل توسيع رقعة إمارته ، حيث اتخذت صفة الجهاد الديني ، بعد أن كانت مجرد نزاع على السلطة.[٢٣٧] و هكذا استطاع عبد العزيز أن يحتل بهم (حائل) بعد الأحساء ، ثم يحتل الحجاز .[٢٣٨]

---

[٢٣٣] – يقول أمين الريحاني : " أنهم يعتقدون ان من كان خارجاً عن مذهبهم ليس بمسلم فيشيرون الى ذلك في سلامهم بعضهم على البعض:(السلام عليكم يا الإخوان حيا الله المسلمين).واذا سلم عليهم سني او شيعي فلا يردون السلام " .الريحاني ، معجزة فوق الرمال ، ص ٦٤

[٢٣٤] – كشك، محمد جلال ، السعوديون والحل الاسلامي ص ٥٥٩–٥٦٠

[٢٣٥] – ديكسون: الكويت وجاراتها ، ج١ ص ٢٥٢

[٢٣٦] – كشك ، السعوديون والحل الاسلامي ، ٣٩٥

[٢٣٧] – كشك ، السعوديون والحل الاسلامي ، ٦١٣

[٢٣٨] – وكان الملك حسين قد شعر بخطرهم على دولته فطلب من الوكيل البريطاني في جدة بتاريخ ١٩١٨/٩/١٨ : ان تجبر بريطانيا ، ابن سعود على إلغاء (الإخوان) " الجمعية السياسية

ولكن عبد العزيز بن سعود ، كان يدرك أنه يسير في وادٍ ، ويسير الإخوان في وادٍ آخر ، فهو يعمل على خارطة محددة و أهداف معينة و يرتبط باتفاقيات دقيقة مع بريطانيا ، بينما يعيش الإخوان على الآمال والأحلام والشعارات والنظريات المتطرفة التي تسببت في انهيار الدولة السعودية الأولى . ولم يكن هو يريد بالتأكيد إعادة العالم الإسلامي "المشرك" الى عالم التوحيد ، ولكنه كان يريد فقط أن يستغل الإخوان والحركة الوهابية لتحقيق انتصارات عسكرية وسياسية ثم يعيدها الى القمقم . ومن هنا كان ابن سعود يدرك جيداً خطر الوهابية على نظامه ، إذا خرجت من بين يديه. ولذلك كان يحاول الإمساك بقرنيها بكل قوة ، و ضربها في الوقت المناسب. وقد قال للمقيم البريطاني في الكويت (هارولد ديكسون) الذي أبدى قلقه من خطر "الإخوان" في المستقبل : "يا ديكسون لا تخف ، الإخوان هم أنا و لا أحد غيري".[٢٣٩]

علاقة الوهابيين مع عامة المسلمين

التي تتستر برداء الدين" والتي ينظمها لخدمة طموحاته السياسية ، ورأى في الوهابية خطرا داهما على الأمن والسلام في الجزيرة العربية. المصدر ، ص ٥٦٧

[٢٣٩] – ديكسون: الكويت وجاراتها ، ج١ ص ٢٥٢

وقبل ان نواصل الحديث عن علاقة ابن سعود بالحركة الوهابية و "الإخوان" و تطورها ، يجدر بنا ان نتوقف عند علاقة الحركة الوهابية ببقية المسلمين من مختلف الطوائف ومن عامة البدو بمن فيهم شرائح من الوهابيين. فنقول:

عندما استولى عبد العزيز بن سعود على الرياض في مطلع القرن العشرين ، لم يكن هناك أي حديث عن تكفير الدولة العثمانية التي أصبح ابن سعود والياً لها ، ولا عن تكفير الحجاز و شرفائها الذين أعلن لهم عن وده وتقديره [٢٤٠]. و لا عن تكفير الكويت التي مضى فيها لاجئا عدة سنوات . وقد مضى أكثر من عشر سنوات قبل ان تنقلب الصورة ، و ذلك بعدما قرر ابن سعود تبني الحركة الوهابية عام ١٩١٦ وإعداد جيش "الإخوان" البدوي على أساسها ، حيث بدأت تتعالى نغمة التكفير من جديد ، والنظر الى سائر المسلمين على أنهم "كفار و مشركون". [٢٤١]

إذ قال أحد المشايخ الوهابيين المسؤولين عن تعبئة "الإخوان" ، وهو الشيخ سليمان بن سحمان ، عضو هيئة كبار العلماء :" إن مَن في جزيرة العرب لا نعلم ما هم عليه جميعهم ، بل الظاهر : أن غالبهم و أكثرهم ليسوا على الإسلام ، فلا نحكم على جميعهم بالكفر لاحتمال أن يكون فيهم مسلم . و أما مَن كان في ولاية إمام المسلمين فالغالب على أكثرهم الإسلام لقيامهم بشرائع الإسلام الظاهرة... وأما

---

[٢٤٠] – حرص عبد العزيز خلال السنوات العشر الأولى من حكمه على إظهار الولاء وتقبيل أيادي شريف مكة. وفي رسالة رقيقة له وجهها الى الشريف حسين بن علي ، رضي ابن سعود لنفسه أن يكون تابعا للعثمانيين بواسطة شريف مكة. عبد الكريم الغرايبة ، قيام الدولة السعودية العربية ، ص ١٠

[٢٤١] – يقول أمين الريحاني : " أنهم يعتقدون ان من كان خارجاً عن مذهبهم ليس بمسلم فيشيرون الى ذلك في سلامهم بعضهم على البعض:(السلام عليكم يا الإخوان حيا الله المسلمين).واذا سلم عليهم سني او شيعي فلا يردون السلام " .الريحاني ، معجزة فوق الرمال ، ص ٦٤

من لم يكن في ولاية إمام المسلمين فلا ندري بجميع أحوالهم و ما هم عليه ، لكن الغالب على أكثرهم ما ذكرناه أولا ، من عدم الإسلام.

فمن كان ظاهره الإسلام منهم فيُعامل بما يُعامل به المسلم في جميع الأحكام ، وأما مَن ظاهره لا إسلام ولا كفر ، بل هو جاهل ، فنقول : هذا الرجل الجاهل إن كان معه الأصل الذي يدخل به الإنسان في الإسلام فهو مسلم .. و ان لم يوجد معه الأصل الذي يدخل الإنسان في الإسلام فهو كافر ، فمن كان ظاهره الكفر فهو كافر".[٢٤٢]

أما الشيعة فقد كان الوهابيون ينعتونهم بالرافضة ، ويعتبرونهم من أهل دين آخر غير الإسلام ، وقد اصدر الشيخ محمد بن عبد اللطيف (و أربعة عشر عالماً آخر) في نهاية اجتماع عقد في شعبان سنة ١٣٤٥ (١/١٧/ ١٩٢٧) بيانا جاء فيه : "...أما الرافضة فقد أفتينا للإمام ابن سعود ان يلزمهم البيعة على الإسلام ، ويمنعهم من إظهار شعائر دينهم الباطل ، و على الإمام ان يلزم نائبه في الاحساء ان يحضرهم عند الشيخ (ابن بشر) و يبايعوه على دين الله و رسوله... و يلزمهم بتعليم (ثلاثة الأصول) – وهو كتاب للشيخ عبد الوهاب – و مَن أبى قبول ذلك ينفى من بلاد المسلمين...و أما رافضة العراق الذين انتشروا وخالطوا بادية المسلمين فأفتينا الإمام بكفهم عن الدخول في مراعي المسلمين و أرضهم ".[٢٤٣]

و تحت شعارات التكفير هذه أمر ابن سعود قائده فيصل الدويش (زعيم الإخوان) بمهاجمة الجهراء في الكويت بنحو أربعة آلاف رجل سنة ١٣٣٩ ، من

---

[٢٤٢] – ابن سحمان ، منهاج أهل الحق ، ص ٧٩ – ٨٠

[٢٤٣] – حافظ وهبة : جزيرة العرب في القرن العشرين ٢٢٧ و أنور عبد الله : العلماء والعرش ص ٤٧١ و التويجري ، عبد العزيز ، لسراة الليل هتف الصباح ، ص ٣٦٧ – ٣٦٩

أجل (دعوة أهل الكويت الى الإسلام).[٢٤٤] مما أحدث صدمة في نفوس الكويتيين و حتى الحنابلة و السلفيين منهم.[٢٤٥]

و من الواضح ان علاقة أية حركة تكفر المسلمين ستكون قائمة على العنف و القهر و الغلبة و الفتح والاحتلال ، ولن يكون فيها مجال لأي نوع من الاحترام أوالشورى أو السماح للمواطنين بالمشاركة السياسية و تقرير المصير.

علاقة الوهابيين الداخلية (التكفير البيني)

ولما كانت عجلة التكفير عنيفة و واسعة فإنها لم توفر حتى بعض القواعد الوهابية ، حيث لم يكتف "الإخوان" بتكفير الشيعة و عامة المسلمين ، و إنما أخذوا يكفرون بعض الوهابيين من البدو و الحضر ، و خاصة الذين لم يلتحقوا بهم ، أو لم يهاجروا معهم ، أو لم يلتزموا بدقة بمثل ما كانوا يلتزمون ، كلبس العمامة التي اشتهروا بها. [٢٤٦]

يقول الشيخ سليمان بن سحمان :" يجري على ألسنة كثير منهم من الأمور التي أحدثها و ابتدعها مَن تجاوز الحد ، و غلا في الدين و اتبع غير سبيل المؤمنين.

فمن ذلك قولهم: إنه لا إسلام لمن لم يهاجر من الأعراب ، وان كان قد دخل في (الدين)[٢٤٧] وأحبه و والى أهله ، و ترك ما كان عليه أولاً ، من أمور الجاهلية ، إلا أن يهاجر ، و من لم يهاجر فليس بمسلم عندهم.

---

[٢٤٤] – الرشيد، عبد العزيز ، تاريخ الكويت ، ص ٢٣

[٢٤٥] – المصدر ، ص ٢٥٨

[٢٤٦] – راجع أيضا: حافظ وهبة ، جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٣١٢ و التويجري ، عبد العزيز : لسراة الليل هتف الصباح ، ص ٢٤٧و٢٥٧

[٢٤٧] – أي الوهابية

و من ذلك أيضا: أنه إذا مرت قافلتهم على بعض الأعراب الذين ظاهرهم الإسلام و فيهم من تميّز بمعرفة الدين و الدخول فيه و ترك ما كانوا عليه من أمور الجاهلية لم يسلموا عليهم ابتداء و لا يردون السلام عليهم و لا يأكلون ذبائحهم لأنهم لم يهاجروا معهم".[٢٤٨]

وكان "الإخوان" قد استعادوا أدبيات الحركة الوهابية الأولى ، و التي يكفر فيها مؤسس الحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أهل البادية بالعموم ، و اقتدوا به في الحكم على أهل البادية المعاصرين لهم عموما بالكفر. ولذلك توقف الشيخ ابن سحمان عند هذه النقطة فقال:" هنا مسألة أخذ بها هؤلاء المتدينون من البدو "الإخوان" و هي أن من يقرأ عليهم بعض عبارات الشيخ محمد بن عبد الوهاب في البدو ، مثل الموضع السادس من السيرة (انه ليس معهم من الإسلام شيء) ، و ما ذكره عن الأعرابي الذي يشهد أنه هو و سائر الناس البدو كفار ، و أن المطوع الذي ما يكفر البدو كافر ، و أمثال ذلك ، فإذا قرأه عليهم قالوا: هذا قول الشيخ في البدو.[٢٤٩]" انهم كفروا البادية بالعموم ، وانهم لم يسلموا ولم يدخلوا في هذا الدين".[٢٥٠]

انقلاب ابن سعود على "الإخوان"

---

[٢٤٨] – ابن سحمان : منهاج أهل الحق ، ص ٩٠

[٢٤٩] – المصدر ، ص ١٤

[٢٥٠] – المصدر ، ص ٨٨

لم يأبه الوهابيون و "الإخوان" كثيرا للطبيعة الديكتاتورية للنظام السعودي الجديد ، و القائمة على القوة و القهر و الغلبة ، فقد كان ذلك جزءا من تراثهم الفكري السياسي ، و لذلك لم يجدوا مانعا من التعاون مع ابن سعود و القتال الى جانبه و تعزيز سلطانه في مواجهة القبائل و الشعوب والحكومات و الطوائف غير الوهابية ، و لكن طبيعة النظام الديكتاتورية كانت الثغرة التي انقلب منها النظام عليهم و قضى عليهم و على الوهابية فيما بعد. و قد تمثل ذلك الانقلاب في التنكر للمبادئ الإسلامية كمبدأ الولاء و البراء ، و انتهاج سياسة التبعية و التحالف مع الاستعمار الإنجليزي في أحرج وقت كانت تمر فيه الأمة الإسلامية ، ثم الانقلاب على أهم قوة وهابية و هم "الإخوان" الذين استعان بهم في تثبيت أركان حكمه ، و القضاء عليهم.

وقد بدأ الانشقاق بين الطرفين مباشرة بعد احتلال الحجاز عام ١٩٢٥ حيث وجد "الإخوان" نوعاً من التناقض بين الشعار الذي دفعهم ابن سعود تحت ظله للحرب وهو (تحرير الحجاز من الكفار و المشركين) وبين سياسة المداهنة التي اتبعها مع الحجازيين و تأكيده لهم :"بأنه لا يريد حكم البلاد حكماً مباشراً" وتقديم الوعود لهم بالسماح لهم بإدارة أنفسهم بأنفسهم عبر مجلس شورى[٢٥١]، و قد قال ابن سعود في خطابه أمام قيادات مكة:" لا أريد أن استأثر بالأمر في بلادكم دونكم و إنما أريد مشاورتكم في جميع الأمور". و طلب من الحاضرين أن يجتمعوا لانتخاب من يمثلهم في مجلس الشورى الأهلي، في محاولة منه لتسهيل احتلال جدة و المدينة المنورة.[٢٥٢] و ذهب الى حد طرح فكرة تدويل الأماكن المقدسة .[٢٥٣] و رغم

---

[٢٥١] - وأصدر بتاريخ ٢٢ صفر ١٣٤٣-١٩٢٤ منشورا وعد فيه المسلمين وأهل الحجاز بالخصوص بأن تكون الحجاز ومكة للمسلمين عامة وأن يكون أمر الحرمين الشريفين شورى بين المسلمين . وقال : إنما أنا وكيل عن المسلمين في طرد الهاشميين ليقرروا مصير الحجاز بحرية.كشك ، محمد جلال ، السعوديون والحل الاسلامي ، ص ٥٢٦-٥٢٧

[٢٥٢] - المصدر ، ص ٥١٦

ان ابن سعود كان يستخدم تلك الوعود كوسيلة لتوطيد حكمه ومحاولة لتذليل العقبات أمام فتح سائر المناطق و المدن الحجازية ، الا انه أثار مخاوف "الإخوان" الذين وجدوا في تعامله مع الحجازيين كمسلمين ، نوعا من التناقض مع صفة الشرك و الكفر التي كان يطلقها عليهم من قبل.[٢٥٤] و فهموا الدعوة التي وجهها ابن سعود إلى عقد مؤتمر إسلامي لإدارة الحرمين[٢٥٥]، على أساس أنها تفريط بالدين و مداهنة للكفار و المشركين.[٢٥٦] وقد زاد شعور "الإخوان" بالمرارة رفض ابن سعود لمطالب قادتهم فيصل الدويش و سلطان بن حميد بن بجاد اعتبار الحجاز غنيمة حرب و تعيينهما أميرين على مكة و المدينة. [٢٥٧]

و ربما كان ابن سعود يحاول تهدئة العالم الإسلامي ، والإطلال عليه بوجه معتدل ، او يخضع لضغط حلفائه الإنجليز الذين كانوا يرفضون ان يطبق نهجه الوهابي المتشدد في الحجاز. [٢٥٨] ولكن سلوكه مع الحجازيين كان يبدو أشبه

---

[٢٥٣] – و قوله للحجازيين : " إن مكة للمسلمين كافة ، فأمر إدارتها و تنظيمها يجب أن يكون طبق رغائب العالم الإسلامي .. إننا سنجتمع بوفود العالم الإسلامي هناك وسنتبادل معهم الرأي في كل الوسائل التي تجعل بيت الله بعيدا عن الشهوات السياسية. إن الحجاز سيكون مفتوحا لكل من يريد فعل الخير من الأفراد والجماعات". وقوله رداً على برقية الحزب الوطني الحجازي : " إنا لا نطمع في امتلاك الحجاز أو التسلط عليه ، و لهذا فهو يترك للعالم الإسلامي" كشك ، محمد جلال ، السعوديون والحل الاسلامي ، ص ٥٢٥ – ٥٢٦

[٢٥٤] – المصدر ، ص ٦٢٠

[٢٥٥] – رفع عبد العزيز بن سعود شعار المؤتمر الاسلامي أثنا ء احتلال الحجاز لأهداف تكتيكية ثم تراجع عنه و ألغاه ، كما رفض مناقشة المؤتمر الاسلامي للقضايا السياسية أو التدخل في الشؤون الداخلية للحجاز. المصدر ، ص ٥٣٤ – ٥٣٥

[٢٥٦] – المصدر ، ص ٥٢٥ – ٥٢٦

[٢٥٧] – المصدر ، ص ٦٢٢

[٢٥٨] – يقول محمد جلال كشك ان لورانس وجه تحذيرا بريطانيا لابن سعود بقوله : اذا كان ابن سعود يريد ان يتخلى عن الوهابية فنحن نرحب باحتلاله للحجاز ، واما اذا كان يريد ان يحافظ

بموقف متراجع عن الوهابية ، و ينم عن قرار شخصي لا دور فيه للمقاتلين الذين فتحوا بسيوفهم ذلك الإقليم.

و بغض النظر عن صواب منطق أي طرف ، فان الملفت هو كيفية اتخاذ القرار داخل الحركة الوهابية و استبداد الإمام و امتلاكه لصلاحية الانعطاف الى الوراء دون السماح لأي أحد بالاعتراض.

وفي هذا السياق استنكر "الإخوان" وقوف ابن سعود أمام اندفاعتهم لمواصلة الحرب ضد "الكفار" في المناطق المجاورة كالعراق والأردن و الكويت ، و عقدوا اجتماعا في شهر ديسمبر عام ١٩٢٦م في هجرة (الارطاوية) أكّدوا فيه على الرغبة في مواصلة الحرب ، واستغربوا منع ابن سعود لهم من التجارة مع الكويت ، فان رعاياها – كما كانوا يرون – إما كفار يجب قتالهم ، أو مسلمين ليس للحاكم أن يمنعهم من التعامل معهم.[٢٥٩] و أخذوا على ابن سعود السماحَ لقبائل

عليها فاننا سوف نأتي بالمسلمين الهنود لكي يخلصوا بلاد الحرمين منه ، اذا ما أصر على الوهابية. المصدر ، ص ٤٩٦

[٢٥٩] – كان موضوع السفر الى بلاد "المشركين" الكويتيين ، أحد مآخذ الإخوان في خلافهم مع ابن سعود ، حيث اتهموا المشايخ بنقض قرار وهابي شهير بحرمة السفر الى بلاد المشركين ، وإباحته ، في الوقت الذي كانوا يحرمون على (الإخوان) السفر الى الكويت و الاتجار معها. (ابن سحمان: منهاج أهل الحق ، ص ٨٦) وكانت هذه تهمة خطيرة لمشايخ الوهابية الذين هبوا للرد عليها و الدفاع عن أنفسهم ، و تأكيد "حرمة السفر الى بلاد المشركين". (المصدر ، ص ١٠٢) وقد حاول الشيخ سليمان بن سحمان أن ينفي تهمة إباحة السفر الى بلاد المشركين ، بقوله:"ان كان مراد هؤلاء الذين شبهوا على عوام المسلمين بهذه الشبهات : ان السفر الى بلاد الأحساء بعد أن أخرج الامام الدولة الكفارَ (الأتراك) فهذا لا شك فيه لأنها صارت دار إسلام ، بعد أن كانت دار كفر ، لجريان أحكام أهل الاسلام على أهلها و الغلبة و الظهور فيها لأهل الاسلام على من كان فيها ممن ظاهر أهل الكفر من الروافض وغيرهم ، كما نص على ذلك العلماء قديما وحديثا.

و ان كان مرادهم أن السفر الى بلاد الأحساء و الى بلد الكويت مثلا مباح حال ولاية الكفار عليها ، و ان المشايخ إذ ذاك يبيحون السفر إليها ، فقد كان من المعلوم : ان المشايخ من أعظم

شرقي الأردن والعراق "الكافرة" بإرسال مواشيهم لترعى في ديار "المسلمين". كما أخذوا عليه تسامحه مع الشيعة في المنطقة الشرقية ، الذين كان يجب برأيهم العمل على إدخالهم في الإسلام جبرا ، أو طردهم من البلاد.

و طرحوا في اجتماعهم قضايا أخرى جزئية مثل إرسال عبد العزيز لابنه سعود إلى مصر" معقل الكفر" ، و إرسال ابنه الآخر فيصل إلى لندن ، و إدخال التلفون والتلغراف إلى الحجاز.[٢٦٠] ولكن الموضوع الرئيسي الذي كان يشغل بالهم هو موضوع منعهم من مواصلة الغزو ، و هو ما عبر عنه زعيمهم فيصل الدويش في رسالة له إلى عبد العزيز بن سعود ، حيث قال : "... وقد منعتني من غزو البدو ، وهكذا أصبحنا لا مسلمين نحارب الكفار ولا أعراباً بدواً يُغير بعضنا على البعض ونعيش على ما ينهبه كل منا من الآخر ، فمنعتنا من ديننا و دنيانا". [٢٦١]

وكان منع ابن سعود للبدو الوهابيين "الإخوان" من ممارسة الغزو (أو الجهاد حسب اصطلاحهم) قد أوقعهم في مأزق كبير ، إذ كان عليهم إما الالتزام بقرار ابن سعود وانتظار الموت جوعا في الصحراء ، أو التمرد على القرار ومواصلة (الجهاد)

الناس تحريما لهذا السفر ، و ان ذلك عندهم من أكبر الكبائر و لا يبيحون السفر اليها ". المصدر ، ص ١٠١ – ١٠٢

[٢٦٠] – وكان المفتي الأكبر الشيخ محمد بن عبد اللطيف وإخوانه من العلماء قد احتجوا من قبل في رسالة لهم إلى عبد العزيز على استعمال التلغراف فقالوا:" وأما وضع البرقيات في الرياض وغيرها من قرى نجد ، وما يترتب على ذلك ، فلا نراه جائزا ولا نفتي به ونبرأ إلى الله من الإفتاء بشيء يترتب عليه المفاسد... وان من لازم وضعه وجود الكفر ممن يتولاه والسعي في نقض هذه الدعوة الاسلامية وإعادة الباطل في نجد كما كان وأعظم...وقد قال (ص): (لايجتمع دينان في جزيرة العرب)". ٧ شوال ١٣٣٩هـ /١٩٢٠

التويجري ، عبد العزيز : لسراة الليل هتف الصباح ، ص ٢٧٣

[٢٦١] – كشك ، محمد جلال ، السعوديون والحل الاسلامي ص ٦٨٠

و الفتوح و الحصول على الغنائم. وهذا ما فعلوه في مؤتمرهم حيث قرروا مواصلة عملياتهم العسكرية ضد القبائل العربية "الكافرة" شمال الجزيرة العربية. في الوقت الذي كان يقوم عبد العزيز بن سعود – حسب معاهدة دارين ١٩١٥ و معاهدة جدة عام ١٩٢٧ – بالمحافظة على علاقات الود والسلم مع الكويت والعراق والأردن والبحرين وقطر وساحل عمان ، وعدم القيام بأية هجمات مسلحة على المستعمرات البريطانية.

و بدا وكأن "الإخوان" لم يكونوا يعلمون شيئا عن تلك المعاهدات التي وقعها ابن سعود مع البريطانيين و التي كانت ترسم له خارطة التحرك و"الجهاد". وعندما واجهوا الحقيقة تفجرت أزمة عنيفة بينهم وبين إمامهم ابن سعود ، وحدث الاصطدام بين الفريقين. ولما كانت طبيعة النظام السياسي السعودي قائمة على القوة و القهر و الغلبة ، و لا تتضمن أي نوع من الشورى والمشاركة السياسية ، فقد كان على "الإخوان" ان يذعنوا لقرار إمامهم مهما كان نوعه. الا أن امتلاك "الإخوان" لقوة عسكرية هائلة لم يكن يسمح لابن سعود بفرض قراره عليهم بسهولة. وكان عليه ان يحاورهم ، او يناور معهم، تمهيدا لإقناعهم بقراره أو فرضه عليهم في الوقت المناسب. ومن أجل ذلك دعا عبد العزيز بن سعود الى اجتماع عام في الرياض عام ١٩٢٧ ونجح في استصدار فتاوى من علماء الدين بتخويله فقط حق اتخاذ القرار بإعلان الجهاد.[٢٦٢] وقد جاء في إحدى فتاواهم ما يلي:" من أعظم فرائض

---

[٢٦٢] – اصدر الشيخ محمد بن عبد اللطيف (وأربعة عشر عالماً آخر) في نهاية الاجتماع ، بياناً يلبي بعض مطالب الإخوان ، وخاصة فيما يتعلق بالتعامل مع الشيعة ، جاء فيه : "...أما الرافضة فقد افتينا للامام ابن سعود ان يلزمهم البيعة على الاسلام ، ويمنعهم من اظهار شعائر دينهم الباطل ، وعلى الامام ان يلزم نائبه في الاحساء ان يحضرهم عند الشيخ (ابن بشر) ويبايعوه على دين الله ورسوله وترك دعاء الصالحين من أهل البيت وغيرهم و ترك سائر البدع من اجتماعهم على مآتمهم وغيرها مما يقيمون به شعائر مذهبهم الباطل ويمنعون من زيارة المشاهد.

الإسلام التي جاء بها الرسول (ص) : الجماعة ، وأخبر (ص) : أنه لا إسلام بلا جماعة ، ولا جماعة الا بالسمع والطاعة. و قد مَنَّ الله في آخر هذا الزمان الذي اشتدت فيه غربة الإسلام ، وظهر فيه الفساد في البر والبحر بفضله وكرمه بهداية غالب بادية أهل نجد ، خصوصا رؤساءهم ، وجعل الله لك حظا وافرا في إعانتهم ، وانتشر الإسلام في نجد جنوبا وشمالا. ورأينا أمراً يوجب الخلل على أهل الإسلام ودخول التفرقة في دولتهم ، وهو الاستبداد من دون إمامهم ، بزعمهم أنه بنية الجهاد. ولم يعلموا أن حقيقة الجهاد و مصالحة العدو و بذل الذمة للعامة ، و إقامة الحدود أنها مختصة بالإمام و متعلقة به ، ولا لأحد من الرعية دخل في ذلك الا بولايته .. و الذي يعقد لنفسه راية و يمضي في أمر من دون إذن الإمام و نيابته فليس من أهل الجهاد في سبيل الله. فالواجب عليك (يا عبد العزيز) حفظ ثغر الإسلام عن التلاعب به وأنه لا يغزو أحد من الهجر إلا بإذن منك و أمر منك و لو راعي مطية".[٢٦٣]

وكذلك يلزمون بالاجتماع على الصلوات الخمس هم وغيرهم في المساجد ويرتب فيهم أئمة ومؤذنون ونواب من أهل السنة ، ويلزمهم بتعليم (ثلاثة الاصول) ، وكذلك ان كان لهم محال مبتنية لاقامة البدع تهدم ، ويمنعون من اقامة البدع في المساجد وغيرها ، ومن أبى قبول ذلك ينفى من بلاد المسلمين.

وأما الرافضة من أهل القطيف فيلزم الامام الشيخ ابن بشر ان يسافر إليهم ويلزمهم بما ذكرنا.

وأما رافضة العراق الذين انتشروا وخالطوا بادية المسلمين فأفتينا الامام بكفهم عن الدخول في مراعي المسلمين وأرضهم. وأما الجهاد فهو موكول الى نظر الامام وعليه أن يراعي الأصح للاسلام والمسلمين"

حرر في شعبان سنة ١٣٤٥ -(١٩٢٧ /١/١٧)

حافظ وهبة : جزيرة العرب في القرن العشرين ٢٢٧ و أنور عبد الله : العلماء والعرش ص ٤٧١ و التويجري ، عبد العزيز ، لسراة الليل هتف الصباح ، ص ٣٦٧ – ٣٦٩

[٢٦٣] – التويجري ، عبد العزيز ، لسراة الليل هتف الصباح ، ص ٢٧٩

ولكن "الإخوان" رفضوا فتوى العلماء القائلة بأن الإمام وحده صاحب القرار في إعلان الجهاد ، فقاموا في السادس من نوفمبر عام ١٩٢٧م بشن هجوم على مخفر عراقي قرب الحدود السعودية و قضوا على جميع أفراده ، وحصلوا على بعض الغنائم ، مما فتح شهية بقية القبائل البدوية الجائعة التي تدفقت على ابن سعود تطلب الإذن بالجهاد و فتح العراق ، ولكن ابن سعود رفض بقوة كل تلك المطالب وأعلن عصيان زعيم الإخوان (فيصل الدويش) و وضعه تحت الإقامة الجبرية في الأرطاوية .[٢٦٤]

و أمام استمرار قيام الإخوان بغزواتهم على القبائل العراقية و الأردنية ، و هجومهم على مخفر البصية العراقي ، لم يجد ابن سعود الا دعوة قادة "الإخوان" و شيوخ العشائر و أشراف المدن و علماء الدين ، الى مؤتمر عام في الرياض في ٦ كانون الأول ١٩٢٨ حضره أكثر من ٨٠٠ عنصر منهم ، فوجه ابن سعود إليهم خطاباً استعرض فيه إنجازاته وخدماته و فضائله وحقه عليهم بأنه الذي هداهم للإسلام وانه لا فضل لهم عليه في توسيع مملكته ، و انتقد القبائل المخالفة له و اتهمها بمحاولة تمزيق المملكة .

وقال لهم مهدداً :" لاتظنوا يا إخوان ان لكم قيمة كبيرة عندنا .. لا تظنوا أنكم ساعدتمونا و أننا نحتاج إليكم. قيمتكم يا إخوان في طاعة الله ثم طاعتنا فإذا تجاوزتم ذلك كنتم من المغضوب عليهم. أي والله ، لا تنسوا ان ما من رجل منكم الاّ و ذبحنا أباه وأخاه أو ابن عمه و ما ملكناكم الاّ بالسيف. و السيف لا يزال بأيدينا إذا كنتم يا إخوان لا ترعون حقوق الناس. لا والله لا قيمة لكم عندنا في تجاوزكم. انتم عندنا مثل التراب..انتم ما دخلتم في طاعتنا رغبة بل قهراً و إني والله اعمل بكم السيف إذا تجاوزتم حدود الله " وقال لهم بصراحة : " لقد بنيت ملكي

---

[٢٦٤] – كشك ، محمد جلال ، السعوديون والحل الاسلامي ، ص ٦٤١

بعون الله وقوة ساعدي.. ولقد بلغني أن الكثير منكم غير راض عني و عن حكومتي ، و لكني لست ممن يتخلون تحت الضغط و القوة عن عروشهم .. " .[٢٦٥]

وبعد نقاش طويل سألهم الملك :– ما ذا تريدون ؟ وقدم استقالته لهم قائلا :" أنا مستعد للتنازل عن الحكم و التخلي عن جميع سلطاتي لأي رجل تختارونه بدلاً مني". ودعاهم "لانتخاب ولي أمر لهم يسير بهم حسبما يجتمعون عليه أمرهم في الخطة التي يرونها" ملقياً اللوم عليهم في ما وصلت إليه الأمور من تدهور.[٢٦٦]

ويبدو أن الاستقالة كانت أقرب الى الطابع المسرحي منها الى الاستقالة الحقيقية ، و أنها كانت تهدف تأمين تأييد الحاضرين لسياسته واستنكار مواقف زعماء "الإخوان".[٢٦٧] في الوقت الذي كانت تعبر عن وجود أزمة عميقة تعصف بعلاقة ابن سعود مع الجيش الوهابي "الإخوان" و عدم قدرته على التوفيق بين الاتجاه السياسي الواقعي وشعارات "الإخوان" الوهابية. ولذلك فقد انفض الاجتماع بانسحاب "الإخوان" و إصرارهم على موقفهم المتمرد ، حيث أعلنوا التعبئة العامة ، و أعربوا عن عزمهم على مهاجمة العراق شاء ابن سعود أم أبى.

ثم أغاروا على قبائل مالك العراقية فجر يوم ٢١ يناير ١٩٢٩ و قتلوا و نهبوا .[٢٦٨]

---

[٢٦٥] – القحطاني، فهد: صراع الأجنحة في العائلة السعودية ٢٧٨

[٢٦٦] – عبد الله ، أنور : العلماء والعرش ٢٦١–٢٦٣

[٢٦٧] – وذلك لأن ابن سعود نفسه كان قد قال للإخوان في وقت سابق بتاريخ ١٩٢٨/١٠/١٩ : " لقد بنيت ملكي بعون الله وقوة ساعدي.. ولقد بلغني أن الكثير منكم غير راض عني وعن حكومتي ، ولكني لست ممن يتخلون تحت الضغط والقوة عن عروشهم .. ". القحطاني ، فهد: صراع الأجنحة في العائلة السعودية ٢٧٨

[٢٦٨] – كشك ، محمد جلال ، السعوديون والحل الاسلامي ، ص ٦٤٣

ولكن ابن سعود رفض قرارهم بشدة ، و بادر الى اعتقال بعض قادتهم ، و أصدر أوامره إليهم بإعادة ما نهبوه من غزواتهم على القرى العراقية ، فلم يعجب هذا الأمر "الإخوان" .[٢٦٩] وقاموا بحملة دعائية واسعة النطاق ضده ، مشيرين الى أن قبوله بوجود المخافر على الحدود العراقية دليل على أنه قد باع حقوق بلاده الى البريطانيين.[٢٧٠] و " أن إمامهم قد أصبح أداة في أيدي الإنجليز.[٢٧١] و تولد لديهم شعور " بأن ابن سعود يبغي الدنيا و يوالى من حاد الله و رسوله" .[٢٧٢]

و قد وجدوا في قرار ابن سعود بإعادة الغنائم التي حصلوا عليها من الغزو ، تناقضاً صارخاً مع مبادئ الوهابية ، وقالوا له بصراحة : " أنت كإمام كنت تدعو الى الجهاد ضد الكفار والمشركين ، ولطالما دعوت وكررت الدعوة الى أن العراق كدولة شيعية يجب أن يدمر ، وان كل ما يؤخذ من أهله حلال ، ولطالما رددت قول القرآن الكريم لإثبات أن كل الأعمال التي يقوم بها المؤمنون ضد الكفار والمشركين يجب أن يُكافأوا عليها ، والآن و بأمر من الإنجليز الكفار أنفسهم تدعونا نحن فرسانك المختارين سيوف الإسلام الى إعادة ما أخذناه لأنك تعتبر ما فعلناه خطأ ، فإما أن تكون أنت دجال منافق تحب ذاتك و تبحث عن منفعتك ، و اما ان يكون القرآن كتاباً غير صحيح ".[٢٧٣]

و كحلٍ للأزمة طالبوا بالاحتكام الى علماء الشريعة ليبتوا في الأمر ، مما بث الرعب في قلب عبد العزيز بن سعود ، لأنه كان يعرف أنه في الحقيقة هو الخارج على مبادئ الوهابية التي كانت تشجع على جهاد "الكفار و المشركين" و تستحل دماءهم و أموالهم. لقد كان ابن سعود في مأزق حقيقي فإما أن يعترف لجنده بأن

---

[٢٦٩] – ديكسون: الكويت وجاراتها ، ج١ ص ٢٩٥

[٢٧٠] – المصدر ، ج١ ص ٢٩٦

[٢٧١] – المصدر ، ج١ ص ٣٠٧

[٢٧٢] – كشك ، محمد جلال ، السعوديون والحل الاسلامي ، ص ٦٤٥-٦٤٧

[٢٧٣] – ديكسون: الكويت وجاراتها ، ج١ ص ٣١٤

شعاراته "الوهابية" كانت مخادعة و جوفاء ومؤقتة و أنه كان انتهازيا ، وإما أن يستجيب لهم ويمضي معهم. ولما كانت معاهداته مع بريطانيا أقوى من التزامه بالشعارات الوهابية ، فقد كان عليه أن يطوي بساط الوهابية ويقضي على "الإخوان" ويرفض أي حوار. وقد ساعدته على ذلك طبيعة النظام السياسي السعودي الاستبدادية المطلقة ، فكتب الى الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري ، الذي كان يقوم بدور الوساطة بينه وبين "الإخوان" المتمردين ، بتاريخ ١٦شوال ١٣٤٧ (١٩٢٨) رافضاً الصلح معهم ومطالباً إياهم بالخضوع والتسليم :".. اني لأتمم ما أوجبه الله ورسوله لهم علي و قررته أنت. وأما ما أوجبه الله لي من حق الولاية من السمع والطاعة و امتثال الأمر وعدم المنازعة ، وما أوجبه الله للمسلمين في أداء حقوقهم من أموال و رقاب وبغي وغيره مما تحرمه الشريعة على المسلمين... والقبول من علماء المسلمين وعدم مخالفتهم والامتثال لنصائحهم وعدم التدخل في أمر الولاية وأمر الرعية مما يخالف بين المسلمين ويفسد الرعية على الراعي ، ويفرق بينهم

وهنا قام رجال الدين الوهابيون بدور كبير في دعم سلطة ابن سعود وفرض الطاعة على "الإخوان" ورفض مبدأ المعارضة أو المشاركة في الأمور السياسية ، فأرسل الشيخ عبد العزيز العنقري رسالة الى كافة "الإخوان" ، جاء فيها:" معلوم عندكم : ان الله مَنَّ على أهل نجد بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، و ساعده على ذلك حمولة آل سعود ، و نصروا هذه الدعوة الإسلامية ، وكلما ضعفت أقام الله منهم من يحييها و يجددها. ومن أعظم من قام بإحيائها في هذا الزمان الذي كثرت فيه الأهواء و البدع وعَمَّ فيه الشرك أكثرَ أهل الأرض : الامام عبد العزيز. و بذلك صار له علينا وعليكم و على جميع المسلمين من الحقوق ما يجب مراعاته ، فان السمع و الطاعة لولاة الأمور دين من أعظم ما يدان الله به ، و في الخروج عليهم و منازعتهم الأمر وشق عصا المسلمين أعظم الفساد في الأرض ، فان النبي (ص) أمر بطاعة ولاة الأمور و نهى عن معصيتهم وقال: (اسمع و أطع

أميرك وان أخذ مالك و ضرب ظهرك) ، ولما ذكر (ص) أمراء الجور قال بعض الصحابة : ألا نقاتلهم يا رسول الله؟ قال (ص): لا ، ما أقاموا فيكم الصلاة. فكيف و إمامكم ولله الحمد متمسك بالشريعة الغراء حاد في نصرة هذا الدين؟ فلا يجوز لأحد مخالفته ولا الاعتراض عليه في ولايته التي ولآه الله تعالى إياه".[٢٧٤]

ورفض ثمانية من كبار العلماء [٢٧٥] فتح باب النقد و المعارضة السياسية حتى في داخل الحركة الوهابية و وقفوا الى جانب ابن سعود في صراعه مع "الإخوان" ، فقالوا:" الرعية إذا انفتح لها باب في الطعن على الولاية وعلى من قام بها بأسباب لا تخرجه عن الإسلام ولا توجب الطعن عليه ، بل هي مصلحة للإسلام و أهله و درء للمفاسد ، انفتح باب الشر ، و حدثت الفتن التي هي غاية مرام الكفار ، وهي الفرقة بين المسلمين ، ولا يتمكن أعداء الدين الا بذلك.

ونحن في زمن غربة ، كما قال ابن القيم وهو في القرن السابع للإسلام : نحن في زماننا أغرب منه في يوم قوله (ص) لعمر بن عنبسة لما قال له: من معك؟ قال: حرٌ و عبد. فكيف بزماننا هذا ؟ اشتدت الغربة وقلّت البصيرة وضعفت القوة ونطقت الرويبضة في أمر العامة ، و قلّت البصيرة في دين الله ومعرفة ما يجوز و ما يمتنع في حق من ولآه الله أمر المسلمين".[٢٧٦]

ان علاقة ابن سعود مع "الإخوان" لم تكن قائمة على الشورى و الرضا و الاختيار ، وانما كانت قائمة – كما هو واضح – على مبدأ القوة و العنف ، و قد عبر ابن سعود عن نظرته تلك بقوله:" ان العشائر لا يفهمون إلا السيف. و إلا فهم

---

[٢٧٤] – التويجري ، عبد العزيز ، لسراة الليل هتف الصباح ، ص ٣٢٩

[٢٧٥] – هم: الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف ، وحسن بن حسين ، وسعد بن حمد بن عتيق ، وسليمان بن سحمان ، وصالح بن عبد العزيز ، وعبد الله بن حسن ، وعبد الرحمن بن سالم ، وعبد الله بن محمد بن عتيق.

[٢٧٦] – التويجري ، لسراة الليل هتف الصباح ، ص ٢٨٧– ٢٩٣

يركبون على ظهر الحكومة و يسوقونها و البلاد إلى مهاوي الخراب.. اشهروا السيف يرتدعوا و يتأدبوا".[٢٧٧]

الهيمنة على الحركة الوهابية فكرياً و دينياً

و في خطوة مهمة من أجل السيطرة على "الإخوان" قام عبد العزيز بن سعود بالهيمنة على الحركة الوهابية فكرياً ودينياً ، و ذلك بتقييد حركة العلماء المعارضين وفرض هيئة من العلماء الموالين له عليهم ، فذهب إلى الأرطاوية و عزل إمام المسجد المعارض ، و عزّر و أدّب عدداً من المطاوعة.[٢٧٨] و أصدر أمراً بمنع استقبال الهجر أي رجل دين وهابي من خارج إطار الكادر الرسمي. وصرف الموجودين منهم لديهم.[٢٧٩] وأرسل رسالة إلى أهل القصيم جاء فيها:" قد بلغنا عن أناس يدعون أنهم على طريقته (الشيخ محمد بن عبد الوهاب) أموراً مخالفة لما هو عليه ، و هي أنهم يتجاسرون على الإفتاء بغير علم ، و يطلقون التكفير و التضليل بغير علم ، بل بالجهل و مخالفة الدليل ، و يتناولون النصوص على غير تأويلها ، و يسعون في تفريق كلمة المسلمين و يتكلمون في حق من لم يساعفهم على ذلك من علماء المسلمين بما لا يليق... إننا إن شاء الله أنصار لمن دعا إلى ما دعا إليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، قائمون بما قام به أجدادنا الذين نصروه . و من خالف ذلك إما بتفريط أو إفراط فلا يلومَنّ إلا نفسَه. والله والله لأؤدبنه أدباً يتأدب به الأولون والآخرون ، ومن أنذر فقد أعذر".[٢٨٠]

---

[٢٧٧] – القحطاني، فهد : صراع الأجنحة في العائلة السعودية ٢٧٨ عن أمين الريحاني : ملوك العرب ص ٥٥٥

[٢٧٨] – التويجري ، عبد العزيز : لسراة الليل هتف الصباح ، ص ٢٥٤

[٢٧٩] – التويجري ، لسراة الليل ، ص ٣٩٨

[٢٨٠] – المصدر ، ص ٣٨٨

ثم أرسل ابن سعود رسالة عامة إلى كافة الإخوان و هددهم بقوة قائلا:" أنتم يا إخواننا صار معكم جهل زايد ... فان كان أمركم هذا بحثاً عن علوّ في الأرض ، فلا حول ولا قوة إلا بالله. وهو إننا نهيناكم عن بعض هؤلاء المدعين الذين يأتونكم ويشبّهون عليكم ، فلربما ان بعضهم يخرجكم من دينكم و تكونوا في مفسدة أعظم مما كنتم عليه سابقا ، من الغلو و التشديد وإنزال آيات القرآن وربطها على غير ما أنزل الله ، فهذا أمر عظيم. فهؤلاء مثل ما في الحديث : قد يأتي أقوام تحقرون صلاتكم عند صلاتهم ، و عبادتكم عند عبادتهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ، فاقتلوهم أينما وجدتموهم . و بالحقيقة : ان بعض هؤلاء المتطوعين مشابهون لهم ، و نحن والحمد لله لسنا في شك من ديننا ... و أما الإنسان الذي يرى أن ما على الدين إلا هو ، أو ما انتهى إليه فقهه وليس مقلدا إلا كل صاحب شبهة و غلو فنبرأ إلى الله منه ، و هو خارج من ذمتنا و ذمة المسلمين ، فهذا ندين الله بجهاده.

والذي ننهاكم عنه ثلاثة أمور : الأول: لا تسألوا و لا تمتثلوا بأمر أحد من طلبة العلم إلا بعد أن تراجعونا و نفيدكم بما يسركم لدينكم و دنياكم ، ونظهر معكم الذي نعلم منه النصح للإسلام والمسلمين . أو فتوى أحد يرضاه علماؤنا الذين نحن على حقيقة من أمانتهم ونصحهم للإسلام والمسلمين وهم : والدنا الشيخ المكرم عبد الله بن عبد اللطيف ، والشيخ سعد بن عتيق ،والشيخ محمد بن عبد اللطيف ، والشيخ عبد الله العنقري ، والشيخ عبد الله بن سليم ، والشيخ عبد الرحمن بن سالم. فهؤلاء ما أفتوكم به فهو إن شاء الله حق وما رضوا لكم من طلبة العلم يصير معكم لتتعلموا منه ، فأنا مجيز ما أجازوا . ومن حط عنده طالب علم أو سأل غير هؤلاء المذكورين أو أحدا يجيزونه من طلبة العلم فأنا بري الذمة منه ولا يأمن العتب أيضا.

فأما الإنسان الذي قصده طاعة الله فهذا مدخل المسلمين يدخل مدخلهم و يترك منه ما عدا ذلك ، وأما الإنسان الذي يخالف هذا الأمر أو يتعدى ما ذكرنا فيكون

عنده معلوم أننا إن شاء الله نعاقبه عقابا ما ظن به و لا له عندنا حرمة ولا وقار ، و من جنى فلا يجنى إلا على نفسه".[٢٨١]

وقال في رسالة أخرى:" من أشكل عليه شيء من الأمور فيرده إلى طالب العلم المسؤول عندكم بأمر الولاية و رضا المشايخ عنه ، و نحن إن شاء الله نرجو أن ليس عندكم شيء يخالف ذلك ، وان قصدكم تحري رضا الله ، ولشفقتنا عليكم أحببنا أن نبين لكم إنذارا للمخالف والمتكلم بضده ، فمن خالفه بقول أو فعل فذمتنا و ذمة المسلمين بريئة منه و لا يأمن البطش به و بحلاله ، و من أنذر فقد أعذر".[٢٨٢]

ومع كل ذلك لم ينجح عبد العزيز في السيطرة الكاملة على (الإخوان) و تكميم أفواههم أو خنق أصواتهم الناقدة له. و نظرا لأنه كان يعتمد على نظام استبدادي لا مجال فيه للشورى ، و لا دور للشعب أو القواعد الحزبية الوهابية ، فقد لجأ الى السيف الذي أقام عليه مملكته . و استعان بفتاوى رجال الدين الوهابيين التي أصدروها ضد "الإخوان" لكي يعتبرهم:"**متمردين وخوارج و غلاة**" و يخرجهم من إطار "المسلمين" ويجرد غزواتهم من صفة "الجهاد" و يتهمهم بالتعصب و الانغلاق.[٢٨٣] و ذلك تمهيدا لشن حرب شاملة عليهم سنة ١٩٣٠

و لكن سيف ابن سعود لم يكن في ذلك الوقت بأقوى من سيف "الإخوان" ، خاصة بعدما لجئوا الى الكويت و العراق ، وكادوا يهددون نظامه بالسقوط ، لولا تدخل بريطانيا التي وقفت الى جانبه ضدهم، و لعبت دوراً كبيراً في إنقاذ عرشه من

---

[٢٨١] – التويجري ، عبد العزيز ، لسراة الليل هتف الصباح ، ص ٤٧٦

[٢٨٢] – المصدر ، ص ٥٢٤

[٢٨٣] – كتب الى مستشاره حافظ وهبة يتهمهم بأنهم غلاة يتشددون بالدين و مغرورين ، وانهم بين فرقتين : إحداهما تتعبد عن جهل ، والاخرى لها بعض المقاصد السيئة وتجعل الدين لها حجة. محمد جلال كشك : السعوديون والحل الاسلامي ، ص٦٦٠

الانهيار[٢٨٤]، حيث منعت حاكم الكويت من الوقوف الى جانب "الإخوان" وقدمت لابن سعود أحدث الأسلحة ، و أرسلت طائراتها لتهاجم مخيمات "الإخوان" و ألقت القبض على زعيمهم فيصل الدويش ، الذي لجأ الى الكويت ، و سلمته الى ابن سعود .[٢٨٥]

وقد أصيب "الإخوان" بصدمة كبيرة من تأييد كبار رجال الدين الوهابيين لابن سعود و إفتائهم ضدهم ، رغم أن موقف "الإخوان" كان أقرب الى منطق الوهابية من ابن سعود ؛ مما دفعهم لاتهام المشايخ بالمداهنة في الدين وكتمان الحق و دفن ملة إبراهيم.[٢٨٦]و اتهام ابن سعود باستغلالهم لأغراضه الخاصة وتوسيع مملكته ، و التخلي عنهم و ضربهم بعد ذلك. و لذلك شعروا بالألم والندم لأنهم استخدموا كمطية ، فلم تعد لديهم رغبة في الولاء أو في الاندفاع في الحركة الوهابية.وكان كل همهم أن يُتركوا و شأنهم .[٢٨٧] و تخلوا حتى عن لبس العمامة الاخوانية.[٢٨٨]

وبعد القضاء على "الإخوان" وتنظيمهم القبلي العسكري ، لم يعد للوهابية وجود حقيقي في نجد ، ولو أنها ظلت ممثلة بتيار (آل الشيخ) تؤدي للنظام السعودي بعض الوظائف الضرورية في السيطرة على المجتمع . إذ تحولت من حركة

---

[٢٨٤] – يقول المقيم البريطاني في الكويت ، هارولد ديكسون:" ان الفضل في انتشال ابن سعود من الوضع السيء الذي كان فيه يعود الى الحكومة البريطانية ، فلولا جهودها في إبقاء الكويت والعراق على الحياد ووضعها قوة كبيرة على حدود الكويت الجنوبية أجبرت الثوار على الاستسلام ، لما تمكن ابن سعود من سحق الثورة ، ولكان تعرض هو والبيت السعودي الى أخطر النتائج". الكويت وجاراتها ، ج١ ص ٣٤٢

[٢٨٥] – كشك ، محمد جلال ، السعوديون والحل الاسلامي ، ص ٦٣٣-٦٣٦

[٢٨٦] – وهبة ، حافظ ، جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٣١٢

[٢٨٧] – ديكسون: الكويت وجاراتها ، ج١ ص ٣٤٣

[٢٨٨] – المصدر ، ج١ ص ٣٤٤

عقائدية طامحة الى فتح العالم الإسلامي "المشرك" و نشر التوحيد فيه ، الى مؤسسة دينية تابعة للدولة السعودية.

علاقة ابن سعود برجال الدين

و كما فعل ابن سعود مع "الإخوان" الذين استخدمهم في فرض هيمنته على البلاد ثم ضربهم ، قام ابن سعود باستخدام رجال الدين في عملية ضرب "الإخوان" و فرض الهيمنة عليهم. إذ استخدمهم لتقوية نظامه و إضفاء الشرعية عليه ثم ضربهم سياسياً ، خاصة بعد اختلال ميزان القوى لصالحه بشكل كبير ، حيث عزلهم عن التأثير على الحياة السياسية أو المشاركة في الحكم أو ممارسة قانون الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، أو الاعتراض على السلطة المطلقة التي بنوها بأيديهم. وعلى رغم أن ابن سعود ظل يحرص لفترة طويلة على دعوة بعض العلماء أسبوعياً ، والاجتماع معهم لاستماع وجهات نظرهم ، الا أن عملية الاستشارة كانت فردية مزاجية و سرية فهو الذي كان يختار العلماء الذين يود استشارتهم ، و هو الذي كان يقرر العمل على ضوء ما يشاء . ولم تكن العملية ضمن مؤسسة دستورية واضحة و علنية معروفة ، ولا تمتلك آلية لفرض الرأي المصوب أو المجمع عليه. حيث كان ابن سعود يلف الاجتماعات بغطاء كثيف من السرية.[٢٨٩] ولا يسمح لأي أحد بمعرفة ماذا يدور فيها وماذا يقدم له العلماء من ملاحظات وانتقادات ، وما هي الأسس التي تدفعه لقبول رأي أولئك العلماء بخاصة و عدم الاستماع إلى وجهات نظر العلماء الآخرين. ومن هنا فقد كانت نتائج تلك

---

[٢٨٩] – كان ابن سعود يقول للعلماء : " من رأى منكم شيئا مخالفا ، فليوضحه لي وليرشدني إلى الطريق الحق ، ولكن كما قال عمر بن الخطاب لمن أراد أن ينصحه : (فليكن ذلك بيني وبينك)" .

الاجتماعات عقيمة ، ولم تؤثر على سياسة عبد العزيز في أي اتجاه ، بل يمكن القول إنها لم تكن سوى غطاء لأعماله وتحركاته ، أو محاولة لخداع العلماء و إقناعهم بوجود دور كبير لهم في إدارة البلاد.

ونتيجة لعدم تقنين العلاقة بين العلماء و ابن سعود ، و تركها للمزاج الشخصي ، فان العلماء افتقدوا قوة الضغط التي تتيح لهم فرض آرائهم و اقتراحاتهم ، أو إلزام الملك والسلطة التنفيذية بما يقترحون. ولم يحدث خلال تاريخ الملك عبد العزيز أن استمع أو نزل عند إرادة العلماء سوى بضع مرات فقط و في قضايا شكلية ثانوية ، وذلك عندما احتج العلماء على محاولاته للاحتفال بعيد العرش عام ١٩٣٠م و١٩٥٠م ، بعد أن اعتبروا الاحتفال بذلك بدعة يجب الاستغفار منها ، فتنازل الملك وألغى الاحتفالات.[٢٩٠]

و رغم أن رجال الدين الوهابيين كانوا في بعض الأحيان يدخلون في منافسة حادة مع آل سعود على احتلال ما تبقى من المصادر الشعبية الرئيسية للسلطة ، الا انهم كانوا أضعف من فرض آرائهم بالقوة ، في ظل غياب أية مؤسسات دستورية أو قانونية او قواعد شعبية او حزبية تسمح لهم بذلك.

٣- علاقة ابن سعود بالشعب

[٢٩٠] – كشك ، السعوديون والحل الإسلامي ٧٨ و أنور عبد الله ، العلماء والعرش ٢٥٩ و ٢٦١ و الزركلي، شبه الجزيرة العربية ٧٤٤ ، وكذلك فعل ابنه فيصل سنة ١٩٦٥

إذن فقد أقام ابن سعود دولته على القوة والقهر والغلبة و من هنا فقد أضفى عليها طابعاً شخصياً باعتباره فاتحا ومقاتلا ومالكا للسلطة و البلاد والعباد ، وقد قال بصراحة :" أما الولاية وبلدانها و أرضها فهي لله ثم لي".[٢٩١] ولذلك لم يؤسس أنظمة دستورية أو مؤسسات عامة لإدارة السلطة في البلاد ، فضلا عن توزيعها بين مراكز قوى متعددة ، أو السماح للشعب أو لما تبقى من الوهابيين بممارسة الحق في المشاركة السياسية.

لقد أثرت الطريقة التي تم عبرها الوصول إلى السلطة والمحافظة عليها ، في بنية النظام السعودي وطبيعة علاقته مع الشعب ، و بما أنها كانت عبر القوة المسلحة و الاحتلال العسكري ، فان علاقة النظام مع المواطنين كانت قائمة على القوة ، و بما ان النظرية الدينية التي تم توظيفها في عملية التأسيس كانت هي "الوهابية" التي تكفّر عامة الناس ، فقد كانت علاقة النظام السعودي مع المواطنين قائمة على الشك و الإقصاء و رفض المشاركة السياسية. وقد انعكست هذه العلاقة السلبية – كما رأينا – حتى على أفراد الحركة الوهابية الذين تعرضوا في وقت متأخر إلى عملية تصفية و تدجين و إقصاء عن الحياة السياسية.

و على رغم قيام الدولة السعودية الثالثة في أجواء الحركة الدستورية و الديموقراطية التي عمت العالم الإسلامي حينذاك ، وأدت إلى سن الدستور في كل من الدولة العثمانية و إيران عام ١٩٠٦ و ١٩٠٨م ومتابعة الملك عبد العزيز لأنباء تلك الحركة الدستورية و وعوده بإقامة نظام الشورى [٢٩٢]، فانه أقام دولته على أساس من الاستبداد الشخصي المطلق ، وجمع بين يديه كل السلطات

---

[٢٩١] – التويجري ، عبد العزيز: لسراة الليل هتف الصباح ، ص ٤٦٦

[٢٩٢] – أكد الملك عبد العزيز بعد دخوله مكة المكرمة عام ١٣٤٣ لأهالي الحجاز أن نظام حكمه سيقوم على تطبيق الشريعة وأن الأمر سيكون شورى بين المسلمين. ابن باز ، أحمد عبد الله: النظام السياسي والدستوري للملكة العربية السعودية ص ٦٧

الدستورية والتشريعية و القضائية و التنفيذية.[٢٩٣] مع انه كان قد اعتبر هذا النوع من العلاقة بين الحاكم والأمة ، والذي كان معمولاً به أيام الدولة العثمانية ، نوعا من الاستعباد المرفوض الذي يتنافى مع التوحيد .[٢٩٤] ولكنه لم يجد مانعا من ممارسته مع رعيته.[٢٩٥]

و كان من الطبيعي ان يتم احتكار السلطة في العائلة المالكة بشكل مطلق ، وان يرفض الاعتراف بحق الشعب في السلطة او في كونه مصدرا لها . حيث لم يعد موضوع "حق" آل سعود في الملك محلاً للنقاش أو التساؤل. بل ولا مدى صلاحيات الملك أو كيفية نصبه وعزله موضعاً للحوار بين الناس الذين يجب عليهم التسليم والطاعة. وبما أن عملية السيطرة على مختلف المناطق السعودية كانت قد تمت عبر الفتح والاحتلال العسكري ، فقد كان التعامل مع المواطنين يتسم بنوع من الاستعلاء والاستعباد والغرور ، الذي تمثل في إضفاء اسم العائلة

---

[٢٩٣] – بايع أهل الحجاز ابن سعود يوم ٢٥ جمادى الثانية ١٣٤٤ (١٠ يناير ١٩٢٦) على أن يكون ملكا على الحجاز بشرط أن يكون الحجاز للحجازيين وان يكون أهله هم الذين يقومون بإدارة شوؤنه ، وان تكون مكة المكرمة عاصمة للحجازيين. كشك ، محمد جلال : السعوديون والحل الإسلامي ص ٥٣٢

[٢٩٤] – فقد قال في استقبال الأمير وحيد الدين حفيد السلطان عبد الحميد ، في الرياض في ٩ ذي الحجة ١٣٤٩ هـ – ١٩٣١ : "إن أعظم من حاربنا هم أجداد هذا الرجل ، ولم يقاتلونا إلا لأننا امتنعنا أن نقول للسلطان بأننا عبيد أمير المؤمنين ، لا .. لا .. لسنا عبيدا إلا لله تعالى". كشك ، محمد جلال: السعوديون والحل الإسلامي ٤٣٥

[٢٩٥] – يقول الكاتب النمساوي المسلم الذي رافق ابن سعود ، محمد أسد: "إن ابن سعود لم يحقق آمال العرب والمسلمين ، فبينما زادت قوته و توطدت ، و اتضح أن ابن سعود لم يكن أكثر من ملك يهدف إلى ما هو ليس أسمى و أرفع من أهداف الكثيرين من الحكام مطلقي السلطة من قبله في الشرق... و هو لم يفعل شيئا بسبيل بنيان مجتمع تقدمي عادل. و عندما سئل مرة لماذا لم يحاول أن يقيم دولته على أسس أقل شخصية ليتمكن أبناؤه من أن يرثوا بناء حكوميا منظما ، أجاب:" لقد أسست مملكتي بسيفي و جهودي فليبذل أبنائي جهودهم الخاصة من بعدي". المصدر، ص ٦٨

(السعودية) الحاكمة على الوطن والمواطنين في نجد والأحساء وحائل و عسير والحجاز. وانتهاج النظام السعودي سياسة استبدادية مطلقة واعتبار الثروة الوطنية والبلاد والعباد ملكا شخصيا.[٢٩٦]

وبالرغم من ذلك فان النظام السعودي ، ونظرا لشعاراته الإسلامية ، وانتشار المشاعر الديموقراطية في العالم ، كان يشعر بنقص كبير و أزمة شديدة في العلاقة بينه وبين المواطنين التواقين للحرية والعدالة والشورى والمشاركة السياسية.ولذلك كان يحاول ان يجاري تلك المشاعر وأن يضفي على نفسه مسحة ديموقراطية. وقد قال الملك عبد العزيز بن سعود : " يدعي البعض أن الحرية من أوضاع الأوربيين ، والحقيقة أن القرآن الكريم قد جاء بالحرية التامة الكافلة لحقوق الناس جميعا ، وجاء بالإخاء والمساواة المطلقة التي لم تحلم بها أمة من الأمم". و " إن الناس الذين لا نشك أن الله عالم بقلوبهم ، وأنهم أعداء بعضهم لبعض كما قال الله تعالى (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) قد بلغوا بالشورى مراتب عالية في الدنيا ، ونحن المسلمون أمرنا الله بالمشورة ، والمشورة لها أساس ، وهو النصح

---

[٢٩٦] – يكاد يجمع المؤرخون على أن عبد العزيز بن سعود كان يحكم المملكة العربية السعودية حكما شخصيا ويدير الأمور وكأنها شأنا من شؤونه المنزلية ، إلى أن توفي عام ١٩٥٣م ، وكمثال على ذلك ، يشير المؤرخون إلى أسلوب تعاطي الملك مع الثروة الوطنية الهائلة التي كان ينظر إليها كثروة شخصية و لم يكن يفرق بينها وبين أمواله الخاصة . وكانت أول ميزانية قدمتها السعودية في عام ١٩٥٨-١٩٥٩ وقد خصص للعرش ١٧% من الميزانية لإنفاقها وفق رغبات الملك بالإضافة إلى ١٩% من الميزانية وضعت تحت بند (نفقات أخرى) لتنفق حسب الرأي الشخصي للملك. / أنور عبد الله ، العلماء والعرش ،ص ٩٤ وكشك ، السعوديون والحل الإسلامي ص ٧٢

وقد ذكر الأمير الوليد بن طلال لصحيفة نيويورك تايمز في ٢٠٠١/١١/٣٠ أن الأمراء السعوديين يحصلون عند ولادتهم على مرتب سنوي قدره ١٨٠ ألف دولار .

بالتزام الحق". و " أما السير على غير المشورة ، فهو مجلبة للنقص والهوى ، هوى النفس ".[297]

ولأن النظام السعودي كان يشعر في قرارة نفسه ان الارتكاز على القوة فقط ، يعطي الآخرين الحق في اللجوء اليها والعمل من أجل الإطاحة بالنظام ، فقد كان يحاول أيضا ان يكتسب الشرعية الدستورية من خلال التظاهر بالعمل بالشريعة الإسلامية ، وأخذ البيعة من المواطنين وإقامة بعض مظاهر الشورى أو الديموقراطية ، أو الوعد بتحقيقها.

الشورى لأهل الحجاز

و قد قدم ابن سعود جزءاً من تلك الوعود الديموقراطية الى سكان الحجاز المرعوبين من التطرف الوهابي ، قبيل و أثناء عملية الاجتياح ، حيث أصدر منشوراً بتاريخ ٢٢ صفر ١٣٤٣-١٩٢٤ يعد فيه المسلمين ، وأهل الحجاز بالخصوص ، بأن تكون الحجاز ومكة للمسلمين عامة وأن يكون أمر الحرمين الشريفين شورى بين المسلمين . ويقول :"إنما أنا وكيل عن المسلمين في طرد الهاشميين ليقرروا مصير الحجاز بحرية" [298]. ثم أصدر منشورا آخر في ٢٤ ديسمبر١٩٢٥ – ١٣٤٤ ، أكد فيه: أن مستقبل البلاد لا بد لتقريره من مؤتمر إسلامي يشترك المسلمون فيه جميعا لينظروا مستقبل الحجاز ومصالحه. وقال:" لقد أبرقنا لكافة المسلمين في سائر الأنحاء أن يرسلوا وفودهم لعقد مؤتمر إسلامي عام يقرر شكل الحكومة الذي يرونه صالحا لأحكام الله في هذه البلاد المطهرة".[299]

---

[297] – كشك ، السعوديون والحل الإسلامي ، ص ٣٧-٣٨

[298] – المصدر ، ص ٥٢٦-٥٢٧

[299] – المصدر، ص ٥٢٨

ولكن ابن سعود تراجع عن فكرة المؤتمر الإسلامي ، بعد فتح مكة ، وعين نفسه ملكاً على الحجاز .[٣٠٠] ومع ذلك ظل يدعو إلى عقد مجلس شورى من أهل الحجاز لإدارة بلادهم ، وقال في خطابه أمام قيادات مكة:" لا أريد ان استأثر بالأمر في بلادكم دونكم وإنما أريد مشاورتكم في جميع الأمور" وطلب من الحاضرين أن يجتمعوا لانتخاب من يمثلهم في مجلس الشورى الأهلي . ثم قال في افتتاح مجلس الشورى الذي تم تشكيله بالفعل قبل أن تسقط مدينة جدة:" لقد أمرت أن لا يُسَنَّ نظام في البلاد ويجري العمل به قبل أن يعرض على مجلسكم من قبل النيابة العامة وتنقحونه بمنتهى الحرية".[٣٠١]

ولكن تلك الوعود الديموقراطية سرعان ما ذهبت أدراج الرياح ، وتبين أنها لم تكن سوى دعوات تكتيكية من أجل تطييب خاطر الحجازيين وتسهيل فتح بلادهم ، حيث لم يفِ عبد العزيز بأي من وعوده بأن يقرر الحجازيون مصيرهم بحرية، وبأن يكون أمر الحرمين الشريفين شورى بين المسلمين. وألغى المؤتمر الإسلامي مباشرة بعد احتلال مكة ، ولم يسمح لمن حضر من الوفود المدعوة بالنظر في مستقبل الحجاز ، ولا تقرير شكل الحكومة في بلاد الله المطهرة. وعيّن نفسه ملكاً على الحجاز . ومع أنه كان قد طلب ، بعد سقوط مكة ، من أعيان الحجاز تنظيم قائمة بأسماء أعضاء مجلس الشورى ، وأنهم اجتمعوا بناء على ذلك وانتخبوا ثلاثة عشر شخصا برئاسة الشيخ عبد القادر الشيبي ، الا أن ابن سعود لم يسمح لذلك المجلس بالانعقاد و لا مرة واحدة.

وبدلا من ذلك قام الملك عبد العزيز عام ١٣٤٤هـ ، بتشكيل (مجلس أهلي) استشاري جديد بأعضاء معينين من قبله ، وحدد لهم مهماتهم في إطار الأمور

---

[٣٠٠] – المصدر، ص ٦٩

[٣٠١] – المصدر ، ص ٣٩

البلدية والثقافية والتجارية والتنفيذية لمنطقة الحجاز فقط ، مع عدم التدخل بالسياسة الخارجية للبلاد .وعيَّن ابنه الأمير فيصل رئيساً للحكومة ومرجعا للدوائر الرسمية تحت لقب (النائب العام لجلالة الملك في الحجاز)[٣٠٢] اعتبارا من ١٣٤٤/٦/٢٨ .

وبعد ذلك بعام قام عبد العزيز بتشكيل مجلس آخر باسم (مجلس الشورى) برئاسة نائب الملك : الأمير فيصل وعضوية ١٢ شخصا معينا . وأصدر في ١٣٤٥/٥/٢١هـ (١٩٢٦م) **(التعليمات الأساسية للحجاز)** لتكون دستورا للدولة الحجازية ، التي أصبحت ضمن الدولة السعودية ، نصت المادة الثانية منها على أن الدولة العربية الحجازية دولة ملكية شورية اسلامية مستقلة في داخليتها وخارجيتها. ونصت المادة الرابعة على تشكيل مجالس شورى في مكة والمدينة وجدة. وفي التاسع من محرم ١٣٤٦ اصدر ابن سعود مرسوما ملكيا يتعلق بنظام مجلس الشورى ويؤكد على ان المجلس يتألف من ثمانية أعضاء نصفهم تختارهم الحكومة بعد استشارة أهل الفضل والخبرة والنصف الآخر تختارهم الحكومة بمعرفتها ، ويكون برئاسة الأمير فيصل (النائب العام) ، وللملك الحق في حل مجلس الشورى وتغيير أعضائه أو عزلهم. وفي عام ١٣٤٧ شكل مجلس شورى جديد مع تغيير طفيف في عدد الأعضاء الذي أصبح مفتوحا بإرادة الملك. وهكذا شكلت مجالس أخرى للشورى في الحجاز كل سنتين حتى عام ١٣٧٢ ولكنها كلها كانت أشبه بالحكومات المعينة منها بمجالس الشورى .

وعود ديموقراطية عقيمة

[٣٠٢] – ابن باز ، أحمد عبد الله: النظام السياسي والدستوري للملكة العربية السعودية ص ٧٢

وعلى مستوى المملكة العربية السعودية أصدر الملك عبد العزيز في سنة ١٩٣٢ مرسوما بتكليف مجلس من الوكلاء لوضع نظام أساسي (أي دستور) للمملكة، ونظام لتوارث العرش ، ونظام لتشكيلات الحكومة وعرضها عليه لاستصدار أوامره فيها. وكان المرسوم يتضمن تشكيل جمعية مندوبين.[٣٠٣] وهو ما يعبر عن شعور النظام بالحاجة الى تشكيل قاعدة جديدة للشرعية الدستورية كبديل عن قاعدة القوة والقهر والغلبة. ولكن لم يتم ترجمة ذلك المرسوم الى واقع. وهكذا ظل النظام السعودي محافظاً على طابعه الاستبدادي المطلق.

وعندما توفي الملك عبد العزيز و ورثه ابنه الأكبر سعود أخذ يتصرف مثله كحاكم مطلق ، مما ولد أزمة في داخل العائلة المالكة ، ودفعهم للاختلاف فيما بينهم ، حيث انشق عدد من أبناء الملك عبد العزيز (فواز وبدر وعبد المحسن وسعد) بقيادة الأمير طلال عام ١٩٥٨ وطالبوا بوضع دستور يحفظ الحرية والحقوق للمواطنين ، وإقامة مجلس للشورى في ظل الملكية.[٣٠٤]فعين الملك سعود أخاه فيصلا رئيساً للوزراء ووضع نظاماً لمجلس الوزراء أعطاه دور السلطة التشريعية. وأعلن انه سيضع دستورا للبلاد ، وشكل لجنة حكومية لصياغته .[٣٠٥] الا أن الأيام والسنون مرت دون أن ترى البلاد الدستور الموعود.

وعندما تولى الأمير فيصل رئاسة مجلس الوزراء للمرة الثانية ، أعلن في ٦/٣/ ١٣٨٢ بأن الحكومة قد وضعت برنامجا إصلاحيا و قال :" إن الوقت قد حان لإصدار نظام أساسي للحكم مستمد من كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الراشدين ، يضع في وضوح كامل المبادئ الأساسية للحكم وعلاقة الحاكم بالمحكوم وينظم

---

[٣٠٣] – يقول الدكتور أحمد بن باز: إن مجلس الشورى أقر في دورته لعام ١٣٥٥هـ مسودة مشروع النظام الأساسي للمملكة وتم رفعه للملك للمصادقة عليه. ولكن الركود الاقتصادي وأحداث الحرب العالمية الثانية لم يمكنا الحكومة من تنفيذ برامجها.. المصدر ، ص ٩٦

[٣٠٤] – القحطاني ، فهد: صراع الأجنحة ،ص٩٢

[٣٠٥] – المصدر ، ص ٩٤

سلطات الدولة المختلفة وعلاقة كل جهة بالأخرى وينص على الحقوق الأساسية للمواطن ومنها حقه في التعبير عن رأيه في حدود العقيدة الإسلامية والنظام العام. وان نظام الشورى الإسلامي يجب أن يتم إحياؤه من جديد ليسهم أهل الحل والعقد في بناء الدولة ومراقبة أعمال السلطة ".[٣٠٦]ولكن هذا الإعلان بقي مجرد حبر على ورق ولم يتم الوفاء به في ذلك الوقت.

ونظرا لغياب دستور واضح يحدد العلاقة بين الملك ورئيس الوزراء ، فقد كاد النظام السعودي يتفجر من الداخل ويدخل في حرب أهلية ، وذلك عندما عين الملك سعود أخاه فيصلا نائبا عنه في فترة ذهابه للخارج للعلاج ، ولكن الأخ النائب رفض إعادة السلطة الى الملك بعد عودته الى الوطن ، مستخدماً لغة ديمقراطية جديدة ، حيث قال له:" ان هذه السلطات أمانة أودعتني إياها الأمة و أقامتني أميناً عليها وإنها لن تكون موضع مساومة ، كما إنني لا أستطيع التخلي عنها الا إذا طلبتها الأمة صاحبة الشأن". وظل الأمير فيصل في صراع مع أخيه الملك سعود ، حتى استطاع أن يجرده من كل صلاحياته ، بدعم من رجال الدين وعلى رأسهم آل الشيخ الذين أصدروا في ١٦ شعبان ١٣٨٣هـ فتوى تنص على حق فيصل بإدارة جميع أمور الدولة في غياب الملك وحضوره.[٣٠٧] ثم قام الأمير فيصل أخيراً بالانقلاب على أخيه سعود وعزله من الملك سنة ١٩٦٤.[٣٠٨]

مجلس لأهل الحل والعقد

---

[٣٠٦] – القحطاني ، فهد : صراع الأجنحة ، ص ٢٣٧ راجع أيضا: ابن باز ، أحمد عبد الله: النظام السياسي والدستوري للملكة العربية السعودية، ص ٩٧

[٣٠٧] – القحطاني ، فهد: صراع الاجنحة ، ص ١١٢ –١١٣

[٣٠٨] – عبد الله ، أنور : العلماء والعرش ص ٤٣ ملحق رقم ٤

وقد أدت الأزمة الدستورية بين الملك سعود ونائبه فيصل ، إلى قيام مجلس غير رسمي وغير معلن وليس منتخبا من أية جهة ، عرف باسم (مجلس أهل الحل والعقد) وكان يتألف من حوالي ٦٨ أميرا بالإضافة الى ١٢ شخصاً من كبار رجال الدين ، وهو الذي قام باتخاذ القرار بعزل الملك سعود.[٣٠٩]

وقد كشفت الطريقة التي تم عزل الملك سعود فيها عن فوضى دستورية خطيرة ، حيث تمت عملية التغيير استنادا الى معادلات القوة في داخل العائلة المالكة ، وفي ظل غياب دستور واضح يحدد صلاحيات الملك ومسؤولياته ، ويرسم العلاقة بينه وبين الأمراء والوزراء ورجال الدين وعامة فئات الشعب ، ويعين الجهة الشرعية التي تتولى محاسبة الملك وعزله.

وبعد ان أصبح فيصل ملكاً قام بتعديل نظام مجلس الوزراء بحيث اصبح كما يلي:" المادة السابعة: مجلس الوزراء هيئة نظامية[٣١٠]، يرأسها مجلس الوزراء وتصبح قراراته نهائية بعد تصديق جلالة الملك عليها".[٣١١]ونظرا لشعور الملك فيصل بفقدان النظام للشرعية الدستورية وَعَدَ المواطنين بإصدار دستور يتضمن إقامة مجلس شورى ويكفل الحقوق الأساسية للمواطنين .[٣١٢]

ولكن الملك فيصل قتل عام ١٩٧٥ دون أن يقوم بأية خطوة في هذا الاتجاه.

---

[٣٠٩] – وهو الآن يضم حوالي مائة أمير ينتمون الى آل عبد الرحمن آل سعود وعدد من ممثلي الفروع الصغيرة التابعة الى العائلة الحاكمة ، بالاضافة الى خمسين عضوا من العائلات الأرستقراطية التي ترتبط بشكل وثيق مع آل سعود ، مثل الجلوي والسديري وثنيان وآل الشيخ. وهناك أيضا بعض العلماء البارزين وبعض الأمراء الكبار المؤثرين. ويبدو أن معيار العضوية في "أهل الحل والعقد" يرتبط بكفاءة الأصل والعمر والتميز والقيادة حسب التقاليد البدوية. يماني ، مي: هويات متغيرة ، ص ٦٧

[٣١٠] – أي تشريعية ، بالمصطلح السعودي

[٣١١] – القحطاني ، فهد : صراع الأجنحة ، ص ١٤٢

[٣١٢] – الياسيني ، أيمن : الإسلام والعرش ، ١٦٦

وفي ذلك الوقت أعلن الأمير فهد ولي العهد ورئيس الوزراء ، عن إيمانه بالديموقراطية الإسلامية وقال:"إن الشورى هي إحدى أسس الديموقراطية الحقيقية". ووعد بقرب صدور نظام مجلس الشورى.[٣١٣]

ولكن النظام السعودي استمر كما هو عليه ، إلى أن حدثت حركة جهيمان العتيبي في الحرم المكي عام ١٩٧٩ ، فتذكر الملك خالد موضوع الشورى وأمر بتشكيل لجنة لإعداد مشروع الدستور.[٣١٤]

ثم عاد الملك فهد من بعده ليصرح عام ١٩٨٤ لصحيفة (الصنداي تايمز) بعزمه على تأسيس مجلس الشورى خلال ثلاثة أو أربعة شهور ، وان جميع أعضائه سيعينون مباشرة من الحكومة ، وبعد سنتين سيعطي الشعب حق انتخاب نصف أعضائه انتخابا مباشرا عن طريق مجالس المقاطعات ، وفي مرحلة لاحقة سيتم انتخاب بعض أو معظم أعضاء البرلمان بالانتخاب المباشر من قبل المواطنين وسيكون المجلس برلمانا كغيره من برلمانات العالم ، وأنه سيكون أداة للتعبير عن الرأي ووسيلة لمراقبة تنفيذ سياسة الدولة وضمانا لمساهمة الشعب في الحكم.[٣١٥]

الأنظمة الثلاثة تكرس الحكم المطلق

ومضت شهور وسنوات لم يحدث خلالها شيء إلى أن حدثت مناسبة عاصفة وهي حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ وما أعقبها من حدوث امتعاض ومعارضة

---

[٣١٣] – مجلة الأسبوع العربي بتاريخ ١٩٧٥/٥/١٢

[٣١٤] – الياسيني ، أيمن : الإسلام والعرش ، ٢٠٣

[٣١٥] – القحطاني ، فهد : صراع الأجنحة ، ص ٢٣٤

داخل السعودية ، تمثل بتقديم مذكرات للنصيحة من قبل بعض المواطنين الى الحكومة ، فقام الملك فهد بتاريخ ١ / ٣ / ١٩٩٢ بالإعلان عن الأنظمة الثلاثة : (النظام الأساسي للحكم، ونظام مجلس الشورى، ونظام المناطق أو المقاطعات). وتشكيل مجلس للشورى مؤلف من ٦٠ عضوا معينا.

وقد نصت غالبية بنود النظام الأساسي على إعطاء صلاحيات واسعة للملك، بحيث يصبح هو المحور الأول والأخير للحياة السياسية وصاحب الدور المطلق فيها من خلال:

١ . اختيار وإعفاء ولي العهد (المادة ٥).

٢ . رئاسة السلطات الثلاث، التنفيذية، والتشريعية، والقضائية ، (المادة ٤٤).

٣ . تعيين وإقالة القضاة و تنفيذ الأحكام القضائية (المادة ٥٠ والمادة ٥٢).

٤ . رئاسة مجلس الوزراء وتعيين وإقالة الوزراء، وحل وتشكيل الوزارة (المادة ٥٦ و ٥٧).

٥ . تعيين وإقالة أعضاء مجلس الشورى، وحل المجلس، وتعيين بديل له (المادة ٦٨).

٦- إصدار الأنظمة والمعاهدات، والاتفاقيات الدولية والامتيازات وتعديلها أو إلغائها (المادة ٧٠).

٧- إصدار الميزانية العامة للدولة (المادة ٧٦).

٨- الإنفاق من الأموال العامة خارج المقرر في ميزانية الدولة (المادة ٧٣).

٩- تعديل النظام الأساسي (المادة ٨٣).

١٠- الفصل في الخلاف بين مجلس الشورى ومجلس الوزراء (المادة ١٧ . نظام مجلس الشورى).

١١- تعيين أمراء المناطق ونوابهم ومحافظي المحافظات وأعضاء مجالس المناطق وعزلهم (المادة ٤ ، ١٠ ، ١٦ ، ٢٠ ، نظام المناطق).

وفي الوقت الذي أعطى النظام الأساسي للملك تلك الصلاحيات الواسعة ، لم يشر أبدا إلى واجباته ، ولم يسمح بإخضاعه لأي نظام محاسبة أو مساءلة . مما كرس الانفراد المطلق للملك في الحياة السياسية ، وحافظ على صيغة النظام الملكي المطلق التي كانت قائمة فعلا منذ تأسيس النظام السعودي في مطلع القرن العشرين. ولم يوضح النظام الأساسي طريقة عزل الملك في حالات العجز أو سوء التدبير أو الانحراف ، حتى من قبل العائلة المالكة أو مجلس أهل الحل والعقد ، في حين كان يفترض بالنظام الأساسي الجديد أن يوضح طريقة العزل والجهة المسؤولة للقيام به ، كأن يكل الأمر إلى مجلس الشورى ، كما هو الحال في معظم دول العالم ، أو مجلس أهل الحل والعقد ، أو حتى العائلة المالكة. ولكن النظام الأساسي أهمل الحديث عن هذا الموضوع الحيوي وتركه لمعادلات القوة في المستقبل.

ومع انه نص في المادة الثامنة على أن يقوم الحكم على أساس الشورى ، وصدر نظام خاص بذلك ، الا ان المجلس الذي تمخض عنه كان مجلساً معيناً وليس منتخباً . ومع ذلك فان النظام لم يعطه حق التشريع وإنما التوصية بالقوانين فقط. كما جاء في المادة السابعة عشرة من نظام مجلس الشورى التي تقول : "ترفع قرارات مجلس الشورى الى رئيس مجلس الوزراء ويحيلها الى مجلس الوزراء للنظر فيها ، فان اتفقت وجهات نظر المجلسين صدرت بعد موافقة الملك عليها ، وان تباينت وجهات النظر فللملك إقرار ما يراه".[٣١٦]

ولا يضمن نظام مجلس الشورى أية حصانة سياسية لأعضاء المجلس ، وإنما يلحقهم وظيفياً بنظام الخدمة المدنية، الأمر الذي يسمح للسلطة باتخاذ إجراءات

[٣١٦] – ابن باز ، أحمد عبد الله: النظام السياسي والدستوري للملكة العربية السعودية، ص ٣٢٢

إدارية ضد أي أحد منهم ، ومحاكمتهم ومعاقبتهم ، مما يفقد المجلس الحرية والاستقلالية والقدرة على التصدي للسلطة التنفيذية أو محاسبتها.[٣١٧]

وفي الوقت الذي يطلب نظام الحكم من المواطنين مبايعة الملك على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره (المادة ٩) ، ويدعو إلى تربية الأبناء على طاعة الملك (المادة التاسعة) فانه لا يعطي الأمة الحق في انتخاب الملك ولا عزله بالطبع ، كما يتجنب الاعتراف الصريح بالحقوق الأساسية للمواطنين ، خصوصا حرية العقيدة وحرية الرأي والتعبير ، وحقهم في المشاركة السياسية عبر تشكيل الأحزاب أو النقابات.[٣١٨]

وفي مقابل ذلك ينص النظام الأساسي على إلحاق وسائل الإعلام المحلية بالدولة، ويفرض عليها الالتزام بسياساتها (المادة ٣٩) . مما يعني مصادرة حرية المواطنين في التعبير عن آرائهم في القضايا التي لا تنسجم مع السياسات الحكومية.

ويؤكد النظام الأساسي أن لا دور للشعب في تعديل أية مادة من مواد النظام ، وإنما يجري ذلك بنفس الطريقة التي تم بها إصداره ، أي بالإرادة الملكية. كما هو صريح المادة (٨٣) .

---

[٣١٧] – يقول الدكتور أحمد بن باز: تنص المادة السادسة من نظام مجلس الشورى على أنه :" إذا أخل عضو المجلس بواجبات عمله ، يتم التحقيق معه ومحاكمته وفق قواعد وإجراءات تصدر بأمر ملكي". وقد صدر أمر ملكي يحدد قواعد التحقيق والمحاكمة لعضو مجلس الشورى وإجراءاتها ، وينص على معاقبته بإحدى العقوبات التالية: أ– توجيه اللوم كتابة. ب – حسم مكافأة شهر. ج – إسقاط العضوية. مع امكانية رفع الدعوى العامة أو الخاصة على العضو. المصدر ، ص ٢٢٨

[٣١٨] – كانت قد صدرت في عام ١٩٦٥ م عدة مراسيم ملكية تحرم تشكيل الأحزاب والجمعيات السياسية والتظاهر والإضراب عن العمل ، وتعتبر الانتماء إلى أي حزب أو الدعوة إليه جريمة ضد أمن الدولة ، وتنص على معاقبة كل من يثبت بحقه ارتكاب الجرائم الموصوفة بعقوبات تتراوح بين السجن والنفي والإعدام.

و لقد تكرر في النظام الأساسي النص على استناد الحكم إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله كما في المادة (١ ، ٥ ، ٦ ، ٧) وغيرها من المواد ، ولكنه لم يوضح النصوص التي يستند إليها في طبيعته الوراثية وحصر الحكم في العائلة السعودية ، كما جاء في المادة رقم (٥).

ومع كل ذلك فقد وصف الملك فهد النظام الأساسي والنظام الجديد لمجلس الشورى ، بأنه يقوم على أساس الإسلام ويشكل استجابة لقول الله عز وجل: (وأمرهم شورى بينهم) وأنه تحديث وتطوير لما هو قائم " ولقد ذكرنا من قبل في مناسبات كثيرة أن البلاد شهدت قيام مجلس الشورى منذ وقت طويل ، وخلال هذه المدة استمرت الشورى في البلاد بصيغ متعددة متنوعة ، فقد دأب حكام المملكة على استشارة العلماء وأهل الرأي ، كلما دعت الحاجة الى ذلك... ومن رحمة الله بالناس : أنه تعالى لم يشرع شكلاً واحداً لتطبيق الشورى ، بل جعل الشورى وصورتها لاجتهاد المسلمين في كل زمان ومكان".[٣١٩]

وعلى أية حال لم يفلح النظام الأساسي الذي قدمه الملك فهد ، في تلبية حاجة المواطنين للديموقراطية ، وخاصة لجهة الانتخابات المباشرة لأعضاء مجلس الشورى .[٣٢٠] وكان أشبه ما يكون بالمنحة المحدودة القابلة للسحب في أية لحظة

---

[٣١٩] – آل سعود ، فيصل : رسائل أئمة دعوة التوحيد ، ص ١٧٨ – ١٧٩ وقد صدق الملك في ذلك فان الله تعالى لم يشرع شكلا واحدا للشورى ، وقد اختلف الفقهاء المسلمون تاريخيا حول الزامية الشورى للحاكم أو عدمها ، ولكن المشكلة تكمن في مصادرة الحكام لحق الأمة وحق الفقهاء في الاجتهاد ومحاولة فرض آرائهم على الجميع بالقوة ، ورفض مشاريع الشورى الحقيقية التي تجمع عليها عامة المسلمين ، بالاضافة الى التشكيك بهوية المسلمين واتهامهم بالكفر والشرك وحصر صفة (التوحيد والاسلام) في فئة صغيرة من الناس.

[٣٢٠] – فقد دعا الأمير الوليد بن طلال ، في حوار أجرته معه صحيفة نيويورك تايمز ، بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، إلى إجراء انتخابات لمجلس الشورى السعودي ، مشيرا إلى انه " كلما تم ذلك بسرعة كان أفضل ، بالنسبة للمملكة. وأنه إذا سمح للناس بالحديث بحرية و المشاركة بقدر أكبر في العملية السياسية ، فسيكون بالإمكان احتواءهم وجعلهم جزءا من العملية". وقال الوليد إن فكرة

[٣٢١]، وذلك بسبب إيمان النظام السعودي بحقه المطلق باحتكار السلطة التي استولى عليها بقوة السيف ، ورفضه الاعتراف بحق الشعب في السلطة أو كونه مصدرا لها . ولذلك فقد تم استبعاد أية فكرة للتصويت على النظام الأساسي من قبل الشعب عبر الاستفتاء العام أو مناقشته عبر مجلس شورى منتخب . ولا يزال النظام السعودي يرفض إجراء أية انتخابات برلمانية او رئاسية أو أخذ رأي الشعب في تعيين الملك القادم ، ويواصل استمراره على أساس القوة والقهر والغلبة ، مع أخذ البيعة من الناس بشكل صوري لا يقدم ولا يؤخر.

ولا حاجة للقول إن الفكر الوهابي السياسي يتبنى بشكل كامل النظام السعودي كما هو ، ويتفق في إعطاء الحاكم الصلاحيات المطلقة على حساب الشعب الذي يشكك في الهوية الإسلامية للكثير من أفراده وطوائفه وتياراته وأحزابه ، وإنه يرفض المس بهيكلية النظام الأساسية لجهة توزيع السلطة خوفا من فقدان السلطة التي تم إحرازها عن طريق الفتح والقهر والغلبة.

الانتقال التدريجي إلى ديمقراطية محدودة تطرح للحوار العلني داخل دوائر الأسرة المالكة، رغم أنها لا تطرح للنقاش في وسائل الإعلام السعودية من صحف أو تلفزيون، التي تخضع لرقابة الدولة أو ملكيتها.

[٣٢١] – يقول الدكتور أحمد بن باز:"ان اسلوب نشأة النظام الأساسي للحكم يشبه الى حد كبير أسلوب المنحة".المصدر ، ص ٩٨

الفصل الخامس

المؤسسة الدينية الوهابية و الشورى

تشكيل المؤسسة الدينية الوهابية

أثبتت تجربة "الإخوان" أن الفكر الوهابي التكفيري كما يمكن ان يكون سلاحاً بيد الحاكم ضد الشعب كذلك يمكن ان يكون سلاحاً بيد الشعب او قطاع منه (كالحركة الوهابية) في مواجهة الحاكم ، خاصة إذا انحرف عن الشريعة الإسلامية او "كفر" و "ارتد" و "أتى بناقض من نواقض الإيمان و التوحيد" ، الا إذا تمت السيطرة على ذلك الفكر ولجمه بقوة. ورغم ان ابن سعود دخل في مواجهة صعبة

مع "الإخوان" كاد يفقد فيها عرشه ، ورغم أن الوهابية ظلت تشكل مصدر إزعاج كبير لابن سعود ، الا انه لم يقرر تصفيتها نهائيا ولا وإلغاءها تماما ، و ذلك نظرا لأنها كانت لا تزال تشكل سلاحا مهما ضد المجموعات السكانية المختلفة التي قد تطالب بحقوقها الديموقراطية أو تتطلع للمشاركة في صنع القرار السياسي ، وذلك بما كانت توفره من تشكيك بهوية تلك المجموعات الإسلامية ، ودعوة لطاعة الحاكم طاعة مطلقة. وكان ابن سعود واثقاً من السيطرة على الحركة الوهابية وقدرته على الاستفادة منها لخدمة أغراضه السياسية وبناء نظام استبدادي مطلق.

ومع أن الوهابية الأولى كانت ترفض التقليد وتنادي بفتح باب الاجتهاد والعودة الى فضاء الإسلام الرحب ، وعدم التقيد بقنوات المفسرين والمجتهدين السابقين الضيقة ، فان ابن سعود وجد أن من الخطورة ترك الحبل على غاربه لكل من يريد تفسير الإسلام أو تفسير الوهابية أو حتى نصوص الشيخ محمد بن عبد الوهاب و تنزيلها على الواقع ، و علم أن ذلك سيجر عليه بابا من الفتنة و الشر ، ولذلك قام بمأسسة الوهابية ، أو تأسيس مؤسسة دينية تشبه "المرجعية الدينية الشيعية" أو "الفاتيكان" أو "اللجنة المركزية في الحزب الشيوعي اللينيني". ولكن مع فارق كبير هو تعيين المؤسسة الدينية الوهابية من فوق ، وعدم انتخابها من القواعد الشعبية. وأصدر تعليماته القاطعة بضرورة التبعية للمؤسسة الدينية التي أنشأها ، أو بعبارة أدق لخط مدرسة آل الشيخ في تفسير الوهابية و الإسلام ، وتحريم أي نشاط فكري إسلامي حر خارج هذا الإطار حتى لو كان وهابياً.

وفي هذا الإطار وجه عبد العزيز بن سعود رسالة الى جميع العلماء ، جاء فيها :" .. ما هو بخافيكم (بخافٍ عليكم) أولاً نشأة هذا الأمر وتقويمه من الله ، ثم أسباب الشيخ محمد بن عبد الوهاب و أوائلنا رحمهم الله تعالى ، وما جرى على

المسلمين من اختلاف ولايتهم مراراً ، وكلما اختلف الأمر و شارف على نقض دين الله و إطفاء نوره أبى الله فأخرج من الحمولتين[٣٢٢]من يقوم بذلك...

ثم بعد ذلك تفهمون : أن أسباب الشر كثيرة و لا بد أن يحصل من الناس بعض اختلاف آراء ، أحد يبحث عن المخالفة ، و أحد يبحث عن الترؤس و أحد جاهل يريد الحق ولكنه خفي عليه سبيله فاتبع هواه ، وهذا كله مخالف للشرع.. وتفهمون أنه منذ أظهر الله الشيخ محمد بن عبد الوهاب في قرن أطيب من وقتنا و رجال أطيب من رجالنا وعلماء أطيب من علمائنا فسدد الله به و قام بهذه الكلمة وجدد الله به أمر هذا الأصل وأنقذ بأسبابه الناس من الضلالات ، فبان أمره لأولي البصائر وخفي ذلك على كثير من الناس.. وقبل هذا الحق و رضيه آباؤنا وأجدادنا وعلماء المسلمين فيما أتى به من الأصل والفرع ، ويتعين علينا وعليكم إن شاء الله أن نقتدي بما اقتدوا به. وليس بخافٍ عليكم حال هذا الزمان وكثرة الطالب والسائل وقلة البصيرة والفهم ، وليس بخافٍ عليكم اختلاف العلماء في أمور الفروع...

والآن يكون الأمر على مثل ما ذكر المشايخ أعلاه ، فمن أفتى أو تكلم بكلام مخالف لما عليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأولاده: عبد الله وعبد الرحمن وعبد اللطيف وعبد الله بن عبد اللطيف ، فهو متعرض للخطر في دينه و دنياه ، لأنا نعرف أنه لا يخالفهم إلا إنسان يريد الشر والفتنة بين المسلمين.

فأنتم جميعا – علماء المسلمين – التزموا بذلك وقوموا على من خالفه وسمعتم منه مخالفة في قليل أو كثير ، ما قدرتم عليه نفذوه ، وما لم تقدروا عليه ارفعوه إلينا. إلا إن كان هناك إنسان عنده في مخالفتهم دليل من الكتاب والسنة فلا يتكلم حتى يعرض أمره على علماء المسلمين ونعرف حقيقته ، أما المعترض من غير ذلك فذمتنا وذمة المسلمين بريئة منه ويكون معلوما عنده أنه على خطر".[٣٢٣]

---

[٣٢٢] – (آل الشيخ وآل سعود)

[٣٢٣] – التويجري ، عبد العزيز ، لسراة الليل هتف الصباح ، ص ٥٢٠

وكان ابن سعود قد منع "الهجر" من استقبال أي عالم حتى لو كان وهابيا الا ضمن المؤسسة الدينية الموالية له.[٣٢٤] وحرم الإفتاء أو تفسير القرآن ، أو تأويل النصوص الا في إطار تلك المؤسسة ، وهدد الذين يخالفون بأشد العقاب .[٣٢٥] وحذر "الإخوان" من أن بعضهم يحاول إخراجهم من الدين ، ونهاهم عن سؤال أحد من العلماء الا الذين يعينهم هو من أمثال: الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف ، والشيخ سعد بن عتيق ، والشيخ محمد بن عبد اللطيف ، والشيخ عبد الله العنقري ، والشيخ عبد الله بن سليم ، والشيخ عبد الرحمن بن سالم. وقال لهم: " من حط عنده طالب علم أو سأل غير هؤلاء المذكورين أو أحدا يجيزونه من طلبة العلم فأنا بري الذمة منه ولا يأمن العتب أيضا".[٣٢٦]

وهكذا تشكلت المؤسسة الدينية الوهابية حسب إرادة الحاكم ، انطلاقا من مبدأ وجوب الطاعة المطلقة للإمام ، ولم تنبثق من إرادة الأمة أو الحركة الوهابية الشعبية ، وقد دأب حكام آل سعود على اختيار رجال من آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، لرئاسة المؤسسات الدينية والتعليمية والقضائية ، وحصر مهمة الفتوى فيهم التزاما بالتحالف التاريخي الاستراتيجي بين البيتين (آل سعود وآل الشيخ). وذلك منذ قيام الدولة السعودية الأولى و الى اليوم [٣٢٧]. ولم يشذوا عن ذلك الا

---

[٣٢٤] – المصدر ، ص ٣٩٨

[٣٢٥] – المصدر ، ص ٣٨٨

[٣٢٦] – المصدر ، ص ٤٧٦

[٣٢٧] – فقد ورث الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، أبناءه عبد الله (الذي كان مرجعا في عهد عبد العزيز وسعود وعبد الله) و حسن ، ثم ورث هذا ابنه عبد الرحمن (الذي اصبح مرجعا للدولة السعودية الثانية ، أيام تركي بن عبد الله وفيصل بن تركي)، ثم ورثه ابنه عبد اللطيف (الذي أصبح مرجعا دينيا لفيصل) ، ثم ورثه ابنه عبد الله ، (الذي أصبح مرجع الدولة السعودية الثالثة

عندما عين الملك فيصل بن عبد العزيز ، بعد وفاة الشيخ محمد بن إبراهيم ، هيئة من ١٧ عضوا من كبار العلماء ، برئاسة الشيخ عبد العزيز بن باز ، وعندما توفي هذا الشيخ عام ١٩٩٨ عاد الملك فهد الى القاعدة القديمة وعين الشيخ عبد العزيز آل الشيخ مفتيا أكبر ، رغم وجود من هو أعلم وأكبر منه ، التزاما منه بالتقليد السعودي القديم القاضي بحصر الرئاسة الدينية في آل الشيخ.[٣٢٨]

التبعية للسلطة السياسية

ولأن الحاكم هو الذي يعين العلماء في مناصبهم وهو الذي يرحب بمن يريد ويطرد من يريد ، وهو الذي ينفق عليهم ، ولأنهم كانوا يؤمنون بوجوب طاعة ولي الأمر في كل الأحوال ، فقد افتقدوا حريتهم في النشاط الفكري والاجتهاد ، وغدوا أشبه بالموظفين الذين يتلقون الرواتب والتعليمات من الحكومة ويقومون بما يوكل

من عام ١٩٠٢ الى وفاته عام ١٩٢١) ، ثم ورثه الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ الذي أصبح مرجعا للدولة من عام ١٩٢٢ الى عام ١٩٣٢ ثم ورثه الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ الذي أصبح مرجعا أعلى حوالي أربعين عاما من عام ١٩٣٢ الى ١٩٦٩ م

وقد كان هذا الشيخ يتولى ١٨ منصبا دينيا وقضائيا وتعليميا واداريا من الافتاء الى رئاسة الكليات والمعاهد الدينية والتعليمية الى رئاسة المجلس الأعلى للقضاء ، ويعينه أبناؤه ابراهيم وعبد العزيز واخوانه عبد الملك وعبد اللطيف وابن عمه الشيخ عمر بن حسن والشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز والشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ .راجع: أنور عبد الله ، العلماء والعرش ٣٤٦

[٣٢٨] – يبلغ عدد أمراء آل سعود حوالي ٦٠٠٠ رجل ، وكذلك عدد رجال آل الشيخ ، ويشكلون معا النخبة الحاكمة وهم مرتبطون ببعضهم عبر علاقات الزواج وصلات النسب . يماني ، مي: هويات متغيرة ، ص ٦٦ – ٦٧

اليهم من أعمال ، وفقدوا الاستقلالية المحدودة التي تمتعوا بها من قبل ، وأصبح وضعهم ونشاطهم العام محكوما بأهداف الحاكم . وفقدوا القدرة على ممارسة القيادة والتوجيه للسلطة السياسية أو فرض آرائهم عليها وإجبارها على احترام كلمتهم.

وبالرغم من أن العلماء الوهابيين (وعلى رأسهم آل الشيخ) كانوا يشكلون المظلة الشرعية للعرش السعودي ، إلا انهم أصبحوا مجرد جماعة ضغط هامشية تمارس نفوذها على بعض النشاطات الحكومية ، و لا تتمتع بدور مستقل و قوي. حيث كان لزاما عليهم أن يؤدوا دورهم وفقا لحاجات الملك ابن سعود وأهدافه السياسية. وإذا كان لديهم رأي معارض فيجب أن يوجهوه إليه سراً وبشكل طلب شخصي غير ملزم بتاتاً.[٣٢٩]

وقد تجلى ذلك في الثلاثينات والأربعينات ، عندما فتح الملك عبد العزيز أبواب مملكته للأمريكان "الكفار" وسمح لهم بإنشاء قواعد ومنشآت عسكرية في الظهران ، مما أغاظ رجال الدين الوهابيين جدا ، ودفع بعضهم للاحتجاج العلني ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يغيروا من السياسية شيئا. فقد وجه المفتي الأكبر الشيخ محمد بن عبد اللطيف رسالة للملك عبد العزيز يعارض فيها سياسة الانفتاح على أمريكا قائلا :" الموجب لهذا هو النصيحة لكم، لأن الله تعبدنا بذلك و أوجبه علينا وحرم علينا الغش والسكوت عن البيان ، وهو أن الله مَنَّ عليكم بهذه الولاية الإسلامية الدينية التي نشأتم عليها وعشتم في ظلها بانتسابكم اليها ، ولكن يا محب.. الواجب عليك حفظ هذه الولاية و رعايتها وإحاطتها عما يشينها ويوجب زوالها.. ولكن دوران هؤلاء الأجانب في ولاية المسلمين بقولهم (معادن) وغير ذلك .. وتمكينهم من

---

٣٢٩ – دأب عبد العزيز بن سعود على دعوة بعض العلماء أسبوعيا ، والاجتماع معهم لاستماع وجهات نظرهم بصورة سرية .وكان يقول لهم : " من رأى منكم شيئا مخالفا ، فليوضحه لي وليرشدني إلى الطريق الحق ، ولكن كما قال عمر بن الخطاب لمن أراد أن ينصحه : (فليكن ذلك بيني وبينك)" .

التماس المعادن بزعمهم لا يؤمن مكرهم... فالله الله يا إمام المسلمين في حياطة هذه الولاية والقيام بحفظها باطنا وظاهرا لأن الله مستدعيك وسائلك عن رعيتك...

كذلك دوجان (أي: جولان) هؤلاء في نجد تشمئز منه نفوس كل من كان في قلبه رائحة إيمان. والمعهود من أوائلكم رحمهم الله الامام فيصل ومن قبله أئمة هذه الدعوة ، إذا قدم عليهم أجانب تحفظوا منهم وجعلوا في كل مكان عندهم خداما ولا يدوجون (يجولون) في البلد ولا يدخل عليهم أحد.

٢٢/ربيع الأول/ ١٣٥٥ – ١٩٣٦ ".[٣٣٠]

ولكن الشيخ محمد لم يملك أية وسيلة لحمل الملك على تغيير سياسته ، وهو إن أشار عليه بشيء فمن باب الشورى غير الملزمة. وربما كان حال الشيخ محمد أفضل من حال إمام مسجد الرياض الذي أحسَّ بالملك عبد العزيز يصلي خلفه ذات صباح ، فاستغل الفرصة لكي يوجه له نقداً خفياً ويعرّض بعلاقته مع الأمريكان ، فقرأ في صلاته هذه الآية :" ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم . قل إن هدى الله هو الهدى ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ، مالك من الله من ولي ولا نصير" . ولم يكمل الإمام صلاته حتى هجم عليه الملك وأطبق بيديه على عنقه و راح يتلو بصوت مرتفع:" قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم و لي دين". [٣٣١]

أما الشيخ عبد العزيز بن باز ، فقد كاد يقدم عنقه ثمنا لكلمة قالها ضد علاقة الملك عبد العزيز بالأمريكان ، عندما كان قاضيا و واعظا في الخرج سنة ١٣٦٤هـ (١٩٤٤م) ، حيث قام بالتعبير عن رأيه في خطبة أمام الناس ، وقال:"

---

[٣٣٠] – التويجري ، عبد العزيز ، لسراة الليل هتف الصباح ، ص ٣٧٨

[٣٣١] – كشك، محمد جلال ، السعوديون والحل الإسلامي ، ص ٤٢٩

إن الملك خان الأمانة و باع الوطن للأجنبي ، وقد رأيت بعيني الأمريكان يستولون على الأرض و يزرعونها في الخرج ويسخرون العمال السعوديين ويشقون الطرق ويستعملون الماء النفيس كما يحلو لهم ... فهل من حق الملك أن يبيع بلادنا وميراث أجدادنا للمشركين؟".

فأرسل إليه الملك واستقبله محاطاً بالأمراء ورجال البلاط والمستشارين والحرس والعلماء وأعضاء محكمة الشرع العليا ، وقال له:

– إذا كان لديك ما تعترض عليه فقله علانية (أي: أمامي) ، لأن الإسلام يطلب مواجهة الحاكم لا توجيه الاتهامات من خلف ظهره.

فوقف الشيخ وقال أمام الجميع: إن الملك يبيع البلاد والناس للكفار وهذا يخالف التزاماته كحاكم مسلم وحامي الحرمين والمشاعر.

ثم قال له الملك: هل قلت كل ما عندك؟ فأجاب بالإيجاب ، عندها نزل الملك عن العرش وتقدم فوقف إلى جانبه قائلا:

– أنا لست الآن إلا مجرد مسلم أطلب أن يحكم بيننا بالشرع ، أنا عبد العزيز أطلب من القضاة والعلماء أن يفصلوا فيما بيننا. ثم التفت للعلماء وقال:

- أفتوني.. هل استخدم النبي غير المسلمين من أهل الكتاب والمشركين؟

ثم استعرض الملك الحالات التي وردت في السيرة ، فرد العلماء بالإجماع.. إن الملك صادق فيما قال. فعاد الملك يسأل: فهل خرجت أنا على الشرع ، إذا اتبعت سنة رسول الله ، واستخدمت خبراء أجانب للعمل لحسابي تحت توجيهاتي لزيادة موارد البلاد ، ويستخرجون لصالحنا المعادن والنفط و الماء وما سخره الله من خير لبلادنا؟

فرد العلماء: انه لم يخطئ

فسأل الملك الشيخ : هل رضيت؟

قال الشيخ: أنا أطيع قرار العلماء ولكن لم يطمئن قلبي

قال الملك: لقد احتكمت للشرع ، وقرر علماء الشرع أنني على حق وأنت المخطئ.. فإذا لم تعتذر خلال ٢٤ ساعة فسوف أقطع عنقك.
وأخذ الشيخ تحت الحراسة. وانفض المجلس.[٣٣٢]

ان القضية لم تكن قضية استعانة ببعض الخبراء الأجانب ، ولكنها كانت قضية تبعية وتحالف استراتيجي مع الغرب والولايات المتحدة الأمريكية بالخصوص ، ولذلك كانت تستثير المعارضة والاحتجاج من قبل العلماء الوهابيين قبل غيرهم. ولكن لم يكن هناك مجلس للشورى يستطيع العلماء فيه محاسبة الحاكم بصورة قانونية أو يفرضوا عليه سياسة معينة ، وبالتالي فان علاقتهم مع الحاكم كانت شخصية و مزاجية ، ولذلك افتقد العلماء قوة الضغط التي تتيح لهم فرض آرائهم واقتراحاتهم ، أو إلزام الملك والسلطة التنفيذية بما يقترحون ، واضطروا لقبول استثناء آل سعود من سلطة الشريعة الإسلامية.[٣٣٣]

---

[٣٣٢] – المصدر ، ص: ٦٤-٦٥

[٣٣٣] – لم يحدث خلال تاريخ الملك عبد العزيز أن استمع أو نزل عند إرادة العلماء سوى بضع مرات فقط وفي قضايا شكلية ثانوية ، وذلك عندما احتج العلماء على محاولاته للاحتفال بعيد العرش عام ١٩٣٠م و ١٩٥٠م ، بعد أن اعتبروا الاحتفال بذلك بدعة يجب الاستغفار منها ، فتنازل الملك وألغى الاحتفالات. المصدر ، ص ٧٨ و أنور عبد الله ، العلماء والعرش ٢٥٩ و ٢٦١ و الزركلي، شبه الجزيرة العربية ٧٤٤) ، وكذلك فعل ابنه فيصل سنة ١٩٦٥ ، وقد قبل رجال الدين الوهابيون استثناء العائلة المالكة من تطبيق الشريعة الاسلامية ، حيث لم يطبق أي حكم شرعي عليهم منذ حادثة الأمير ناصر بن عبد العزيز ، أمير الرياض في الأربعينات ، الذي أقام حفلا مسكرا في بيته ، في شهر حزيران عام ١٩٤٧ فمات سبعة أشخاص بالتسمم الكحولي ، فطالب رجال الدين بتطبيق القصاص على الأمير الشاب ، ولكن الملك توصل معهم الى الحل التالي وهو إعفاء الأمير ناصر من منصب إمارة الرياض او أحتلال أي منصب رسمي داخل الدولة أو اعتلاء العرش في المستقبل ، وطلب الملك من كبار العلماء عدم إحالة أبنائه الى محاكم القضاء كبقية العامة من الناس حفاظا على هيبة الحكم وسمعة الأسرة المالكة ، وإخضاعهم لمحاكم ملكية خاصة تحت إشراف الملك نفسه أو من يمثل العائلة المالكة. ويبدو ان العلماء وافقوا على أن يتولى الملك هذه المهمة في ما يخص عائلته أو من يمت له بصلة القربى. أو في الحقيقة قبلوا باستثناء العائلة المالكة من قوانين الشريعة

الاعتزال السياسي

ولم يكن علماء المؤسسة الدينية الوهابية يتدخلون في الحياة السياسية العامة الا عندما يطلب النظام منهم ذلك لحمايته أو الدفاع عنه ، وقد جرت العادة أن يمنحهم الحاكم دوراً بارزاً في الظروف الحرجة عندما يحتاج الى الشرعية الدينية ، و يدفعهم الى الهامش عندما يستغني عنهم أو يتعارض موقفهم مع موقفه. ولذلك كان يغلب عليهم طابع التبعية والتسليم ، والانسحاب السياسي وترك الأمور للحاكم يفعل ما يشاء ، انطلاقا من مقولة:(من السياسة ترك السياسة) و (أنه ما دام الشرع مطبقاً والملك محافظاً على الأركان الخمسة للإسلام والعلماء قائمين بأمور الدين كما ينبغي دون مضايقات او تهاون فلا تجوز محاسبة إمام المسلمين لئلا تكون فتنة) [٣٣٤].

الاسلامية وتعطيل حدود الله ، كما يدل على ذلك التساهل مع الأمير مشاري بن عبد العزيز الذي اعتدى على زوجة نائب القنصل البريطاني وقتل زوجها عام ١٩٥١ واختبائه في بيت أخيه فيصل حتى وفاة أبيه عام ١٩٥٣ ، وكذلك قيام الأمير محمد بن عبد العزيز بقتل حفيدته التي هربت مع خطيبها ، خلافا للنصوص الشرعية التي تأمر فقط بجلد الزانية غير المحصنة ، لأن الأميرة لم تكن محصنة عند هروبها مع خطيبها . ومع ذلك قتلت هي وخطيبها علنا وعلى الطريقة الجاهلية (غسل العار) ولم يعترض العلماء على هذا الحكم الجائر التزاما منهم بالاتفاق التاريخي الذي يعفي آل سعود من تطبيق الشريعة الاسلامية.(عبد الله ، أنور : العلماء والعرش ، ص ٢٧٠ و ٢٩٥ – ٢٩٧)

[٣٣٤] – وقد برر الشيخ ابن باز استعانة المملكة العربية السعودية بالقوات الاجنبية (الامريكية والبريطانية وغيرها) لمحاربة العراق قائلا :" أما ماحصل من الحكومة السعودية لأسباب الحوادث المترتبة على الظلم الصادر من رئيس دولة العراق لدولة الكويت ومن استعانتها بجملة من الجيوش التي حصلت من أناس متعددة من المسلمين وغيرهم لصد العدوان والدفاع عن البلاد فذلك جائز بل تحكمه الضرورة ، فهي معذورة في ذلك ومشكورة على مبادرتها".(مجلة إقرأ ، العدد ٧٧٩ بتاريخ ١٩٩٠/٨/٢٣) وكذلك أصدر مجلس هيئة كبار العلماء بيانا يؤيد ما اتخذه "ولي الأمر" من استخدام قوات أجنبية.(عبد الله، أنور ، العلماء والعرش ، ص ٣٩٢)

وعلى رغم احتلال رجال الدين الوهابيين مكانة واسعة في صفوف الشعب من خلال إمامة الجمعة و الجماعة في أحد عشر ألف مسجد في المملكة العربية السعودية ، ودوائر القضاء والتعليم الديني ، وقدرتهم على حشد الجماهير ضد سلطة آل سعود أو سياساتهم الاستبدادية و المنحرفة ، إذا ما أرادوا ، الا انهم ظلوا دائما محافظين على ولائهم للنظام . وقد مرت على السعودية فترات كان يمكنهم فيها ان يلعبوا دورا كبيرا في إصلاح النظام أو تغييره وإحداث ثورة جذرية فيه ، ولكنهم اصطفوا الى جانب النظام ودافعوا عنه بقوة ، بدءا من حادثة تمرد (الإخوان) في العشرينات من القرن الماضي ، ومرورا بحادثة احتلال الحرم المكي في نهاية السبعينات[٣٣٥] ، وحرب الخليج الثانية في بداية التسعينات ، وانتهاء

ووقف كبار رجال الدين في السعودية موقفا صامتا من ضرب حركة طالبان في أفغانستان ، بواسطة قوات التحالف الدولي عام ٢٠٠١ ، بعد لجوء أسامة بن لادن اليها ومباركته لعملية الهجوم على مبنى التجارة الامريكي ووزارة الدفاع الامريكية في ١١ أيلول من ذلك العام ، بينما لم يعارض ذلك سوى الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي الذي أدان الهجوم على أفغانستان وطالب بنصرتها واعتبر تأييد الهجوم الأمريكي عليها ردة وكفرا بالله ، مما دفع الحكومة السعودية الى إخراجه من هيئة كبار العلماء ومطالبته بالكف عن الإفتاء.

[٣٣٥] – أصدر الشيخ ابن باز بيانا مهما حسم تردد الكثير من أفراد القوات المسلحة في التصدي لحركة جهيمان العتيبي الذي احتل المسجد الحرام عام ١٩٧٩ ، جاء فيه:"كيف يجوز له الخروج على دولة قائمة قد اجتمعت على رجل واحد وأعطته البيعة الشرعية ، فيشق عصاها ويفرق جمعها؟ وقد قال عليه الصلاة والسلام فيما صح عنه: (من أتاكم وأمركم جميع يريد ان يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاضربوا عنقه كائنا من كان) خرجه مسلم. ولما بايع النبي (ص) أصحابه بايعهم (ان لا ينازعوا الأمر أهله ، الا ان تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان) وهذه الدولة بحمد الله لم يصدر منها ما يوجب الخروج عليها. ويحتج في هذا المقام بحديث : (من رأى من أميره شيئا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يدا عن طاعة ، فان من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية) وبذلك تدخل هذه الطائفة تحت قوله عز وجل: (ومن أظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها ، أولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب أليم) ويحتج بحديث: (من حمل علينا السلاح فليس منا)

بقضية ابن لادن والهجوم الأمريكي على أفغانستان و حركة طالبان عام ٢٠٠١، حيث كان للقاعدة الوهابية في كل تلك القضايا مواقف تختلف كثيرا عن مواقف النظام السعودي ، وكان يمكن للعلماء ان يقودوا الجماهير في مواجهة النظام أو يجبروه على اتخاذ مواقف مسايرة لهم ، ولكنهم آثروا دعم المواقف الرسمية والتنديد بمخالفيها ، مما قلص مهمة العلماء الدينية الى القيام بدور الحاضن و الخادم للنظام والمخدر للأمة. [٣٣٦]

لتجريم (الاخوان) لأجل اطلاقهم النار على رجال الأمن الذين أرادوا حماية المسلمين من شرهم". مجلة البحوث الاسلامية ، السعودية (العدد الاول من المجلد الثاني) بعنوان : (حادث المسجد الحرام وأمر المهدي المنتظر).

[٣٣٦] – دعا المفتي العام الشيخ عبد العزيز بن باز ، في كلمة له ألقاها في الحفل الختامي للدورة الشرعية الخامسة للدعاة العاملين بمكاتب الدعوة بالمملكة ، والتي تشرف عليها وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الى قمع حركة المعارضة السعودية ، حتى على المستوى الإعلامي ، وسمى الذين ينتقدون النظام بدعاة الهدم والضلالة ، وحذر منهم قائلا:" أوصي بالحذر من دعاة الهدم ، من دعاة الضلالة ، مثل (المسعري) وأشباهه ومن يتعاون معه على التخريب والفساد وتضليل الناس ، هذا شر عظيم وفساد كبير ...فيجب القضاء على هذه النشرات ، والتحذير منها ، وإتلافها مهما كانت" وطالب بدلا من توجيه النقد لولاة الأمور ، التعاون معهم في الخير والدعاء لهم بالهداية والتوفيق وأن الله يعينهم على الخير وأن يهديهم ويصلح لهم البطانة وأن يوفقهم لإقامة الحق. وقال:"هكذا المصلح .. يدعو لهم بالخير ويشكرهم على الخير ، يشكرهم على ما بذلوه من الخير ، يدعوهم إلى الاستقامة ، وإلى صلاح البطانة والحذر من أهل السوء ، ويدعو إلى إزالة المنكرات ، يدعو إلى إزالتها ، بالكلام الطيب ، والأسلوب الحسن ، والنصيحة لولاة الأمور والعلماء ، مع الدعاء لهم بالتوفيق ، يقول لهم : تواصوا ، تناصحوا في ذلك ، أرشدوا الناس جزاكم الله خير ، وفقكم الله . هكذا تكون النصيحة ..بالكلام الطيب ، بالرفق ، والدعاء لهم بالتوفيق ، والدعاء لهم بحسن العاقبة ، والدعاء لهم بالفقه في الدين وصلاح البطانة". وأكد توصياته ثانية:" من الواجب على الرعية مساعدة الدولة في الحق والشكر لها على ما تفعل من خير والثناء عليها بذلك . يجب عليهم معاونة الدولة في إصلاح الأوضاع فيما قد يقع فيه شيء من الخلل بالأسلوب الطيب وبالكلام الحسن لا بالتشهير وذكر العيوب في الصحف وعلى المنابر ولكن بالنصيحة وبالمكاتبة

وفي مقابل ذلك كان النظام السعودي يضخ الى المؤسسة الدينية أموالا طائلة لبناء المدارس والمساجد والمشاريع بهدف إغنائها ماليا وإفقارها فكريا والقضاء على روحها الاستقلالية . وعندما كان أحدهم يبادر الى الخروج عن إرادة الحاكم فانه يُفصل بسرعة أو يتم تجميد عضويته في هيئة كبار العلماء .[337]

التصدي للديموقراطية

وقد قامت المؤسسة الدينية الوهابية بدعم ديكتاتورية آل سعود ، انطلاقا من الفكر السياسي الوهابي السلفي الذي يحث على طاعة الحكام طاعة مطلقة في جميع الأحوال ، ومن منطلق الشعور بالأقلية في مواجهة الطوائف والتيارات والأحزاب الأخرى التي تشكل غالبية الشعب السعودي ، والرافضة للوهابية ولآل سعود .

والتنبيه على ما قد يخفى حتى تزول المشاكل وحتى يحل محلها الخير والإصلاح وحتى تستقر النعم ويسلم الناس من حدوث النقم". (مجموع فتاوى ومقالات ابن باز – الجزء السابع)

وحذر من الفاكسات والأشرطة "الخبيثة" التي تدعو الى الفرقة والاختلاف وسب ولاة الأمور والعلماء ، وقال: إنها من أعظم المنكرات . واتهم المعارضين " الذين أرسلوا الكثير من الأوراق الضارة المضلة ، والمفرقة للجماعة من جنس محمد المسعري ومن معه ، بأنهم حاقدون وجاهلون باعوا دينهم وباعوا أمانتهم على الشيطان" وأمر بإتلاف ما يأتي من هذه الأوراق ؛ لأنها شر وتدعو إلى الشر " وقال: ان النصيحة تكون بالثناء على ما فعل من الخير ، والحث على إصلاح الأوضاع ، والتحذير مما وقع من الشر. (مجلة الدعوة في عددها الصادر يوم الخميس ١٩ / ١٢ / ١٤١٥هـ)

[337] – كما حدث للشيخ عبد الله بن قعود والشيخ حمود بن عقلا الشعيبي وغيرهما ممن احتج على الاستعانة بالأجانب للدفاع عن المملكة ، أثناء حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١

فمن ناحية كانت الوهابية ترفض الشورى والديموقراطية لأنها ترفض الاعتراف بوجود (الأمة المسلمة) الواسعة ، إذ أنها كانت تعتقد "أن عامة المسلمين هم كفار ومشركون" أو"منحرفون ضالون" على الأقل حسب التفسير الوهابي الجديد ، وأن الوهابية تشكل "الفرقة الناجية الوحيدة التي تسير على هدى السلف الصالح" و ترفض مشاركة الأمة السياسية ، بحجة تفشي الجهل بالإسلام بين الناس.[٣٣٨]

وبما ان عملية الشورى أو الديموقراطية تقوم على مبدأ حكم الأكثرية والتعددية السياسية ، فان رجال الدين الوهابيين ردوا هذا المبدأ بقوة ، واعتبروه منافياً للدين ، و رفضوا مبدأ الاحتكام الى الأكثرية المعمول به في الحياة الديموقراطية ، من منطلق: " ان الجماعة هم أهل الحق وان قلوا" و "عدم شرعية الأكثرية دائماً". [٣٣٩] و خاصة عندما تكون الأقلية وهابية والأكثرية غيرها.

يقول الدكتور عدنان علي رضا النحوي ، في معرض رفضه للديموقراطية : ان "الجماعة" المقصودة هي الفئة التي تتبع الحق البين ، ولو كان عددها الأقل. فلا يصح الاستدلال بلفظ "الجماعة" للدلالة على الكثرة ، فهي في عصر كثرة وفي عصر آخر قلة . ثم التزام الجماعة يقصد به التزام الحق البين وعدم الانفراد بهوى أو شهوة. انه التزام العقيدة والدين.[٣٤٠] و ان لفظ الجماعة لا تقضي بالكثرة دائما ، ولا علاقة لها بالأكثرية والأقلية في مجال الشورى والرأي [٣٤١]. وان الحق لا يقرر

---

[٣٣٨] – النحوي : الشورى لا الديموقراطية ، ص ٤٠

[٣٣٩] – بناء على تفسيرهم الخاص لهذه الآيات القرآنية الكريمة:" وان كثيرا من الناس لفاسقون . ولكن كثيرا منهم فاسقون. وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون. ولكن أكثر الناس لا يشكرون. وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله. انه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون. ولكن أكثر الناس لا يعلمون. ولكن أكثر الناس لا يشكرون. وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين. فأبى أكثر الناس الا كفورا".

[٣٤٠] – النحوي ، عدنان علي رضا : الشورى لا الديموقراطية ، دار النحوي للنشر والتوزيع – الرياض الطبعة الرابعة ١٩٩٢، ص ٩٩

[٣٤١] – المصدر ، ص ١٠٢

بالعدد: أكثرية أو أقلية ، أنه يقرر بالعقيدة والدين والمنهاج المتكامل الحق ، كما يقول الحديث الصحيح: (إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة) .. الحق لا يقرر بالكثرة الغالبة حتى ولو كانت من المسلمين ، فقد تخلف الناس عن منهاج الله وطويت المواهب والقدرات واختلطت المعادن واضطربت المنازل وقتلت العزائم ، وجف العلم والفقه [٣٤٢].

ويقول أبو محمد عاصم المقدسي (زعيم الحركة الوهابية في الأردن):"الديموقراطية تعتبر الشعب أعلى سلطة في الوجود وهي حكم أكثرية الشعب ... أما في الشورى فالشعب أو الأكثرية هي الملتزمة المأمورة بالسمع والطاعة لله ولرسوله ثم لإمام المسلمين ، ولا يُلزم الإمام برأي الأكثرية ولا حكمها ، وانما الأكثرية مأمورة بالسمع والطاعة للأئمة وإن جاروا ما لم يأمروا بمعصية".[٣٤٣]

وهو ما يؤكده الدكتور النحوي بقوله: " ان الأكثرية والأمة.. كلها عليها السمع والطاعة وعليها النصح والمشورة ، وفي عنقها بيعة ، وهي خاضعة كلها لمنهاج رباني يحكمها. وأما في الديموقراطية فتكاد تكون الصورة مقلوبة ، فان المسؤول هو عليه السمع والطاعة تقريبا، ولا منهاج يحكم أحدا ، الا ما يقرره الشعب".[٣٤٤] و "إننا نشعر بأهمية المسؤولية حين نستعرض أحاديث البيعة وأحاديث السمع والطاعة :

١- في العسر واليسر
٢- في المنشط والمكره
٣- على الأثرة (وعلى أثرة فينا)
٤- ألا ننازع الأمر أهله
٥- فيما نحب ونكره

---

[٣٤٢] - المصدر ، ص ١٠٥

[٣٤٣] - المقدسي ، أبو محمد عاصم : الديموقراطية دين ، ص ٢٤

[٣٤٤] - النحوي : الشورى لا الديموقراطية ، ص ١٠٨

٦- ما لم يؤمر بمعصية ، أو الا ان تروا كفرا بواحاً عندكم من الله فيه برهان.

٧- فيما استطعتم

٨- وإن أمر عليكم عبد مجدع يقودكم بكتاب الله".[٣٤٥]

ولذلك يتساءل الدكتور النحوي باستغراب: هل نجد في الديموقراطية ما يقابل هذا او يناظره؟ وهل تنظر الديموقراطية الى المسؤولية بهذا المستوى؟ و إذا كنا نتهم المسؤول قبل تحديده وتعيينه وقبل معرفته و ولايته ، فلماذا نوليه أمرنا ونعطيه ثقتنا ثم نعطيه عهدنا على السمع والطاعة ونبايعه بيعة الإيمان؟ [٣٤٦]

وبناء على ذلك اعتبر الوهابيون الديموقراطية نفسها كفراً بواحاً وشركاً صريحاً " لأنها تقوم على أساس شعار (الحكم للشعب) الذي يتعارض جذريا مع نص القرآن بأن الحكم لله". [٣٤٧] وقال بعضهم:" بأن الديموقراطية دين غير دين الله وملة غير ملة التوحيد وإن مجالسها النيابية ليست الا صروحاً للشرك ومعاقل للوثنية يجب اجتنابها لتحقيق التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ، وكما لا يجوز مزج اليهودية أو المسيحية بالإسلام ، كذلك لا يجوز مزج الديموقراطية بالإسلام".[٣٤٨]

وقد رفض الوهابيون الديموقراطية ، إضافة لذلك ، لأنها تنطوي على مبدأ محاسبة الأمة للحاكم وتبادل السلطة وفصل السلطات، وهو ما يتناقض مع مبدأ

---

[٣٤٥] – المصدر ، ص ٥٩

[٣٤٦] – المصدر ، ص ٨٨ وهنا يتناسى النحوي أن الفكر السياسي الوهابي يعترف بحكومة القاهر المتغلب و الظالم والفاسق ، ولا يشترط العدالة والتقوى والأمانة في الحاكم ، ولذلك فانه عندما يرفض المحاسبة والمراقبة لهكذا حاكم ولكل حاكم فانه يوفر له حرية مطلقة في التصرف في الأموال والنفوس والأعراض ومصائر الأمة.

[٣٤٧] – المصدر ، ص ٤٢-٥٠ و٥٢

[٣٤٨] – المقدسي ، أو محمد عاصم : الديموقراطية دين ، ص ٢

وجوب الطاعة المطلقة للحاكم في الفكر السياسي الوهابي ، حيث يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الأصل الثالث من (الأصول الستة):"إن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمر علينا ولو كان عبدا حبشيا".

ولا يفرق الوهابيون بين الدعوة الى إسقاط الحاكم بالطرق العسكرية أو تغييره بالطرق السلمية الديموقراطية ، فكل ذلك في نظرهم يخالف مبدأ الطاعة المطلقة المطلوبة من الناس .كما يرفضون مجرد توجيه النقد علنا الى الحكام "لأنه يؤدي الى الثورة " وقد قال الشيخ عبد العزيز بن باز :" ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاة ، وذكر ذلك على المنابر ؛ لأن ذلك يفضي إلى الفوضى وعدم السمع والطاعة في المعروف ، و يفضي إلى الخوض الذي يضر ولا ينفع ، ولكن الطريقة المتبعة عند السلف : النصيحة فيما بينهم وبين السلطان ، والكتابة إليه ، أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به حتى يوجه إلى الخير . ولما وقعت الفتنة في عهد عثمان رضي الله عنه : قال بعض الناس لأسامة بن زيد رضي الله عنه : ألا تكلم عثمان؟ فقال : إنكم ترون أني لا أكلمه ، إلا أسمعكم؟ إني أكلمه فيما بيني وبينه دون أن أفتتح أمرا لا أحب أن أكون أول من افتتحه .

ولما فتح الخوارج الجهال باب الشر في زمان عثمان رضي الله عنه وأنكروا على عثمان علنا عظمت الفتنة والقتال والفساد الذي لا يزال الناس في آثاره إلى اليوم ، حتى حصلت الفتنة بين علي ومعاوية ، وقتل عثمان وعلي رضي الله عنهما بأسباب ذلك ، وقتل جمع كثير من الصحابة وغيرهم بأسباب الإنكار العلني ، وذكر العيوب علنا ، حتى أبغض الكثيرون من الناس ولي أمرهم وقتلوه ، وقد روى عياض ابن غنم الأشعري ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده علانية ولكن يأخذ بيده فيخلو به فإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدى الذي عليه [٣٤٩].

---

[٣٤٩] – الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية ، ٢٥٥–٢٥٦

وقد رفض الفكر السياسي الوهابي التعددية الحزبية والسياسية بدعوى : عدم جواز التحزب لأنها بيعة بدعية منافية لبيعة السلطان وسبب من أسباب التفرق. كما رفض ممارسة عملية الولاء والبراء والهجر والمقاطعة في داخل صفوف المجتمع الا بإذن ولي الأمر والحاكم الشرعي. [٣٥٠]

رفض تكفير الحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله

وفي الوقت الذي كان كبار علماء المؤسسة الوهابية الجديدة يكفرون حكاماً عرباً و مسلمين بالتعيين و طوائف كبيرة من المسلمين على العموم [٣٥١]، لأسباب

[٣٥٠] – بيان هيئة كبار العلماء (١- الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف ٢ – حسن بن حسين ٣- عمر بن محمد بن سليم ٤- سعد بن حمد بن عتيق ٥- عبد الله بن عبد العزيز العنقري ٦ – سليمان بن سمحان ٧- محمد بن عبد الطيف ٨- عبد الله بن بليهد ٩ – عبد الرحمن بن سالم) بتاريخ ١٠ ذي القعدة ١٣٣٢هـ

[٣٥١] – كما حدث مثلاً عام ١٩٨٢ عندما انتقد الرئيس الليبي العقيد معمر القذافي سياسة الملك خالد بن عبد العزيز ، فتصدى له مجلس هيئة كبار العلماء وأصدر بيانا طويلا جاء فيه :" أن القذافي كافر ملحد وضال مضل". جريدة الرياض بتاريخ ١٤٠٢/٥/١١ و أنور عبد الله ، العلماء والعرش ص ٣٨٥ ، وكما حدث عام ١٩٩١ عندما احتل الرئيس العراقي صدام حسين الكويت ، وأعلنت السعودية الحرب عليه ، حيث قام ابن باز بتأييد الحرب وأصدر بيانا قال فيه:" ان الله سبحانه وتعالى أمر بقتال الفئة التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله ، فكيف اذا كانت الفئة الباغية غير مسلمة بل ملحدة وباغية ، فهنا قتالها أوجب وأحقّ". عبد الله ، أنور ، العلماء والعرش صفحة ٣٩٤ ، ولم يتورع مشايخ الوهابية الرسمية الكبار من تكفير طائفة الشيعة بصورة عامة عندما توترت العلاقة بين السعودية وإيران ، أثناء الحرب العراقية الإيرانية ، حيث أصدرت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برئاسة الشيخ عبد العزيز بن باز ، وعضوية المشايخ عبد الله بن قعود وعبد العزيز بن غديان ، وعبد الرزاق عفيفي ، فتوى تحت رقم ١٦٦١ بتكفير الشيعة بصورة عامة ، ثم أصدر الشيخ عبد الله بن جبرين فتوى مماثلة تحت رقم ٢٠٠٨ بتاريخ ١٤١٢/٣/١٢ ورد

سياسية ، فانهم كانوا يتساهلون في إطلاق أحكام التكفير على حكام آل سعود او حكام الخليج الذين لا يحكمون بما انزل الله ، فبالرغم من تركيز الحركة الوهابية على موضوع التوحيد ، وتوحيد الطاعة والعبادة والالتزام بقوانين الشريعة الإسلامية ، و اعتبار العمل بغير ما أنزل الله شركاً وكفراً أعظم ناقلاً عن الملة.[٣٥٢] ولكن علماء المؤسسة الوهابية الجديدة ، وجدوا أنفسهم في ظل سيطرة النظام السياسي واختلال موازين القوى ، مضطرين للقيام بتفسير جديد لمفهوم الشرك والتوحيد ، يختلف عن التفسير الوهابي القديم ، وخاصة مفهوم الشرك في الطاعة ، والحكم بغير ما أنزل الله ، من أجل تبرئة الحكام المنحرفين الرافضين للعمل بالشريعة الإسلامية ، أو الموالين للكفار ، و وضع شروط ومخارج جديدة لصرف تهمة التكفير عنهم .فقد قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني :"إنه لا يجوز لأحد من الناس أن يُكفّر من حكم بغير ما أنزل الله بمجرّد الفعل من دون أن يعلم أنه استحل

فيها ما يلي: " ان الشيعة مشركون شركا أكبر يخرج من ملة الاسلام وانهم مرتدون ، وانهم غلاة ، وانهم منافقون. وبناء على ذلك فقد تقرر ما يلي: أ – حرمة ذبائحهم. ب – حرمة الزواج منهم. ج – رفض دعاواهم في الأخوة الاسلامية". و أصدر الشيخ ناصر الدين الألباني عام ١٩٨٧ من عمان فتوى بتكفير الامام الخميني.

[٣٥٢] – وهذا ما نجده مثلاً في كتاب: (رسالة تحكيم القوانين) للمفتي الأسبق الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، الذي قال فيه:" إن من الكفر الأكبر المستبين تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين في الحكم به بين العالمين والرد إليه عند تنازع المتنازعين مناقضة ومعاندة لقول الله عز وجل:(فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا). وان هذه المحاكم الآن في كثير من أمصار الإسلام مهيأة مكملة مفتوحة الأبواب والناس إليها أسراب إثر أسراب يحكم حكامها بينهم بما يخالف حكم السنة والكتاب من أحكام ذلك القانون وتلزمهم به وتقرهم عليه وتحتمله عليهم ، فأي كفر فوق هذا الكفر وأي مناقضة للشهادة بأن محمدا رسول الله بعد هذه المناقضة؟". ص ٢٠ –٢١

ذلك بقلبه". وعقب المفتي السابق للمملكة العربية السعودية الشيخ عبد العزيز ابن باز ، على كلامه مؤيداً : "لا شك أن ما ذكره في جوابه من تفسير قوله تعالى : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)... هو الصواب ". و أوضح المفتي :" أن الكفر كفران أكبر وأصغر ، كما أن الظلم ظلمان أكبر وأصغر ، فمن استحل الحكم بغير ما أنزل الله أو الزنا أو الربا أو غيرهما من المحرمات المجمع على تحريمها فقد كفر كفراً أكبر ، ومن فعلها بدون استحلال كان كفره كفراً أصغر وظلمه ظلماً أصغر وهكذا فسقه".[٣٥٣]

وأصدرت اللجنة الدائمة للأبحاث والإفتاء فتوى برقم ٥٧٤١ حول موضوع تكفير من لم يحكم بما أنزل الله، وهل هو مسلم أو كافراً كفراً أكبر ولا تُقبل أعماله ؟ فقالت :" قال تعالى : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) لكن إن استحل ذلك واعتقده جائزاً فهو كافر كفراً أكبر يخرج عن الملة ، أما إن فعل ذلك من أجل الرشوة أو مقصد آخر وهو يعتقد تحريم ذلك فإنه آثم يعتبر كافراً كفراً أصغر لا يخرجه عن الملة كما أوضح أهل العلم في تفسير الآيات المذكورة".

وقال الشيخ ابن باز أيضا: من قال أنا أحكم بهذا وهو يعتقد أن الحكم بغير ما أنزل الله لا يجوز ، ويقول الحكم بالشريعة الإسلامية أفضل ، ولكنه متساهل أو يفعل هذا لأمر صادر من حكامه فهو كافر كفراً أصغر لا يخرج من الملة ، ويعتبر من أكبر الكبائر.

وسُئل : ما حكم سنّ القوانين الوضعية ؟ وهل يجوز العمل بها ؟ وهل يكفر الحاكم بسنّه لهذه القوانين ؟ فعلق الحكم بالتكفير على الاستحلال وقال: إذا سنّ قانوناً معناه لا حدّ على الزاني ، ولا حدّ على السارق ، ولا حدّ على شارب الخمر ، فهذا باطل ، وهذه القوانين باطلة ، وإذا استحلها الوالي كفر ، إذا قال إنها حلال ولا بأس بها ، فهذا يكون كفراً ، من استحلّ ما حرّم الله كفر.

---

[٣٥٣] – جريدة الشرق الأوسط عدد(٦١٥٦) بتاريخ ١٤١٦/٥/١٢ هـ

وقال في جواب آخر :الحكام بغير ما أنزل الله أقسام ، تختلف أحكامهم بحسب اعتقادهم وأعمالهم ، فمن حكم بغير ما أنزل الله يرى أن ذلك أحسن من شرع الله فهو كافر عند جميع المسلمين ، وهكذا من يُحكّم القوانين الوضعية بدلاً من شرع الله ويرى أن ذلك جائز ، ولو قال : إن تحكيم الشريعة أفضل فهو كافر ، لكونه استحل ما حرّم الله. أما من حكم بغير ما أنزل الله اتباعاً للهوى أو لرشوة أو لعداوة بينه وبين المحكوم عليه ، أو لأسباب أخرى ، وهو يعلم أنه عاص لله بذلك ، وأن الواجب عليه تحكيم شرع الله ، فهذا يعتبر من أهل المعاصي والكبائر ، ويعتبر قد أتى كفراً أصغر ، كما جاء هذا المعنى عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن طاووس وجماعة من السلف الصالح ، وهو المعروف عند أهل العلم ، والله ولي التوفيق.[٣٥٤]

وقال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين :" وليعلم أنه يجب على الإنسان أن يتقى ربه في جميع الأحكام فلا يتسرع في البت بها خصوصا في التكفير الذي صار بعض أهل الغيرة والعاطفة يطلقونه بدون تفكير ولا روية ، مع أن الإنسان إذا كفر شخصا ولم يكن الشخص أهلا له عاد ذلك إلى قائله. وتكفير الشخص يترتب عليه أحكام كثيرة فيكون مباح الدم والمال ويترتب عليه جميع أحكام الكفر ، وكذا يجب أن لا نجبن في تكفير من كفره الله ورسوله ولكن يجب أن نفرق بين المعين وغير المعين فالمعين يحتاج الحكم بتكفيره إلى أمرين:

١- ثبوت أن هذه الخصلة التي قام بها مما يقتضي الكفر.

٢- انطباق شروط التكفير عليه ، وأهمها العلم بأن هذا مكفر فإن كان جاهلا فإنه لا يكفر...ولابد مع توفر الشروط من عدم الموانع فلو قام الشخص بما يقتضي الكفر إكراها أو ذهولا لم يكفر".[٣٥٥]

---

[٣٥٤] - نقلا عن ساحات الحوار للشيخ د.عبدالله الفارسي

[٣٥٥] - بن عثيمين: القول المفيد:ج٣ ص ٢٦٨-٢٧١

وقال الشيخ ابن عثيمين : القول بالتكفير أو عدمه في مثل هذه الأمور يحصل فيه مفاسد والذي أرى أولاً أن لا يشتغل الشباب في هذه المسألة وهل الحاكم كافر أو غير كافر وهل يجوز أن نخرج عليه أو لا يجوز ، على الشباب أن يهتموا بعباداتهم التي أوجبها الله عليهم أو ندبهم إليها وأن يتركوا ما نهاهم الله عنه كراهة أو تحريما وان يحرصوا على التآلف بينهم والاتفاق وان يعلموا أن الخلاف في مسائل الدين والعلم قد جرا في عهد الصحابة رضي الله عنهم ولكنه لم يودي إلى الفرقة و إنما القلوب واحدة والمنهج واحد.

أما فيما يتعلق بالحكم بغير ما انزل الله فهو كما في الكتاب العزيز ينقسم إلى ثلاثة أقسام كفر وظلم و فسق على حسب الأسباب التي بني عليها هذا الحكم:

١- فإذا كان الرجل يحكم بغير ما انزل الله تبعا لهواه مع علمه بأن الحق فيما قضى الله به فهذا لا يكفر لكنه بين فاسق وظالم.

٢- و أما إذا كان يشرع حكما عاما تمشي عليه الأمة يرى أن ذلك من المصلحة وقد لبس عليه فيه فلا يكفر أيضا لأن كثيرا من الحكام عندهم جهل في علم الشريعة ويتصل بهم من لا يعرف الحكم الشرعي وهم يرونه عالما كبيرا فيحصل بذلك المخالف.

٣- وإذا كان يعلم الشرع ولكنه حكم بهذا أو شرع هذا وجعله دستورا يمشي الناس عليه يعتقد انه ظالما في ذلك وان الحق فيما جاء به الكتاب والسنة فأننا لا نستطيع أن نكفر هذا.وإنما نكفر من يرى أن حكم غير الله أولى أن يكون الناس عليه أو مثل حكم الله فإن هذا كافر.

وقد اتهم الشيخ ابن عثيمين الذين يكفرون الحكام المسلمين "من غير ضوابط أو شروط " بأنهم ورثة الخوارج الذين خرجوا على علي بن أبي طالب ، وقال: ان الكافر من كفّره الله و رسوله، و للتكفير شروط؛ منها العلم، و منها الإرادة ؛ أن نعلم بأن هذا الحاكم خالف الحق و هو يعلمه، و أراد المخالفة، و لم يكن متأولاً. المهم

هذا له شروط، و لا يجوز التسرع في التكفير ، كما لا يجوز التسرع في قولك :هذا حلال و هذا حرام.[٣٥٦]

وعلى رغم أن الشيخ صالح بن فوزان الفوزان ، ألف كتابا حول (التوحيد وحاكمية الله) ، وكفر فيه الحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله ويزيحون الشريعة ويجعلون مكانها القانون ، الا أنه رفض الحكم بكفر حكام الخليج أو حاكم بعينه ، وقال بوجود فرق بين الحكم العام وبين التعيين. واعتبر من يكفر الحكام بأعيانهم من أهل الهوى والفتنة.[٣٥٧]

وهكذا أغلق علماء المؤسسة الوهابية الجديدة بوابة التكفير ضد الحكام ، وهي البوابة الوحيدة المشروعة للثورة في الفكر السياسي الوهابي ، و ذلك بنفي تهمة الكفر الصريح عمن لا يلتزم بالشريعة الاسلامية ولا يحكم بما أنزل الله.[٣٥٨]

---

[٣٥٦] – فتوى الشيخ العثيمين صدرت في يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول عام ١٤٢٠هـ.

[٣٥٧] – الرابط الصوتي للفوزان:
http://mypage.ayna.com/omar_salafi/Fouzan01.rm

[٣٥٨] – ولكن هذا الموقف الرافض للتكفير لم ينسحب على طائفة الشيعة مثلا ، إذ استمر بعض كبار رجال الدين الوهابيين بتكفير الطائفة على العموم ، بأدلة واهية ، كما فعل الشيخ عبد العزيز بن باز ، الذ ي قال في ٢٢ / ١ / ١٤٠٩ هـ فتوى رقم ١٣٦ / ١ :"ان الشيعة فرق كثيرة وكل فرقة لديها أنواع من البدع وأخطرها فرقة الرافضة الخمينية الاثني عشرية لكثرة الدعاة إليها ولما فيها من الشرك الأكبر كالاستغاثة بأهل البيت واعتقاد أنهم يعلمون الغيب ولا سيما الأئمة الاثني عشر حسب زعمهم "

http://www.ibnbaz.org.sa/last_resault.asp?hID=1317

وكما فعل الشيخ عبد الله بن جبرين عندما استفتاه شخص عن حكم ذبح الشيعة ، بتاريخ ٢٢-٣-١٤١٢ فقال:" يوجد في بلدتنا شخص رافضي يعمل قصاب ويحضره أهل السنة كي يذبح ذبائحهم وكذلك هناك بعض المطاعم تتعامل مع هذا الشخص الرافضي وغيره من الرافضة الذين يعملون في

إغلاق نافذة الثورة

و إضافة الى ذلك و حتى لو ثبتت تهمة الكفر على الحكام الذين لا يعملون بما أنزل الله ، وهو ما كان يعتقده قطاع كبير من الوهابيين المتقين ، فقد قام رجال المؤسسة الدينية الوهابية بإغلاق أية نوافذ قد يتسرب منها الفكر الثوري ، وذلك

نفس المهنة . . . فما حكم التعامل مع هذا الرافضي وأمثاله ؟ وما حكم ذبحه ؟ وهل ذبيحته حلال أم حرام ؟ أفتونا مأجورين والله ولي التوفيق" . فأجابه بما يلي:"...فلا يحل ذبح الرافضي ولا أكل ذبيحته ، فإن الرافضة غالبا مشركون ، حيث يدعون علي بن أبي طالب دائما في الشدة والرخاء ، حتى في عرفات والطواف والسعي ، ويدعون أبناءه وأئمتهم كما سمعناهم مرارا ، وهذا شرك وردة عن الإسلام يستحقون القتل عليها ، كما يغلون في وصف علي رضي الله عنه ، ويصفونه بأوصاف لا تصلح إلا لله كما سمعناهم في عرفات ، وهم بذلك مرتدين ، حيث جعلوه ربا وخالقا ومتصرفا في الكون ويعلم الغيب ويملك الضر والنفع ونحو ذلك ، كما أنهم يطعنون في القرآن الكريم ويزعمون أن الصحابة حرفوه وحذفوا منه أشياء كثيرة تتعلق بأهل البيت وأعدائهم فلا يقتدون به ولا يرونه دليلا . كما أنهم يطعنون في أكابر الصحابة كالخلفاء الثلاثة وبقية العشرة وأمهات المؤمنين ومشاهير الصحابة كأنس وجابر وأبي هريرة ونحوهم ، فلا يقبلون أحاديثهم لأنهم كفار في زعمهم ، ولا يعملون بأحاديث الصحيحين إلا ما كان عن أهل البيت ، ويتعلقون باحاديث مكذوبة ، أو لا دليل فيها على ما يقولون ، ولكنهم مع ذلك ينافقون فيقولون بالسنتهم ماليس في قلوبهم ويخفون في انفسهم ما لا يبدون لك ، ويقولون من لا تقية له فلا دين له ، فلا تقبل دعواهم في الإخوة ومحبة الشرع... إلخ . . . فالنفاق عقيدة عندهم ، كفى الله شرهم وصلى على محمد وآله وصحبه وسلم .

http://www.khayma.com/rafidha/ematah.htm

برفض الثورة مطلقاً بحجة العجز عن التغيير أو الخوف من حدوث ضرر أكبر بسبب الثورة ، وقال المفتي السابق الشيخ عبد العزيز بن باز:

- " أما بعد، فقد قال الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خيراً وأحسن تأويلا) هذه الآية تنص على وجوب طاعة أولي الأمر وهم الأمراء والعلماء وقد جاءت السنة الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبين أن هذه الطاعة لازمة وهي فريضة في المعروف. النصوص من السنة تبين المعنى وتفيد الآية بأن المراد طاعتهم بالمعروف فيجب على المسلمين طاعة ولاة الأمر في المعروف لا في المعاصي، فإذا أمروا بالمعصية فلا يطاعون في المعصية، لكن لا يأتي الخروج عليهم بأسبابها لقوله صلى الله عليه وسلم : (من رأي من أميره شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعة فإن من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية) .وقال عليه الصلاة والسلام : (على المرء السمع والطاعة في ما أحب وكره، في اليسر والعسر، في المنشط والمكره، إلا أن يؤمر بمعصية الله فإن أمر بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة) . وسأله الصحابي :يا رسول الله (لما ذكر إنه يكون أمراء تعرفون منهم وتنكرون)، قالوا فما تأمرنا؟ قال:أدوا إليهم حقهم واسألوا الله الذي لكم .قال عبادة رضي الله عنه: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ألا ننازع الأمر أهله. قال: إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان. هذا يدل على أنهم لا يجوز لهم منازعة ولاة الأمور ولا الخروج عليهم إلا أن يروا كفراً بواحاً عندهم من الله فيه برهان وما ذاك إلا لأن الخروج على ولاة الأمور يسبب فساداً كبيراً وشراً عظيماً، فيختل به الأمن وتضيع الحقوق ولا يتيسر ردع الظالم ولا نصرة المظلوم، وتختل السبل ولا تؤمن فيترتب على الخروج على ولاة الأمور فساد عظيم وشر كبير، إلا إذا رأى المسلمون كفراً بواحاً عندهم من

الله فيه برهان فلا بأس أن يخرجوا على هذا السلطان لإزالته إذا كان عندهم قدرة، **أما إذا لم تكن عندهم قدرة فلا يخرجون، أو كان الخروج يسبب شراً أكثر فليس لهم الخروج رعاية للمصالح العامة، والقاعدة الشرعية المجمع عليها :أنه لا يجوز إزالة الشر بما هو أشر منه، بل يجب درء الشر بما يزيله أو يخففه، أما درء الشر بشر أكثر فلا يجوز بإجماع المسلمين**، فإذا كانت هذه الطائفة التي تريد إزالة هذا السلطان الذي فعل كفراً بواحاً ويكون عندها قدرة على أن تزيله وتضع إماماً صالحاً طيباً دون أن يترتب على ذلك فساد كبير على المسلمين وشر أعظم من شر هذا السلطان فلا بأس .أما إذا كان الخروج يترتب عليه فساد كبير واختلال الأمن وظلم الناس واغتيال من لا يستحق الاغتيال إلى غير هذا من الفساد العظيم، هذا لا يجوز، **بل يجب الصبر والسمع والطاعة في المعروف ومناصحة ولاة الأمور والدعوة لهم بالخير والاجتهاد في تخفيف الشر وتقليله وتكثير الخير**، هذا هو الطريق السوي الذي يجب أن يسلك لأن في ذلك مصالح المسلمين عامة، ولأن في ذلك تقليل الشر وتكثير الخير، ولأن في ذلك حفظ الأمن وسلامة المسلمين من شر أكثر، نسأل الله للجميع التوفيق والهداية.

وعلق على دعوة بعض الشباب الى تبني العنف في التغيير قائلا:

- هذا غلط من قائله، وقلة فهم لأنهم لم يفهموا السنة ولم يعرفوها كما ينبغي وإنما يحملهم الحماس والغيرة لإزالة المنكر على أن يقعوا في ما يخالف الشرع كما وقعت الخوارج والمعتزلة، حملهم حب نصرة الحق أو الغيرة للحق حملهم ذلك على أن يقعوا في الباطل حتى كفروا المسلمين بالمعاصي أو خلدوهم في النار بالمعاصي كما يفعل المعتزلة.

فالخوارج كفروا بالمعاصي وخلدوا العصاة في النار والمعتزلة وافقوهم في العاقبة وأنهم في النار مخلدون فيها، ولكن قالوا في منزلة بين المنزلتين وكله ضلال والذي عليه أهل السنة هو الحق، إن العاصي لا يكفر بمعصيته مالم يستحلها، فإذا زني لا

يكفر وإذا سرق لا يكفر وإذا شرب الخمر لا يكفر لكن يكون عاصياً ضعيف الإيمان فاسقاً تقام عليه الحدود. ولا يكفر بذلك إلا إذا استحل المعصية وقال إنها حلال وما قاله الخوارج في هذا باطل، تكفيرهم للناس باطل، ولهذا قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم: إنهم يمرقون من الإسلام ثم لا يعودون إليه يقاتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان. هذا حال الخوارج بسبب غلوهم وجهلهم وضلالهم فلا يليق بالشباب ولا غير الشباب أن يقلدوا الخوارج والمعتزلة، بل يجب أن يسيروا على مذهب أهل السنة والجماعة على مقتضى الأدلة الشرعية، فيقفون مع النصوص كما جاءت وليس لهم الخروج على السلطان من أجل معصية أو معاص وقعت منه، بل عليهم المناصحة والمكاتبة والمشافهة بالطرق الطيبة الحكيمة، بالجدال بالتي هي أحسن حتى ينجحوا وحتى يقل الشر ويخف ويكثر الخير .هكذا جاءت النصوص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والله عز وجل يقول : (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) فالجواب على الغيورين لله وعلى دعاة الهدى أن يلتزموا بحدود الشرع وأن يناصحوا من ولاهم الله الأمور بالكلام الطيب والحكمة والأسلوب الحسن حتى يكثر الخير ويقل الشر وحتى يكثر الدعاة إلى الله، وحتى ينشطوا في دعوتهم بالتي هي أحسن لا بالعنف والشدة، ويناصحوا من ولاهم الله الأمر بشتى الطرق الطيبة السليمة مع الدعاء للحاكم في ظهر الغيب، أن الله يهديه ويوفقه ويعينه على الخير وأن الله يعينه على ترك المعاصي التي يفعلها وعلى إقامة الحق .هكذا يدعو لله ويضرع إليه أن الله يهدي ولاة الأمور وأن يعينهم على الحق، ومع ذلك يعينهم على ترك الباطل وعلى إقامة الحق بالأسلوب الحسن بالتي هي أحسن .وهكذا مع إخوانه الغيورين ينصحهم ويعظهم ويذكرهم حتى ينشطوا في الدعوة بالتي هي أحسن لا بالعنف والشدة، وبهذا يكثر الخير ويقل الشر ويهدي الله ولاة الأمور للخير والاستقامة عليه وتكون العاقبة حميدة للجميع.

القمع الداخلي

و في هذا الإطار يقوم عدد من كبار رجال الدين الوهابيين الرسميين (وعلى رأس هؤلاء الشيخ محمد أمان بن علي الجامي ، أستاذ الشريعة في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ، و الشيخ ربيع بن هادي عمير المدخلي) بمراقبة الحركات و الأحزاب و المنظمات الوهابية التي تسعى للإصلاح و قد تخرج عن إطار المؤسسة الرسمية أو تمارس نشاطاً سياسياً مستقلاً او تقوم بتكفير الحكام الذين لا يعملون بالشريعة الإسلامية ، و محاربتها و تجريدها من هويتها "السلفية" أو "الوهابية" و يطلقون على أنصارها اسم "الخوارج" و"الغلاة" [٣٥٩]، وهي نفس التهم و الأوصاف التي كانت تواجهها الحركة الوهابية في بداية نشوئها من قبل خصومها أو من أجهزة الدولة العثمانية الدينية.

يقول الشيخ ربيع المدخلي في مقال له نشر في موقع (سحاب) على الإنترنت بتاريخ ١٧ رمضان ١٤٢٢هـ :"الفتن كثيرة .. ومن أشد هذه الفتن فتنة خوارج العصر حقاً، فلهذه الفتنة انتشار واسع ولها ضجيج إعلامي مزلزل ومرعب يعرض بكل قوة في شتى الوسائل ، كالكتب والرسائل وفي سائر وسائل الإعلام والتوجيه فعمّ شره و طمّ. وإغراء مادي قد يفوق النوع الأول يغري أخساء النفوس الذين يبيعون دينهم بدنياهم ويشترون الحياة الدنيا بالآخرة فزاد البلاء وعمّ .

---

٣٥٩ – ويطلقون عليهم أيضا اسم "القطبيين" نسبة الى سيد قطب ، وذلك لأنه قال في كتابه (في ظلال القرآن) ما يلي: إنه ليس على وجه الأرض اليوم دولة مسلمة، ولا مجتمع مسلم قاعدة التعامل فيه هي شريعة الله والفقه الإسلامي (ج ٤ ص ٢١٢) وقال: قد ارتدت البشرية إلى عبادة العباد وإلى جور الأديان، ونكصت عن لا إله إلا الله، وإن ظل فريق منها يردد على المآذن لا إله إلا الله دون أن يدرك مدلولها ودون أن يعني هذا المدلول وهو يرددها... وقال: البشرية بجملتها بما فيها أولئك الذين يرددون على المآذن في مشارق الأرض ومغاربها كلمات لا إله إلا الله بلا مدلول، ولا واقع، وهؤلاء أثقل إثماً وأشد عذاباً يوم القيامة، لأنهم ارتدوا إلى عبادة العباد من بعد ما تبين لهم الهدى، ومن بعد أن كانوا في دين الله (ج٢ ص ١٠٥٧).

هذه الفئة قد أرهقت الأمة بمشاكلها... وأغرقتهم في السياسة الباطلة بما فيها من أوهام وأحلام وتكهنات، فأساءوا أيما إساءة إلى الإسلام والمسلمين فأفسدوا خلاصة شباب الأمة و أذكياءها، فربوهم على بغض أهل السنة وتشويههم وتشويه منهج الله الحق الذي يدعوا إليه أهل السنة والتوحيد، ويربون عليه من استطاعوا تربيته من أبناء المسلمين.

تعلق هؤلاء القوم السياسيون بجانب من الإسلام، هو ما سموه بالحاكمية تعلقاً سياسياً فحرفوا من أجل ذلك أصل الإسلام كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) وفسروها بمعنى لا يعرفه الأنبياء ولا العلماء من الصحابة فمَن بعدهم فقالوا :إن معنى لا إله الا الله : لا حاكم إلا الله، والحاكمية أخص خصائص الألوهية، وشهد كبراؤهم أن الذي فسر لا إله إلا الله قد بين معنى لا إله إلا الله بياناً لا نظير له في هذا العصر، وصدقوا فلم يسبق الرجل إلى هذا المعنى أحد، لا الأنبياء ولا المصلحون ، ذلك المعنى الذي ضيع المعنى الحقيقي للا إله إلا الله وجاء فريق منهم لما لم يسلم العلماء حقاً بهذا التفسير فقالوا :إن التوحيد أربعة أقسام، رابعها توحيد الحاكمية. وهي لعبة سياسية من جملة ألاعيبهم وحيلهم على الأمة يريدون تخدير من استطاعوا من الشباب السلفي حتى إذا سلموا بهذا التقسيم واطمأنوا إليه جعلوا الحاكمية هي المعنى الأول والأخير للا إله إلا الله".

وينفي المدخلي إخراج العلماء لموضوع (الحاكمية) عن أنواع التوحيد، ويقول أنهم أدخلوها في توحيد الربوبية، وبعضهم في توحيد الألوهية.

ثم يقول رداً على كاتب إصلاحي سمى نفسه بـ: (الموحد) وألّف كتابا تحت عنوان: **(تنقيح المناهج من بدع الخوارج)** :" لقد أبرز هذا الكاتب حقيقة مذهب القطبية من تكفيره للأمة وعلى رأسهم سادة العلماء ابن باز وإخوانه. وكشف حقيقة ما يخفيه كل قطبي ماكر من تكفير الأمة والعلماء، ثم يسترون ذلك بتقيتهم المشابهة للتقية الباطنية، فيظهرون للناس أنهم لا يكفرون وأنهم يحاربون التكفير ومذهب الخوارج وأنهم هم أهل السنة والجماعة، فلو كانوا في حقيقتهم كما يظهرون لما تباكى

عليهم هذا الخارجي التكفيري المحترق، ولقد شهد عليهم بالخروج وبرر خروجهم بأنهم رأوا الكفر البواح الصراح، وأنهم دعاة حق وتوحيد وإيمان.

إن مذهب سيد قطب واضح وضوح الشمس في تكفير المجتمعات الإسلامية منذ قرونها الأولى، وأنه يكفر بالجزئية وبالمعاصي وبالعادة والتقاليد، والقوم يقدسونه ويقدسون كتبه ومنهجه وينشرونه بكل حماس ونشاط، ويربون عليه أتباعهم، وعليه يوالون وعليه يعادون، ومع ذلك كله يتظاهرون بعدم التكفير. وهم يركضون بمنهج سيد قطب الغالي في التكفير في مشارق الأرض ومغاربها، وما هذا الرجل التكفيري الصريح وأمثاله إلا ثمرة من ثمرات جهودهم القوية المتوصلة على وجه البسيطة.

...يتضح من حرب هذا الرجل وأمثاله على من يسمونهم بالجامية والمدخلية أنهم يقصدون السلفيين في كل أقطار الأرض وعلى رأسهم علماء المملكة العربية السعودية، وعلى رأس الجميع ابن باز والعثيمين والفوزان".

وهكذا صب كلُ ذلك التنظير الذي قام به كبار علماء المؤسسة الدينية الوهابية ، في مصلحة النظام الاستبدادي المطلق ، والابتعاد عن الشورى ، وأدى الى تضخيم دور الحاكم على حساب الشعب والحركة الوهابية والمؤسسة الدينية نفسها. [٣٦٠]

---

[٣٦٠] – يقول أحد الوهابيين الاصلاحيين في أحد مواقع الانترنت عن رجال المؤسسة الدينية: "في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم نشأ فكر مريض أطلق عليه الفكر المدخلي أو الجامي نسبة إلى مؤسسه ، أو جماعة المدينة نسبة إلى مكان نشأتهم . .. بقصد ضرب الصحوة الإسلامية والحركات الجهادية في كل العالم تحت مسمى السلفية والدين وأقوال العلماء الأوائل ... فكان من أفكارهم وسمومهم تعطيل الجهاد ولا جهاد اليوم فكلها رايات عمياء ولا إمام ، ولا أمر بالمعروف أو نهي عن المنكر إلا إذا أذن السلطان صاحب المنكر ، وفي طاعة الحاكم بأمر القانون طاعة لله وله بيعة في

الأعناق وإن تخلى عن شريعة الله واستبدل بالإيمان كفرا ، ولا نُصحَ إلا همسا وسرا ، ولا كفر إن نقض المرء إيمانه بناقض قولي او عملي إلا إذا استحل ذلك في قلبه ، وكل الناس عندهم على غير هدى السلف إلا هم ، وكل البشر جاهل ولا عالم إلا هم . وليس ثمة أحد أصابه هذا الفيروس إلا تجهم وجهه لأخوانه وساءت أخلاقه وغلظ قوله ، وانبطح للوالي وصار دابة تركب وبساطا يفترش . جردوا الدين من روحه ومضمونه وجعلوه طلاسم ومناسبات ففصلوا السياسة عن الدين وألغوا الأمر بالمعروف والجهاد والنصح للأمة وإحيائها بعد موات ، وعطلوا أحكام الله على من وجبت بحقه من الكفر والفسق والبدعة" .

الفصل السادس

المعارضة الوهابية والشورى

نظرا لطبيعة الحركة الوهابية الجماهيرية ، كان لا بد أن نتوقع حدوث تيارات عديدة فيها وعدم اقتصارها أو جمودها على تيار واحد ، هو تيار الولاء للسلطة. وحتى في داخل المؤسسة الدينية الرسمية لم يمكن استبعاد وجهات النظر المختلفة ، خاصة مع غياب الشورى في داخلها ، وإملاء النظام السياسي للمواقف المختلفة على التيار العام. ومن هنا كان من الطبيعي بروز حركات معارضة للنظام السعودي من داخل الحركة الوهابية ، في مقابل موقف المؤسسة الدينية الرسمية التابعة والمؤيدة والمساندة للنظام .

وقد اختلفت تلك المعارضة الى فرق وتيارات عديدة ، وانقسمت الى ثلاثة أقسام رئيسية:

١- المعارضة الإصلاحية (الموالية للنظام)

٢- المعارضة الخارجية (الرافضة للنظام)

٣- المعارضة الراديكالية (المكفرة للنظام الحاكم)

ويجمع بين هذه الأقسام الثلاثة عدم الاختلاف البنيوي عن الفكر السياسي الوهابي والانبثاق من داخل العقل السياسي للنظام ، وعدم تبني الشورى و الانتخاب أو المشاركة الشعبية في السلطة أو الدعوة الى تغيير النظام دستوريا أو تغيير العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، حيث اقتصرت معارضتها جميعا على نقد الحاكم (وربما الدعوة لإسقاطه) وتوجيه صفة الظلم أو الفسق أو الكفر اليه ، أو نقد بعض ممارساته المخالفة للشريعة الإسلامية و عقيدة التوحيد ، حسب الفهم الوهابي . ولكن من دون تقديم بديل جذري أو ملامسة لجذور الأزمة السياسية ، وهي طبيعة النظام الديكتاتورية و الاستبدادية المطلقة. وذلك لأن المعارضة الوهابية تحاول إصلاح النظام أو تغيير بعض مواقفه ، أو استبدال الحكام بآخرين، ولكنها ترفض إحداث تغييرات جذرية باتجاه إقامة الشورى وإعادة السلطة الى الأمة والقبول بالاحتكام الى صناديق الاقتراع.

١- المعارضة الإصلاحية الموالية

وربما كان أبرز نموذج لهذا النوع من المعارضة هو التيار الإصلاحي الذي ولد داخل المؤسسة الدينية الوهابية في التسعينات من القرن العشرين ، والذي عرف بتيار (مذكرة النصيحة) التي قدمها عدد من كبار رجال الدين الى الملك فهد عام ١٩٩٣ . وقد ابتدأ ذلك التيار نشاطه أثناء حرب الخليج الثانية ، احتجاجا على قرار الحكومة السعودية الاستعانة بالأمريكيين والأجانب (الكفار) في محاربة الرئيس العراقي صدام حسين عام ١٩٩١ ، واحتجاجا على مواقف كبار العلماء الذين أصدروا الفتوى التي تجيز وصول جنود غير مسلمين الى المملكة العربية السعودية خلال عمليات "عاصفة الصحراء".[٣٦١] حيث قام ذلك التيار بتوزيع الأشرطة والمناشير التي تندد بالوجود العسكري الأمريكي في المملكة العربية السعودية "مهد الإسلام" .

---

[٣٦١] - كان الشيخ ابن باز قد قال: "و أما ماحصل من الحكومة السعودية لأسباب الحوادث المترتبة على الظلم الصادر من رئيس دولة العراق لدولة الكويت ومن استعانتها بجملة من الجيوش التي حصلت من أناس متعددة من المسلمين وغيرهم لصد العدوان والدفاع عن البلاد فذلك جائز بل تحكمه الضرورة ، فهي معذورة في ذلك ومشكورة على مبادرتها". مجلة إقرأ ، العدد ٧٧٩ بتاريخ ١٩٩٠/٨/٢٣ و أنور عبد الله ، العلماء والعرش ٣٩٤

وقد انضم الى هذا التيار عدد من أعضاء هيئة كبار العلماء [٣٦٢]. وعندما انتهت الحرب سارع هذا التيار الى تقديم مذكرة الى الملك فهد وقع عليها أكثر من أربعمائة شخص يطالبون الملك فيها بالإسراع في عملية الإصلاح ، وتغيير القوانين الوضعية وتقوية الجيش السعودي.[٣٦٣] وقد شجعهم على ذلك إعلان الملك فهد عام ١٩٩٠ عن نيته للقيام بإصلاحات سياسية من بينها إنشاء مجلس للشورى. فقام الشيخ سليمان العودة والشيخ سفر الحوالي والشيخ عبد الله بن جبرين في صيف عام ١٩٩٢ بتنظيم لجنة للإصلاح والمشورة ، وكتابة مذكرة مفصلة بالمظالم وتسليمها الى الشيخ ابن باز ، ولكنها لم تجد ترحابا لديه ، حيث رأى فيها تجاوزا لدور كبار العلماء الذين يحتكرون النصيحة والمشورة للملك وخرقا لتقليد وهابي عريق بتوجيه النصيحة سريا للحكام .

وعلى أثر ذلك عقد مجلس هيئة كبار العلماء جلسة بتاريخ ١٤١١/١١/١٩هـ وأصدر بيانا جاء فيه:

- ان مجلس هيئة كبار العلماء يستنكر الطريقة التي سلكت في نشر وتوزيع ما كتب في ذلك ويحذر من مغبة تكرار مثل ذلك مستقبلا ، و يرى ان الطريقة التي استخدمت في نشر وتوزيع ذلك لا يخدم المصلحة ولا يحقق التعاون على البر والتقوى .. ان النصح لأئمة المسلمين يكمن في إرشادهم سراً بينهم وبين ناصحهم.[٣٦٤]

---

[٣٦٢] – أمثال: الشيخ عبد الله بن قعود ، والشيخ عبد الله بن جبرين ، والشيخ سليمان بن فهد العودة ، والشيخ سفر بن عبد الرحمن الحوالي ، والشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي ، والشيخ عبد الله المسعري ، رئيس ديوان المظالم سابقا.

[٣٦٣] – عبد الله ، أنور : العلماء والعرش ، ص ٣٩٧

[٣٦٤] – المصدر ، ص ٣٩٧

ورد هذا التيار على بيان هيئة كبار العلماء ، رافضا وصايتهم على عملية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أو الالتزام بالسرية ، ومؤكدا على قدرته على إيصال صوته الى ولي الأمر مباشرة وعدم الحاجة للمرور بهيئة كبار العلماء.[٣٦٥]

وقام هذا التيار الإصلاحي ، بعد إعلان الملك فهد عن الأنظمة الثلاثة، بتوجيه (مذكرة النصيحة) الشهيرة الى الملك ، والإعلان عن تأسيس (لجنة للدفاع عن الحقوق الشرعية) في أيار من عام ١٩٩٣ ، وتضمنت المذكرة أهم أفكار التيار الإصلاحية في المجالات الإدارية والسياسية والاقتصادية والعسكرية والقضائية والاجتماعية ، ولكنها خلت من الدعوة الى إسقاط النظام ، حيث حافظت على حركتها ضمن إطار الفكر السياسي الرسمي العام.[٣٦٦]

وقد استندت المذكرة الى الفقرة الثالثة والعشرين من النظام الأساسي الذي أقره الملك ، والتي تقول:" إن الدولة تحمي عقيدة الإسلام وتطبيق شريعته وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقوم بواجب الدعوة الى الله" لكي تطالب بتصحيح دور رجال الدين في الدولة السعودية من تبعيتهم للسلطة الى تبعية السلطة لهم " وأن يكون للعلماء والدعاة مكانة لا تعدلها مكانة ، وأن يكونوا في مقدمة أهل الحل والعقد والأمر والنهي ، واليهم ترجع الأمة حكاما ومحكومين لبيان الحكم الشرعي لسائر أمور دينهم ودنياهم".[٣٦٧] وانتقدت المذكرة واقع حال رجال الدين الذي يتمثل في:

١- ضعف دور العلماء في الحياة العامة ، وهامشية هذا الدور في قطاعات بالغة الأهمية في حياة الأمة مثل سن الأنظمة (أي القوانين بالمصطلح السعودي) والإعلام وأنشطة المرافق الثقافية والاقتصادية

---

[٣٦٥] - المصدر ، ص ٣٩٨

[٣٦٦] - المصدر ، ص ٣٩٩

[٣٦٧] - مذكرة النصيحة ، ص ١٠

حيث لا يطلب رأي العلماء الشرعي في كثير من الأعمال التي تقوم بها قطاعات الدولة ، ويندر أن يستشاروا في قرارات داخلية أو خارجية هامة تحتاج الى أحكام الشريعة وقواعد الإسلام التفصيلية .. وقد لا يستجاب لفتاواهم إذا تعارضت مع توجهات قائمة لهذه القطاعات والأجهزة ، بل قد لا يسمح بنشرها. وكل ذلك ينبئ وقد يؤدي الى فصل الدين عن واقع حياة الناس وعزله عن التأثير في أمر معاشهم وما قد يترتب على ذلك أثر خطير يهدم الأصل الذي إنما قامت الدولة له من الدعوة للإسلام وتطبيق أحكامه.

٢- عدم استقلالية العلماء وارتباطهم بمؤسسات ودوائر حكومية متعددة ، مما أدى الى تقييد العلماء في فتاواهم ، وابتعادهم عن واقع الحياة اليومي واعتبارهم جهة تابعة لا متبوعة ، مقودة لا قائدة.

٣- الحساسية المفرطة تجاه النصح والتوجيه والنقد الهادف البناء المقدم من العلماء والدعاة للمسؤولين في هذه الدولة وأجهزتها المختلفة ، مما أدى الى التضييق على الدعوة والدعاة وظهور أساليب لم تكن معروفة في سلف هذه الدولة من فصل الدعاة أو عزلهم أو منعهم من القيام بواجبهم في كثير من الأحيان.

٤- قصر وسائل الإعلام للموضوعات التي تذاع أو تكتب أو تبث من العلماء والدعاة على المواعظ العامة والقضايا الجزئية ، وإحكام الرقابة على كل ما يذاع أو ينشر بهذا الصدد.

٥- قصر رسالة المسجد ومواضيع خطب الجمع على الوعظ العام ، ومنعها من التعرض للقضايا العامة في واقع المسلمين وبيان الرأي

الشرعي. وكذلك تحجيم الندوات والمحاضرات العامة التي تعالج قضايا الساعة ، ومراقبة كل ما يقال أو ينشر فيها.[٣٦٨]

وبناء على ذلك فقد طالبت المذكرة بإصلاح أحوال العلماء وتعزيز دورهم وتمكينهم من القيام بواجبهم ، وذلك برفع كافة القيود والتعليمات التي تحد من نشاط الدعاة والسماح لهم بالتأليف والنشر والإفتاء والخطابة والمحاضرات وعقد الندوات والحلقات العلمية ، دون حاجة الى ترخيص أو إذن رسمي من وزارة الإعلام أو الأوقاف أو غيرها من أجهزة الدولة ، وأن يجعل القضاء الشرعي هي الجهة الوحيدة التي يناط بها النظر في أي مخالفة تنسب الى الدعاة والعلماء أو غيرهم. واقترحت المذكرة تعزيز دور هيئة كبار العلماء بتعيين ذوي الفضل والمشهورين بالقدرة والاجتهاد المقبولين من أفراد الأمة ، وذلك بناء على ترشيحهم من الجهات الشرعية كالقضاة وأعضاء الإفتاء والإرشاد ومجلس القضاء الأعلى وأساتذة الشريعة ، كما طالبت بعرض جميع الأنظمة(القوانين) والمعاهدات المراد سنها قبل إقرارها على هيئة كبار العلماء للتأكد من مطابقتها لقواعد الشريعة وأحكامها.[٣٦٩]

ويمكننا اعتبار طلب المذكرة هذا ، نوعا من المطالبة بولاية الفقهاء على الدولة السعودية. ومع ان المذكرة اقترحت ترشيح العلماء الى ما يشبه (المجلس التشريعي) الا انها لم تصل الى حد المطالبة بانتخاب ذلك المجلس من الأمة عبر الانتخاب العام ، وانما اقتصرت بالمطالبة بترشيحهم من ذوي الاختصاص وليس من قبل الحكومة.

وخلافا لما اعتاد عليه الفكر السياسي الوهابي الرسمي من الطاعة المطلقة للإمام ، انتقدت المذكرة مصادرة الحريات العامة ، وقالت:" شاع بين الناس

---

[٣٦٨] - مذكرة النصيحة ، ص ١٠- ١١

[٣٦٩] - المصدر ، ص ١٢-١٣

بأنه يجوز للدولة المنع و الإلزام بالمباح لما يسمى بالمصلحة العامة ، استنادا الى كون الشرع قد خيّر المكلف بين الفعل والترك. ولقد نجم عن هذا الظن الفاسد تحريم ما أحل الله ورسوله وإيجاب ما لم يوجب تعالى ، وإلزام الرعية بذلك وعقابهم على مخالفته دون قيد شرعي منضبط أو إذن من الشارع الإسلامي بذلك... وقد نهت الشريعة أن يلزم الإنسان نفسه عن فعل مباح حتى لو كان بقصد التعبد.. فكيف يحل للدولة أن تحرم بعض المباح عموما أو تعلق فعله على إذنها وترخيصها؟...فان الأصل أن المباح ليس للدولة تحريمه والمنع منه أو إيجابه ، أو قصر فعله على من حصل على ترخيص منها ، لأن الإباحة حكم من خالق العباد و ربهم تعالى ، ومتى ثبت بالدليل الشرعي إباحة الفعل فليس لمخلوق المنع أو الإلزام به على وجه الإطلاق وليس للدولة ذلك الا وفق الأحوال المبنية بالشرع".[٣٧٠]

واستنادا الى ذلك انتقدت المذكرة كثيرا من الأنظمة (القوانين) التي تقدم بها الملك فهد واعتبرتها منافية للحريات العامة أو مستوردة من القوانين الأجنبية الكافرة ، مثل قانون المواطنة السعودية الذي يتضمن" التفرقة والتمييز بين المسلمين وتسمية المسلم أجنبيا في مواد أنظمة لا تحصى باعتبار الموطن الإقليمي وعلى أساس المولد ، مخالفة بذلك أحكام دار الإسلام المعلومة من الدين".[٣٧١]

وأشادت المذكرة بتنويه (النظام الأساسي) الذي تقدم به الملك : باستقلال القضاء . وطالبت بترجمة ذلك الى الواقع و رفع المنع للمحاكم الشرعية من نظر الدعاوى المقامة على جهات حكومية الا بعد الإذن بذلك ، ومنع النظر في قضايا ترفع لدى المحاكم أو ديوان المظالم بحجة أنها من قضايا السيادة ،

---

[٣٧٠] - المصدر ، ص ٢٠ و ٢١ و ٢٣

[٣٧١] - المصدر ، ص ٢٥

كالدعاوى التي تقدم ضد أجهزة الجوازات والمباحث وغيرها. والتأخير الملحوظ في إنفاذ الأحكام القضائية الصادرة من ديوان المظالم ضد بعض أجهزة الدولة ووزاراتها ، وكذلك الصادرة من المحاكم بإعادة الحقوق لأهلها إذا ما تعلقت هذه الأحكام بأجهزة الدولة أو بعض كبار المتنفذين فيها.[٣٧٢] واقترحت ، في سبيل إصلاح واقع القضاء ، العمل من أجل رفع جميع القيود التي تحول دون تقديم كافة أنواع القضايا والدعاوى الى المحاكم الشرعية مباشرة دون وساطة أو اشتراط إحالة أي جهة كانت ، وسواء كانت الدعوى خاصة أو دعوى حسبة وسواء كان موضوع النزاع معروضا على أجهزة الحكومة او عدم ذلك. وحصر إصدار التعليمات الموجهة للقضاة بمجلس القضاء الأعلى فقط ، وتوجيه أجهزة الدولة من إمارات و وزارات بالالتزام بذلك. وأن تبسط هيمنة القضاء الشرعي على رجال الشرطة والأمن ونواب الهيئات ومن في حكمهم.[٣٧٣]

وتحت بند (واقع الكرامة والحقوق الإنسانية) انتقدت المذكرة قيام الأجهزة الأمنية بالتجسس والتصنت وتفتيش المنازل وفتح الرسائل والتعدي بالضرب والعدوان وتعذيب المتهمين ، ومعاقبة الذين يقومون بأداء واجباتهم الشرعية كالدعوة والنصيحة والتعبير المشروع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والمنع من تكوين الجمعيات الدعوية أو التأليف والخطابة الا بترخيص.[٣٧٤]

وانتقدت المذكرة غياب الجيش السعودي منذ توحيد البلاد ، عن أداء أي دور جهادي لنشر دعوة التوحيد ونصرة المظلومين من المسلمين ، وطالبت بإلغاء كافة الارتباطات والمعاهدات العسكرية المخلة بسيادة الدولة واستقلالها ،

---

[٣٧٢] - المصدر ، ص ٣٥

[٣٧٣] - المصدر ، ص ٣٦-٣٧ و ٤١

[٣٧٤] - المصدر ، ص ٤٧-٤٨

وعدم الاعتماد على أية قوة عسكرية خارجية مهما كانت في الدفاع عن البلاد وحماية أمنها.[٣٧٥]

وانتقدت المذكرة ما أسمته سياسة الفتور والتجاهل والخذلان والتشويه الإعلامي ، التي تتبعها المملكة في علاقاتها مع التوجهات الإسلامية ، دولاً وحركات وأفرادا ،[٣٧٦] وكذلك الحرص الشديد على عدم التعارض مع مصالح الأنظمة الغربية التي تقود العداء للإسلام ، ومجاراة الولايات المتحدة الأمريكية في غالب المواقف والعلاقات والقرارات مثل الاندفاع نحو عملية السلام مع اليهود. وطالبت بتبني سياسة الوحدة الإسلامية والعمل من أجلها ، ودعم قضايا المسلمين في جميع المحافل الدولية ، والتعامل بحكمة مع الدول والتكتلات والتوجهات المعادية للإسلام وعلى رأسها الأنظمة الغربية ، وتجنب أي نوع من الأحلاف أو أشكال التعاون التي تخدم الأهداف الاستعمارية وتؤثر على القرار السياسي للبلد.[٣٧٧]

ورغم كل تلك النقاط المثيرة التي طرحتها المذكرة ، الا انها ظلت في إطار (النصيحة) ولم تتقدم خطوة عملية الى الأمام لكي تضع آلية لتنفيذ مطالبها ، بطرح موضوع الشورى والانتخابات ، أو الضغط على الحكومة بالتظاهر والإضراب العام (ماعدا بعض المظاهرات المحدودة التي وقعت في بريدة) فضلا عن استخدام العنف أو الدعوة الى إسقاط النظام السياسي. فقد ظل الاصلاحيون يعارضون ويقترحون وينتقدون ضمن دائرة المسموح في الفكر السياسي الوهابي وفي إطار

---

[٣٧٥] – المصدر ، ص ٧٤ و ٧٧

[٣٧٦] – طبعا فيما عدا الحركات والدول الشيعية التي أصدر الشيخ ابن جبرين فتوى بتكفيرهم بصورة عامة.

[٣٧٧] – مذكرة النصيحة ، ص ٩١و٩٣

الولاء التام للنظام السعودي. وبالرغم من ذلك فقد اعتقل العودة والحوالي وتم تجميد عضوية ابن قعود والشعيبي من هيئة كبار العلماء ، وقيدت حركة الشيخ المسعري.

٢- المعارضة الخارجية الرافضة

والى جانب تلك المعارضة الموالية ، وأمام انغلاق باب الإصلاح ، وبعد تفاقم الانحراف السياسي ، كان لا بد ان تولد معارضة أكثر تطورا ، تمزق خيوط الولاء للنظام السعودي وتسحب اعترافها بشرعيته وتدعو وتعمل من أجل إسقاطه "نظرا لافتقاده الشروط الشرعية الدينية التي تؤهله للاستمرار في الحكم". ولعل أبرز من يمثل هذا النوع من المعارضة هي حركة جهيمان بن سيف العتيبي الذي قام باحتلال الحرم المكي عام ١٩٧٩ وأعلن فيه ظهور المهدي (محمد بن عبد الله القحطاني) .

وقد طرحت هذه الحركة التي انتقدت "انحراف النظام السعودي عن الإسلام" : مسألة البيعة . وقالت ببطلان بيعة آل سعود لافتقادهم الى شرط (القرشية) ، الوارد في بعض الأحاديث النبوية . ولكن تلك الحركة لم تصل في معارضتها للنظام السعودي الى حد اتهامه بالكفر الصريح ، فقد كان قائد هذه الحركة (جهيمان) يؤكد على إسلام الحكام ويقول:" ان آل سعود ليس لهم بيعة وان بيعتهم غير شرعية. ولا

يلزم من بطلانها تكفيرهم ، بل هم مسلمون بيعتهم باطلة شرعا بالأدلة والكتاب والسنة".[٣٧٨]

وأقصى ما كان جهيمان يقوله في حكام آل سعود هو تشبيههم بالمنافقين ، حيث يقول: " ما أشبه هؤلاء الحكام بالمنافقين فتراهم مع إظهار هم الإسلام يوالون الكفار والمشركين ، ولكن طائفة والت وصالحت اليهود وطائفة والت الشيوعية وصالحت النصارى و آوت المشركين من الشيعة و الروافض. فكل من هذه الدول الإسلامية له نصيب من إظهار الإسلام وله نصيب من موالاة الكفار . وربما اختلفوا في اتجاهاتهم وكلهم متفقون على محاربة الحق وأهله إذا خالف سياستهم وسياسة من يوالونهم من أعداء الإسلام".[٣٧٩]

ورغم اعتقاد جهيمان بانحراف حكام آل سعود ، الا انه اعتبرهم في البداية أئمة جور أو ظلمة لم يخرجوا من دائرة الإسلام . وأورد في رسالته (نصيحة الإخوان الى المسلمين والحكام) حديث (تسمع وتطع الأمير وان ضرب ظهرك وأخذ مالك...) واستدل به على وجوب الطاعة لهم على من يبايعهم ، ولكنه شكك في وقت لاحق في صحة هذا الحديث فتراجع عن ذلك الموقف في رسالة (الإمارة) ، ومع ذلك لم يتطرف لكي يحكم على آل سعود بالكفر والردة. " فهو لا يرى أنهم أظهروا كفرا بواحاً ، والحكومة عنده حكومة مسلمة. وعلى هذا أكثر أتباعه الى اليوم". [٣٨٠]

وبناء على ذلك لم يتخذ جهيمان موقفا عنيفا من المؤسسة الدينية وزعيمها الشيخ عبد العزيز بن باز ، وانما اكتفى بتوجيه النقد الى العلماء الذين باعوا أنفسهم

---

[٣٧٨] – العتيبي ، جهيمان : الحاكمية وتقديم الطاعة وكشف خداع الحاكم للعامة وطلاب العلم، ص ١١ نقلا عن : الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية ص ٢٥٩

[٣٧٩] – المصدر ، نقلا عن : الكواشف الجلية ٢٦٠

[٣٨٠] – النجدي ، أبو البراء عبد العزيز : الكواشف الجلية٢٥٨– ٢٦٠

للنظام الفاسد مقابل المال والمناصب والترقيات ، واعتبارهم موظفين إداريين وجزءا من أركان الدولة.[٣٨١]

وبما أن العتيبي كان سلفيا ويؤمن ببعض الأخبار التي تتحدث عن حتمية ظهور المهدي المنتظر بعد انحطاط السلطة السياسية وانتقالها الى الملكيات الاستبدادية ، فقد انعكس ذلك على خطته في العمل والتغيير ، فبحث بين أتباعه عمن يقوم بدور المهدي ، وأقنع واحداً منهم اسمه : (محمد بن عبد الله القحطاني) بأنه فعلا المهدي المنتظر الذي سوف يخرج – كما في الأحاديث – من الكعبة ويحكم بالعدل والقسط ، فالتجأ معه ومع ثلة من أصحابه الى الحرم المكي مطلع عام ١٤٠٠ للهجرة ، وأعلن ظهور ذلك المهدي (القحطاني) ودعا الناس الى بيعته .

ولم يتسنَّ للعتيبي والقحطاني تبيان تصورهما السياسي لطريقة حكم البلاد في المستقبل ، غير أنه لا يوجد في تراث الحركة ما يدل على إيمانهما بالشورى أو الانتخاب أو المشاركة الشعبية في السلطة . وربما كان أقصى ما يحلمان به هو استبدال حكام آل سعود بحكام أكثر ورعا وتقوى والتزاما بالدين. مما يعني عدم امتلاكهما لأي تصور سياسي يختلف بنيويا وجذريا عن النظام السعودي الوهابي القائم.

ورغم أن هذه الحركة احتلت الحرم المكي الشريف الا انها لم تستخدم العنف ولم تقتل أحدا ابتداء ، غير ان احتلالها للحرم كان كافيا لمهاجمة السلطات السعودية لها . ونظرا لأن الحركة كانت تنبثق من عمق الحركة الوهابية ومنطقة

---

[٣٨١] – يقول جهيمان عن الشيخ ابن باز:" انه ركن من أركان الدولة .. وهو الآن موظف إداري ويخدعونه بـ : (أبونا) و (شيخنا) وغير ذلك من اجراءات المنافقين. وانما يأخذون منه ومن علمه ما وافق أهواءهم ، فاذا خالفهم بالحق لم يتحرجوا في مخالفته ورد الحق ، وهو يعلم ذلك جيدا .. وأكبر ما جعلنا ننفر منه تعلقه بهذه الدولة الملبسة حتى رأينا أثر ذلك عليه عافاه الله مما هو فيه". من (رسالة الإمارة) لجهيمان العتيبي ، ص ٢٣ نقلا عن : الكواشف الجلية ٢٥١–٢٥٣

نجد فقد لاقت الحكومة السعودية صعوبة كبيرة في إقناع جنودها الذين ينتمي غالبيتهم الى تلك المنطقة ، بمهاجمتهم في الحرم وإخراجهم منه. ولذلك دعت رجال الدين لإصدار حكم شديد عليها وتأييد الحكومة ، فاجتمع المجلس الأعلى للإفتاء برئاسة الشيخ عبد العزيز بن باز و أصدر فتوى تؤيد آل سعود وتدين احتلال الحرم ، وعملية الخروج باعتبارها خروجا على دولة إسلامية شرعية قائمة وشقا لعصا المسلمين . و وقَّع على الفتوى ثلاثون عالما من كبار علماء السعودية.[٣٨٢]

وجاء في فتوى الشيخ ابن باز :"كيف يجوز له (لجهيمان العتيبي) الخروج على دولة قائمة قد اجتمعت على رجل واحد وأعطته البيعة الشرعية ، فيشق عصاها ويفرق جمعها؟ وقد قال عليه الصلاة والسلام فيما صح عنه: (من أتاكم وأمركم جميع يريد ان يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاضربوا عنقه كائنا من كان) خرجه مسلم. ولما بايع النبي (ص) أصحابه بايعهم (ان لا ينازعوا الأمر أهله ، الا ان تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان) وهذه الدولة بحمد الله لم يصدر منها ما يوجب الخروج عليها. ويُحتج في هذا المقام بحديث : (من رأى من أميره شيئا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يدا عن طاعة ، فان من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية) وبذلك تدخل هذه الطائفة تحت قوله عز وجل: (ومن أظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها ، أولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب أليم) ويُحتج بحديث: (من حمل علينا السلاح فليس منا) لتحريم الإخوان لأجل إطلاقهم النار على رجال الأمن الذين أرادوا حماية المسلمين من شرهم". [٣٨٣]

---

[٣٨٢] – الياسيني ، أيمن : الاسلام والعرش ٢٠١

[٣٨٣] – مجلة البحوث الاسلامية ، السعودية (العدد الاول من المجلد الثاني) بعنوان : (حادث المسجد الحرام وأمر المهدي المنتظر) والكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية ، ٢٥٥-٢٥٦

وقد أعطت فتوى الشيخ ابن باز وكبار العلماء الإذن للسلطات السعودية بالهجوم على الحرم واعتقال وقتل المعتصمين فيه ، والقضاء على جهيمان وصاحبه : (المهدي القحطاني) ولكنها لم تستطع القضاء على أتباع الحركة المنتشرين في أعماق الحركة الوهابية ، الذين يعرفون اليوم بـ : (حزب القرآن) والذين يرفضون الاعتراف بشرعية الدولة السعودية. وربما تطور بعضهم بعد القضاء على حركة الحرم وقتل قياداتهم ، الى القول بالتكفير، كما ينقل عن العتيبي نفسه الذي يقال إنه عبر عن سوء تقديره للنظام السعودي الذي كان يحسبه ظالما وجائرا فقط ولكنه أيقن بعد اقتحام الحرم: "أنه كافر" .

" **السرورية** "

وهناك جماعة يطلق عليها "السرورية" نسبة الى (محمد بن سرور زين العابدين)[٣٨٤] وهم كما يقول الشيخ أحمد بن يحيى النجمي في كتابه: (الفتاوى الجلية عن المناهج الدعوية) :"قوم أو حزب عندهم شيء من السنة وشيء من البدعة ، يقدحون في الولاة ويتكلمون فيهم بما ينتج عنه شر وفتنة وخطورة ، والظاهر أنهم يكفرون الولاة ، لكن هذا إنما هو مأخوذ من لسان حالهم ولم يؤخذ من لسان مقالهم.. وقد تناولوا علماء هذا البلد بالسب والشتم المقذع واتهامهم بالخيانة للدين ، ويزعمون أن العلماء في هذا البلد لا يفقهون الواقع. وهذا أمر يدل على ما وراءه. وهم يدعون الى الجهاد وليس مرادهم جهاد الكفار ، ولكن الظاهر أن مرادهم ضد الدولة".

---

[٣٨٤] – شيخ سوري معارض كان يدرس في جامعة الامام محمد بن سعود في السعودية ، واستقر في لندن بعد حرب الخليج الثانية.

وينقل عن هذه الحركة دعوتها الى ولاية الفقهاء للدولة ، استنادا الى دور الشيخ محمد بن عبد الوهاب مع الأمير محمد بن سعود وابنه عبد العزيز ، حيث كان يقوم بدور القيادة والإشراف والتوجيه. [٣٨٥]

---

[٣٨٥] – يعتقد الشيخ محمد سرور زين العابدين :أن الأمير محمد بن سعود هو الذي بايع الشيخ محمد بن عبد الوهاب وليس العكس، وأن ذلك يعني : أن الشيخ أصبح إمام هذه البلدة وصاحب القرار الأول فيها . وذلك بناء على رواية المؤرخين الوهابيين ابن غنام وابن بشر ، التي تقول: إن محمداً بسط يده وبايع الشيخ على دين الله ورسوله، والجهاد في سبيل الله، وإقامة شرائع الإسلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقام الشيخ ودخل معه البلد، واستقر عنده . وأن الشيخ كان مع محمد بن سعود يسيران الجيوش، ويستقبلان الوفود ، وأن الأخماس والزكاة وما يُجبى إلى الدرعية من دقيق الأشياء وجليلها كلها ، كانت تدفع إلى الشيخ بيده ، ويضعها حيث شاء ، ولا يأخذ عبد العزيز ولا غيره من ذلك شيئاً إلا عن أمره ،وأن الحل والعقد والأخذ والعطاء ، والتقديم والتأخير، كان بيده ، ولا يركب جيش، ولا يصدر رأي من محمد وابنه عبد العزيز إلا عن قوله ورأيه . وأن الشيخ فوّض بعد فتح الرياض أمور المسلمين وبيت المال الى عبد العزيز بن محمد بن سعود ، وانسلخ منها ، وانصرف للعبادة وتعليم العلم ، ومع ذلك فان عبد العزيز لم يكن يقطع أمراً دونه، ولا ينفذه إلا بإذنه ، مما يدل على أن محمد بن عبد الوهاب كان هو رأس ذلك النظام المحكم لعقده . ولذا فان هناك من يقول:إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أخطأ عندما قبل أن يكون الحكم وراثياً في آل سعود الذين استغلوا هذه الدعوة وأفرغوها من مضمونها الإصلاحي. وبناء على ذلك يطالب بعودة الأمور في الدولة الوهابية ، الى أيدي العلماء ورجال الدين كما كانت في العهد الأول.

٣ – المعارضة الثورية المسلحة (تنظيم القاعدة)

وقد انبثقت هذه المعارضة (الثورية) من صفوف المعارضة الموالية ، بعد فشل الحوار مع النظام وعجزها عن تحقيق أهدافها بالطرق السلمية ، فتطورت نحو التكفير والخروج المسلح ، وانتشرت بشكل رئيسي في صفوف القواعد الشعبية الوهابية وخاصة "الأفغان السعوديين" الذين شاركوا في حرب تحرير أفغانستان من الاحتلال السوفيتي وكان يبلغ عددهم حوالي خمسة عشر ألفا ، والذين عادوا الى بلادهم ليجدوا الاحتلال الأمريكي قد جثم على بلاد الحرمين منذ حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١

وربما كانت الرسالة المفتوحة التي بعث بها أسامة بن لادن الى عامة المسلمين وأبناء جزيرة العرب بالخصوص ، عام ١٩٩٧ تشرح حالة الإحباط التي كان يشعر بها ذلك الفريق من المعارضة الوهابية ، بعد وصول طريق الإصلاح السلمي الى طريق مسدود ، والتي شكلت المنطلق للحركة ، والتي يقول فيها:

– "بذلت كل فئة جهدها للتحرك السريع لتدارك الموقف، وتلافي الخطر، فنصحوا سراً وجهراً، ونثراً وشعراً، زرافات ووحدانا، وأرسلوا العرائض تتلوها العرائض، والمذكرات تتبعها المذكرات، وما تركوا سبيلاً إلا ولجوه ولا رجلاً مؤثراً إلا وأدخلوه معهم في تحركهم الإصلاحي، وقد كانوا متوخين في كتاباتهم أسلوب الرفق واللين بالحكمة والموعظة الحسنة داعين إلى الإصلاح والتوبة من المنكرات العظام والمفاسد الجسام التي شمل فيها التجاوز مُحْكَمَات الدين القطعية وحقوق المواطنين الشرعية . ولكن -للأسف الشديد -لم يجدوا من النظام إلا الصدود والإعراض، بل والسخرية والاستهزاء، ولم يقف الأمر عند حد تسفيههم فقط، بل تعززت المخالفات السابقة بمنكرات لاحقة أكبر وأكثر.. فلم يعد السكوت مستساغاً، ولا التغاضي مقبولا ...ولما بلغ التجاوز ما

بلغ، وتعدى حدود الكبائر والموبقات إلى نواقض الإسلام الجليات، قامت مجموعة من العلماء والدعاة الذين ضاقت صدورهم ذرعاً بما أصم آذانهم من أصوات الضلال، وغشي أبصارهم من حجب الظلم، وأزكم أنوفهم من رائحة الفساد ...فانبعثت نذر الرفض ، وارتفعت أصوات الإصلاح داعية لتدارك الموقف، وتلافي الوضع، وانضم إليهم في ذلك المئات من المثقفين، والوجهاء، والتجار، والمسؤولين السابقين، فرفعوا إلى الملك العرائض والمذكرات المتضمنة المطالبة بالإصلاح ، غير أنه تجاهل النصح، واستهزأ بالناصحين، وظلت الأوضاع تزداد سوءاً على سوء .

وحينئذٍ أعاد هؤلاء الناصحون الكرة من جديد بمذكرات وعرائض أخرى كان من أهمها مذكرة النصيحة التي سُلِمَتْ للملك في محرم ١٤١٣ هـ والتي شَخَّصت الداء ووصفت الدواء، في تأصيل شرعي قويم، وعرض علمي سليم، فتناولت بذلك الفجوات الكبرى في فلسفة النظام، ومواضع الخلل الرئيسية في دعائم الحكم، فبينت ما يعانيه رموز المجتمع وقياداته الداعية للإصلاح - كالعلماء والدعاة وشيوخ القبائل والتجار والوجهاء وأساتذة الجامعات -من تهميشٍ وتحييد، بل ومن ملاحقة وتضييق .

و أوضحت حالة الأنظمة واللوائح في البلاد، وما تضمنته من مخالفات شملت التحريم والتحليل تشريعاً من دون الله ... و بينت المذكرة تعطيل العديد من الأحكام الشرعية واستبدالها بالقوانين الوضعية.. .وعلى صعيد سياسة الدولة الخارجية كشفت المذكرة ما تميزت به هذه السياسة من خذلان وتجاهل قضايا المسلمين، بل ومن مناصرة ومؤازرة الأعداء ضدهم وليست (غزة - أريحا) والشيوعيون في جنوب اليمن عنا ببعيد، وغيرهما كثير . ولا يخفى على أحد أن تحكيم القوانين الوضعية، ومناصرة الكافر على المسلم معدودة في نواقض الإسلام العشرة.

ومع أن المذكرة عرضت كل ذلك بلين عبارة، ولطف إشارة، مذكرة بالله، واعظة بالحسنى، في أسلوب رقيق ومضمون صادق ورغم أهمية النصيحة في الإسلام،

وضرورتها لمن تولى أمر الناس، ورغم عدد ومكانة الموقعين على هذه المذكرة، والمتعاطفين معها، فإن ذلك لم يشفع لها، إذ قوبل مضمونها بالصد والرد، ومُوقْعُوها والمتعاطفون معها بالتسفيه والعقاب والسجن" .

وهكذا ينتقل ابن لادن الى مرحلة جديدة هي سحب الشرعية الدينية من النظام السعودي ومقاربة القول بتكفيره ، في خطوة من أجل تبرير الخروج عليه والتحرر من بيعته والولاء له ، إذ يقول:

– " إن النظام قد مزق شرعيته بيده بأعمال كثيرة أهمها :

١– تعطيله لأحكام الشريعة الإسلامية، واستبدالها بالقوانين الوضعية. .. حتى وصل إلى الظلم العظيم وهو الشرك بالله ومشاركة الله في تشريعه للناس، وإباحة ما حرم الله كالربا وغيره حتى في البلد الحرام عند المسجد الحرام.

٢– عجزه عن حماية البلاد وإباحتها السنين الطوال لأعداء الأمة من القوات الصليبية الأمريكية".

ويقول:" في الوقت الذي لم تسترجع الأمة بعد قبلتها الأولى، ومسرى نبيها عليه الصلاة والسلام .. إذ بالنظام السعودي يفجع الأمة بما تبقى لها من مقدسات: مكة المكرمة والمسجد النبوي بأن جلب نساء جيوش النصارى للدفاع عنه، وأباح بلاد الحرمين للصليبيين ، وفتحها بطولها وعرضها لهم، فامتلأت بقواعد جيوش أمريكا وحلفائها، وقد خالف بإباحته الجزيرة العربية للصليبيين الوصية التي أوصى بها رسول الله أمته وهو على فراش الموت حيث قال: (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب) ؛ لأنه أصبح عاجزاً أن يقف بدون مساعدتهم، فخان بذلك الأمة، ووالى الكفّار وناصرهم وظاهرهم على المسلمين، ولا يخفى أن ذلك معدود في نواقض الإسلام العشرة.

"وكان أن أُصيبَ المسلمون بمصيبة من أعظم المصائب التي أُصيبوا بها منذ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ألا وهي احتلال بلاد الحرمين ، عقر دار الإسلام، ومهبط الوحي، ومنبع الرسالة، وبها الكعبة المشرفة قبلة المسلمين أجمعين ، وذلك من قبل جيوش النصارى من الأمريكيين وحلفائهم".

ورفض أسامة بن لادن دعوى الحكومة السعودية بأن القوات الأمريكية هي لحماية أرض الحرمين ، وبأنها مسألة مؤقتة للدفاع عنها . واستشهد بقول وزير الدفاع الأمريكي وليام بيري للجنود الأمريكيين بعد انفجار الخبر ، بأن وجودهم في بلاد الحرمين إنما هو لحماية المصالح الأمريكية. وأكد ابن لادن: بأن تواجد الأمريكيين في الجزيرة العربية هو احتلالٌ عسكريّ مخططٌ له من قبل ، وإن هذا الادعاء هو خدعة أخرى يريد النظام أن تنطلي على المسلمين ، ليذهب ما تبقى لنا من مقدسات، فَكَذَب على العلماء الذين أفتوا بدخول الأمريكان، وكذلك على الجمع العظيم من علماء وقيادات العالم الإسلامي في مؤتمر الرابطة في مكة المكرمة بعد أن استنكر العالم الإسلامي دخول القوات الصليبية بلاد الحرمين بحجة الدفاع عنها، حيث قال لهم: إن الأمر يسير، وأن القوات الأمريكية وقوات التحالف سوف تخرج بعد بضعة أشهر. وها نحن اليوم ندخل في السنة السابعة بعد مجيئهم، والنظام عاجز عن إخراجهم، ولا يريد أن يعترف لشعبه بعجزه، فاستمر يكذب على الناس، ويدعي أن الأمريكيين سيخرجون.

وبعد أن استعرض ابن لادن هاتين المسألتين اللتين اعتبرهما ناقضين من نواقض الإسلام العشرة ، أشار الى حرص الدعاة والمصلحين على سلوك سبل الإصلاح السلمية حرصاً على وحدة البلاد، وحقناً لدماء العباد . وتساءل: "لماذا

يوصد النظام جميع سبل الإصلاح السلمية ويدفع الناس دفعاً نحو العمل المسلح؟!! وهو الباب الوحيد الذي بقي أمام الناس لرفع الظلم وإقامة الحق والعدل".[٣٨٦]

ورغم أن ابن لادن كاد أن يفتي بكفر الحكام السعوديين ، لنقضهم بعض شروط الإيمان العشرة ، وأن يفتح باب الهجرة والجهاد ضدهم ، الا أنه اتخذ قرارا مهما في تجنب الاقتتال الداخلي ، وعدم توجيه أسلحته الى النظام السعودي مباشرة "وذلك لما له من نتائج وخيمة، من أهمها:

١- استنزاف الطاقات البشرية حيث إن معظم الإصابات والضحايا ستكون من أبناء الشعب المسلم.
٢- استنزاف الطاقات المالية .
٣- تدمير البنية التحتية للدولة .
٤- تفكك المجتمع .
٥- تدمير الصناعات النفطية حيث إن تواجد القوات العسكرية الصليبية والأمريكية في دول الخليج الإسلامي براً وجواً وبحراً هو الخطر الأعظم والضرر الأضخم الذي يهدد أكبر احتياطي بترولي في العالم،

---

[٣٨٦] - ثم انتقل الى الحديث عن حركته الاصلاحية وتواجده في أفغانستان من أجل العمل على رفع الظلم الذي وقع على الأمة من التحالف اليهودي الصليبي، الذي استباح بلاد الحرمين . والتذاكر لبحث سبل الإصلاح لما حل بالعالم الإسلامي عامة، وببلاد الحرمين خاصة، وتدارس السبل التي يمكن بسلوكها إعادة الأمور إلى نصابها، والحقوق إلى أصحابها. وخاصة بعد أن أصاب الناس ما أصابهم من خطب عظيم... وبات الوضع في بلاد الحرمين أشبه ببركان هائل يكاد أن ينفجر فيقضي على الكفر والفساد .

وإن انتشار القتال في تلك الأماكن يعرض البترول لمخاطر الاحتراق مما يؤدي للإضرار بالمصالح الاقتصادية لدول الخليج ولبلاد الحرمين بل وأضرار جسيمة للاقتصاد العالمي .

٦- تقسيم بلاد الحرمين واستيلاء إسرائيل على الجزء الشمالي منها، حيث إن تقسيم بلاد الحرمين يعتبر مطلباً ملحاً للتحالف اليهودي الصليبي؛ لأن وجود دولة بهذا الحجم وهذه الطاقات تحت حكم إسلامي صحيح قادم بإذن الله يمثل خطورة على الكيان اليهودي في فلسطين، حيث إن بلاد الحرمين تمثل رمزاً لوحدة العالم الإسلامي نظراً لوجود الكعبة المشرفة قبلة المسلمين أجمعين.

٧- إن أي قتال داخلي مهما تكن مبرراته مع وجود قوات الاحتلال الأمريكي يشكل خطأ كبيراً حيث إن هذه القوات ستعمل على حسم المعركة لصالح الكفر العالمي" .

وانطلاقا من هذه النقاط السبع رفض ابن لادن فتح معركة مباشرة مع النظام السعودي الذي جرده من الشرعية ولكن لم يعلن كفره و ارتداده بصراحة ، وانما تجاوزه وأخذ يعمل وكأن النظام غير موجود ، فأعلن الجهاد في سبيل الله وحرب العصابات ، لإخراج العدو المحتل من بلاد الحرمين وتحرير المقدسات المحتلة " وذلك بواسطة قوات خفيفة سريعة الحركة، تعمل في سرية تامة، وبعبارة أخرى شن حرب عصابات يشارك فيها أبناء الشعب من غير القوات المسلحة". ووجه خطابا للقوات المسلحة السعودية بالتعاون معه ، ولكن ليس بالانضمام الكامل اليه الآن "نظرا لعدم التوازن بين قواتنا النظامية المسلحة وقوات العدو . وتعلمون أنه من الحكمة في هذه المرحلة تجنيب قوات الجيش المسلحة الدخول في قتال تقليدي مع قوات العدو الصليبي، ويستثنى من ذلك العمليات القوية الجريئة التي يقوم بها أفراد من القوات المسلحة بصورة فردية، أي بدون تحريك قوات نظامية بتشكيلاتها التقليدية،

بحيث لا تنعكس ردود الأفعال بشكل قوي على الجيش ما لم تكن هناك مصلحة كبيرة راجحة، ونكاية عظيمة فادحة في العدو، تحطم أركانه وتزلزل بنيانه ، وتعين على إخراجه مهزوماً مدحوراً مقهوراً، مع الحذر الشديد من أن تُسْفَكَ في ذلك دماء مسلمة.

والذي يرجوه إخوانكم وأبناؤكم المجاهدون منكم في هذه المرحلة هو تقديم كل عون ممكن من المعلومات والمواد والأسلحة اللازمة لعملهم، ويرجون من رجال الأمن خاصة التستر عليهم، وتخذيل العدو عنهم، والإرجاف في صفوفه، وكل ما من شأنه إعانة المجاهدين على العدو المحتل" . وقال أسامة بن لادن أيضا:"في الوقت الذي نعلم أن النظام يتحمل المسؤولية كاملة في ما أصاب البلاد وأرهق العباد، إلا أن أساس الداء و رأس البلاء هو العدو الأمريكي المحتل ، فينبغي تركيز الجهود على قتله وقتاله وتدميره ودحره والتربص به والترصد له حتى يُهْزَمَ بإذن الله تعالى .ولذا اتفق الجميع على أنه "لا يستقيم الظل والعود أعوج" فلا بد من التركيز على ضرب العدو الرئيسي الذي أدخل الأمة في دوامات ومتاهات منذ بضعة عقود بعد أن قسمها إلى دول ودويلات، وكلما برزت حركة إصلاحية في الدول الإسلامية دفع هذا التحالف اليهودي الصليبي وكلاءه في المنطقة من الحكام لاستنزاف وإجهاض هذه الحركة الإصلاحية بطرق شتى وبما يتناسب معها. والصواب في مثل هذه الحالة التي نعيشها هو تكاتف جميع أهل الإسلام للعمل على دفع الكفر الأكبر الذي يسيطر على بلاد العالم الإسلامي ، ولا يخفى أن دفع هذا العدو الأمريكي المحتل هو أوجب الواجبات بعد الإيمان، فلا يُقَدَمُ عليه شيء.

والذي ينبغي في مثل هذه الحالة أن يبذل الجميع قصارى الجهد في تحريض وتعبئة الأمة ضد العدو الصائل والكفر الأكبر المخيم على البلاد والذي يفسد الدين والدنيا، ألا وهو التحالف الإسرائيلي الأمريكي المحتل لبلاد الحرمين ومسرى النبي عليه الصلاة والسلام".

وبما أن ابن لادن قد أسقط شرعية الدولة السعودية و إسلاميتها ، فقد أعلن أنه أصبح في حل من جميع التزاماتها وعهودها ، وخاطب الأمريكيين قائلا:" إن الشباب يعتبرونكم مسؤولين عن كل ما يقوم به إخوانكم اليهود في فلسطين ولبنان من قتلٍ وتشريدٍ وانتهاكٍ لحرمات المسلمين ... فأنتم تتحملون بذلك مع النظام السعودي دماء هؤلاء الأبرياء ، كل ذلك يجعل كل عهد لكم معنا منقوضاً. وإن إرهابنا لكم وأنتم تحملون السلاح على أرضنا هو أمرٌ واجبٌ شرعاً ومطلوبٌ عقلاً، وهو حقٌ مشروعٌ في أعراف جميع البشر، بل والكائنات الحية، ومثلكم ومثلنا كمثل أفعى دخلت دار رجلٍ فقتلها، وإن الجبان من يترككم تمشون على أرضه بسلاحكم آمنين مطمئنين. " وقال:"إن الذين يزعمون أن دماء جنود هذا العدو الأمريكي المحتل لبلاد المسلمين معصومة، إنما يرددون مُكرهين ما يمليه النظام عليهم خوفاً من بطشه وطمعاً في السلامة، والواجب على كل قبيلة في جزيرة العرب أن تجاهد في سبيل الله وتطهر أرضها من هؤلاء المحتلين، وعَلِمَ اللهُ أن دماءهم مهدورة وأموالهم غنيمة، ومن قتل قتيلاً فله سَلَبُه" [٣٨٧] .

وأشار ابن لادن في تلك الرسالة الشهيرة الى قيام الشباب المجاهد بتنفيذ عمليتي الخبر والرياض ضد القوات الأمريكية المتواجدة في السعودية. ثم قام في العام التالي بتأسيس (الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والصليبيين) واصدر فتوى تنص على وجوب قتل كل مسلم للأمريكيين وحلفائهم. وبارك عملية الهجوم على السفارتين الأمريكيتين في نيروبي ودار السلام عام ١٩٩٨ ، ثم أيد وبارك عملية الهجوم الكبرى على وزارة الدفاع الأمريكية في واشنطن ومبنى التجارة العالمية في نيويورك في ١١ أيلول عام ٢٠٠١م

---

٣٨٧ – تجد نص الرسالة كاملا على العنوان التالي في شبكة المعلوماتية http://www.aloswa.org/bayanat/afgan/laden2.html

وعندما اتهمت أمريكا ابن لادن بالوقوف وراء الهجمات وشنت حربا على (منظمة القاعدة) وحكومة طالبان الأفغانية التي آوته ، تبرأت السعودية من ابن لادن واتخذت موقفا مؤيدا للحرب ضد القاعدة وحركة طالبان ، وهذا ما دفع عددا من أئمة المساجد والمشايخ المؤيدين للحركة ، بانتقاد موقف السعودية والدعوة الى اتخاذ موقف مناصر لأفغانستان وطالبان ، وحتى الى الجهاد والقتال في مواجهة الهجوم الأمريكي ، و أصدر الزعيم الروحي للحركة المعارضة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي بيانا طالب فيه الدول والشعوب الإسلامية بنصرة دولة طالبان ضد الغرب الكافر ، ثم أصدر فتوى بإعلان "الجهاد" ضد الولايات المتحدة وحلفائها في المنطقة ، وقال : "مهمتنا ان نعلن الجهاد ضد من يحارب أفغانستان". مما اعتبر تهديدا للنظام السعودي ومحاولة للخروج على سياسته الموالية لأمريكا وتأييدا لموقف ابن لادن . ثم أصدر فتوى أخرى تنص على تكفير كل من ظاهر الكفار أو أعانهم على المسلمين [٣٨٨]. فرد عليه وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية السعودي ، بأن أولي الأمر وحدهم المخوَّلون بإعلان الفتاوى والجهاد ، وشدد على وجوب السمع والطاعة [٣٨٩]. و رد الشعيبي على الوزير بأنه علَّم معظم الجيل الحالي من رجال الدين في المملكة و أن من حقه إصدار فتاوى.[٣٩٠]

---

[٣٨٨] – وقد أصدر عدد من رجال الدين الآخرين من أتباع الشعيبي مثل سليمان علوان وعلي خضير وبشر بن فهد آل بشر ، وسلمان العودة ، وناصر العمر ، وحامد العلي ، فتاوى تندد بالدعم المقدم للأمريكيين ، وتكفر من يناصر الكفار ضد المسلمين (الأفغان) .وقد حذر وزير الداخلية الأمير نايف بن عبد العزيز بتاريخ ٢٠٠١/١٠/١٨ من عملية التكفير الموجهة ضد الحكومة والعلماء وقال:"نحن أهل الاسلام نحن الذين نطبق شرع الله فكيف يتجرأ أناس مثل هؤلاء ويكفرون أبناء البلد ، قيادة وعلماء ورجالا ونساء؟ كيف نقبل هذا؟".

[٣٨٩] – في حوار مع جريدة الرياض بتاريخ ٢٠٠١/١١/٨ وقد أيده في ذلك بعض مشايخ الدولة مثل الشيخ صالح اللحيدان ، رئيس مجلس القضاء الأعلى ، والسدلان ، اللذين أدانا عملية الهجوم

ومع أن الشعيبي لم يصرح بتكفير حكام السعودية ولم يدع الى إسقاطهم ، الا ان موقفه المؤيد لحركة طالبان والقاعدة وفتاواه بنصرتهم وحرمة تأييد أمريكا في عدوانها على أفغانستان ، شكلت علامة على انهيار التحالف التاريخي الذي امتد ٢٥٠ عاما بين البيت السعودي واتباع المذهب الوهابي ، نظرا لأن الشعيبي ينحدر من نجد ومن (بريدة) قلعة الوهابية ، وهو واحد من المشهود لهم بمستواهم العلمي العالي ويعتبر من أكبر أساتذة الشريعة في السعودية وله الكثير من الأتباع .

على أمريكا في ١١ سبتمبر ، و اتهما جماعة (القاعدة) بالخروج والإفساد في الأرض وإهلاك الحرث والنسل.

[٣٩٠] – وبعث الشيخ الشعيبي وتلميذاه علي الخضير وسليمان العلوان ، في ١٤٢٢/١٠/١٦هـ برسالة دعم لأمير حركة طالبان الملا عمر يحثونه فيها على الصمود ومقاومة الهجوم الأمريكي ، جاء فيها: "نشهد أنكم أنتم وحدكم الذين رفعتم رؤوسكم في زمن طأطأ الكثير من المسلمين رؤوسهم لدولة الكفر والصليب أمريكا ، فلم يتشرف المسلمون برجل قال (لا ثم لا) لما تطلبه أمريكا في هذا العصر إلا بكم ، فيا سعادة المسلمين بأمثالكم ... فصبرتم يوم أن تخاذل الجميع وتبدلت العقائد وظهرت نواقض الإسلام في كثير ممن ينتسبون إليه .

أمير المؤمنين إن إعجابنا بأفعالكم ومناصرتنا لها لا ينقطع ولن ينقطع أبداً بإذن الله تعالى ما لم تبدلوا وتهنوا أو تتراجعوا نسأل الله لنا ولكم الثبات حتى الممات ، وإننا نطمئنكم بأننا وشريحة عظيمة من العلماء والدعاة وطلبة العلم معكم ونؤيدكم ، ونقول لكم لا يسوءكم ولا يفت من قوتكم وإصراركم قول بعض المتخاذلين والمرجفين الذين ذموا صمودكم ولاموا أفعالكم ... فقد قرت بكم عيون الموحدين ورضيت بكم عساكر الرحمن ، فنحن من ورائكم نناصركم بكل ما نستطيع ونحرض المؤمنين على القتال في صفوفكم ...

وختاماً فإننا نوصي جميع المسلمين في كل مكان بمناصرة الإمارة الإسلامية في جهادها هذا ضد ملل الكفر جميعاً ، كما نوصي الأفغان خاصة بأن يبذلوا أنفسهم لله تعالى ويناصروا الإمارة الإسلامية ويقفوا تحت لواء أمير المؤمنين ".

وكان قد اعتقل في منتصف التسعينات على إثر توقيعه على مذكرة النصيحة وجمدت عضويته في هيئة كبار العلماء.

وعلى أي حال ، فان هذه الحركة المعارضة تعتبر اقرب الى روح الحركة الوهابية القديمة ، ونظرا لأنها تعيش في ظل النظام السعودي الذي لم تقرر إعلان الحرب عليه ، فيمكننا افتراض أنها تمارس التقية ولا تعبر عن رأيها ضد حكام آل سعود بصراحة في كل مكان.[٣٩١]

تكفير النظام السعودي

[٣٩١] – وقد عاد ابن لادن فاتهم النظام السعودي بالردة و الكفر ، وذلك في رسالته الصوتية الى قناة الجزيرة يوم عيد الأضحى من سنة ١٤٢٣ المصادف ١١ شباط ٢٠٠٣ حيث قال: ان "كل من اعان اميركا من حكام الدول العربية عبر توطين القواعد او اي نوع من انواع الدعم ولو بالكلام ، في قتل المسلمين ، عليه ان يعلم انه مرتد وخارج عن الدين" الاسلامي" . ودعا المسلمين الى التمرد على الانظمة الحاكمة قائلا "تؤكد على الصادقين من المسلمين انه يجب عليهم ان يتحركوا ويحرضوا ويجيشوا الامة في مثل هذه الاحداث العظام لتتحرر من عبودية هذه الانظمة الحاكمة الظالمة المرتدة المستعبدة من اميركا ويقيموا حكم الله في الارض". واعتبر ان "اكثر المناطق تأهلا للتحرير هي الاردن والمغرب ونيجيريا وباكستان وبلاد الحرمين (السعودية) واليمن".

وربما كان كتاب (الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية)[٣٩٢] لمؤلفه القريب من تنظيم القاعدة ، يشكل بيانا لحقيقة أفكار الحركة الوهابية المعارضة (الثورية والتكفيرية) ، ضد آل سعود وأتباعهم "الوهابيين" . حيث يقول مؤلفه (النجدي) مستعيدا التراث الوهابي:" ليس كل من ادعى التوحيد او انتسب اليه ولو اسما يحرم ماله ودمه ويكون من الموحدين ، بل لا يكون كذلك حتى يكفر بكل ما يعبد من دون الله ويبرأ منه سواء عبادة سجود او ذبح أو دعاء أم عبادة تشريع واستسلام وتحاكم ، فالإشراك بالله في حكمه من الإشراك به في عبادته. وقد قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب معلقا على حديث مسلم (من قال لا اله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله):" وهذا من أعظم ما يبين معنى (لا اله الا الله) فانه لم يجعل التلفظ بها عاصما للمال والدم بل ولا معرفة معناها مع لفظها بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو الا الله وحده حتى يضيف الى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله ، فان شك أو تردد لم يحرم ماله ودمه".[٣٩٣]

ويقول:- "إننا مأمورون بالدخول في الإسلام كافة فننظر في الكتاب فترى قوله تعالى: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) والفتنة هي الشرك كل أنواع الشرك لا فرق بين شرك القبور وشرك الدستور".[٣٩٤] و إن هذه " الحكومة (السعودية) الخبيثة الكافرة خرجت من دين الإسلام ومن ملة التوحيد من أبواب شتى :

الأول: التشريع وتحكيم القوانين والتحاكم اليها

---

[٣٩٢] – المنشور عام ١٩٩٤ عن دار القصيم في لندن ، باسم مستعار هو: (أبي البراء مرشد بن عبد العزيز بن سليمان النجدي) (واسمه الحقيقي: أبو محمد عاصم البرقاوي المقدسي) الأردني القريب من تنظيم القاعدة .

[٣٩٣] – النجدي: الكواشف الجلية ١٩٥

[٣٩٤] – المصدر ، ص ٢٨٣

الثاني: موالاة أعداء الله من الكفار الشرقيين والغربيين الخليجيين والعرب ، وتوثيق روابط الأخوة والمودة والحب والصداقة وتوليهم بالتأييد والنصرة".[٣٩٥]

وقد أخذ النجدي على الحكومة السعودية دخولها في الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي ، لأنها في نظره بلاد كفار ، ولأن دخولها في تلك المنظمات العربية والدولية يقوم على تعزيز التضامن بين الدول الأعضاء ، ودعم التعاون الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والعلمي ، وإيجاد المناخ لتعزيز التعاون والتفاهم بين الدول الأعضاء والدول الأخرى. ولأنه يقوم أيضا على مبادئ هي:

١- المساواة التامة بين الدول الأعضاء.

٢- احترام حق تقرير المصير وعدم التدخل في الشؤون الداخلية.

٣- احترام سيادة واستقلال ووحدة أراضي كل دولة عضو.

٤- حل ما ينشأ من منازعات بحلول سلمية.

٥- الامتناع عن استخدام القوة والتهديد باستعمالها.[٣٩٦]

وهذه أمور يعتبرها المؤلف مخالفة لعقيدة التوحيد (الوهابية) ومساواة لـ: "الموحدين والمسلمين" مع "المشركين" – ويعني بهم غير الوهابيين – .

ويتهم المؤلف الحكومة السعودية بالصد عن سبيل الله والكفر به وفتنة "المسلمين" عن دينهم واضطهاد "الموحدين الحقيقيين الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر المتبرئين من كل الطواغيت" و سجنهم وقتلهم وطردهم وملاحقتهم . وموالاة أعداء الدين ونصرتهم ومودتهم ومحبتهم .[٣٩٧]

ويأخذ على حكام السعودية " تشريعهم مع الله ما لم يأذن به الله واتباعهم لأقوال المشرعين من الكفرة أعداء الدين ودخولهم في دين الطواغيت المختلفة إقليمية كانت

---

[٣٩٥] – المصدر ، ص ١٩١

[٣٩٦] – المصدر ، ص ١٩١

[٣٩٧] – المصدر ، ص ٢٤٩

أم عالمية دولية" .[٣٩٨] وينتقدهم على "إدخال مشركي الطواغيت العربية الى بيت الله الحرام أثناء عقد مؤتمر القمة في مكة ، وإدخال كل من يشاءون من إخوانهم الذين قال الله تعالى فيهم: (إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا)".[٣٩٩]

ثم ينتقل مؤلف الكتاب (النجدي) من التكفير الى الهجرة والجهاد ، فيقول: "نص العلماء على ان الحاكم إذا أظهر الكفر البواح يجب القيام عليه وعزله وتبديله وتغييره لإقامة شرع الله وتحقيق توحيده كاملا ، ومن داهن فعليه الإثم والعقوبة. ومن ضعف عنه وجبت عليه الهجرة وعدم الركون للكفر وحكوماته ، بل تحديث النفس بجهادهم دوما وتربية الذراري على ذلك وغرسه في نفوسهم.. واعلم ان من أعظم أنواع الهجرة الواجبة في كل زمان هجرة كل وظيفة وعمل فيه نصرة وإعانة لهؤلاء الطواغيت وقوانينهم ". [٤٠٠]

ويقول أيضا: " انه لا يصلح لمسلم شم رائحة التوحيد وعرف الشرك أن يكون معينا لهذه الدولة وأمثالها من الدول المرتدة الكافرة ... فلا يجوز له بحال ان يعمل في عساكرها ولا حرسها الوطني ولا جيشها أو شرطتها ولا مخابراتها أو أمنها وجواسيسها. فان هذا كله من توليها ونصرتها على المؤمنين الموحدين المتبرئين منها الكافرين بها ، فهو بذلك لا يقف عند حدود المعصية بل يتعداه الى الكفر والردة".[٤٠١] ويتساءل: ما الموقف من هذه الدولة الخبيثة وأمثالها من الحكومات المرتدة؟.. ويجيب : انه الهجرة والجهاد. وغاية هذا القتال تحقيق توحيد الله ، إذ (لا اله الا الله) تعني البراءة من كل دين وطاغوت ومنهج وقانون ومعبود غير الله

---

[٣٩٨] – المصدر ، ص ٢٥٠

[٣٩٩] – لمصدر ، ص ٢٥١

[٤٠٠] – المصدر، ص ١٩٦

[٤٠١] – المصدر ، ص ١٩٨

، وعداوة أهل الشرك وموالاة أهل الإيمان.[٤٠٢]ومن أراد طريقة السلف فليتأمل فرارهم من أبواب السلاطين وأمراء الجور في أزمنة الخلافة فكيف في أزمنة الكفر والقانون وتولي أعداء الله".[٤٠٣]ويقول: "ما أشد انطباق ما قاله جدهم عبد العزيز بن سعود عليهم في رسالة بعث بها الى بلاد العجم والروم: (نحن لا نكفر الا من عرف التوحيد وسبّه وسماه دين الخوارج ، وعرف الشرك وأحبه وأهله ودعا اليه وحض الناس عليه بعدما قامت عليه الحجة ، وان لم يفعل الشرك أو فعله وسماه بغير اسمه بعدما عرف أن الله حرمه). الدرر السنية ١٤٥/١".

الموقف من المؤسسة الدينية

وبعد تكفير الدولة السعودية ، يشن النجدي هجوما عنيفا ضد رجال الدين الوهابيين المتحالفين مع الحكومة ، ويتهمهم بتولي أعداء الله ومحاربة أوليائه ، وفتنة الأمة والتلبيس عليها ، وممارسة شرك العصر الصريح باسم الإسلام والتوحيد. ويطالب بوعظ العلماء وهجرهم حتى يرتدعوا ويقلعوا عن مداهنة السلاطين والركون اليهم والجدال عنهم.[٤٠٤]ويقول: " أذكّر الموحد وأنبهه الى عدم الاغترار بعلماء الحكومات ، هؤلاء الذين يتجاهلون ما يدور حولهم من كفريات وفضائح آل سعود وحكومتهم ، ولا هَمَّ لهم الا الهجوم على الموحدين المتبرئين من طواغيتهم الكافرين بحكومتهم. أي والله لا تغتروا بشهاداتهم ولا بألقابهم أو لحاهم وعمائمهم.(لا تلق مبتدعا ولا متزندقا الا بعبسة مالك الغضبان).. أنا أدعو هؤلاء المشايخ **الى ان يجلسوا من جديد ليتعلموا التوحيد الحق** ويتعلموا معنى لا إله الا

---

[٤٠٢] – المصدر ، ص ١٩٤

[٤٠٣] – المصدر ، ص ٢٨٥

[٤٠٤] – المصدر ، ص ٢٨٦

الله من كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأولاده الذين طالما تمسحت دولتهم هذه بطريقتهم وهم منها براء".[٤٠٥]

ويتحدث المؤلف (أبو البراء النجدي) عن (الأفغان السعوديين) والتكفير ، فيقول:"ها هم أفواج الشباب يعودون مدربين على القتال والسلاح والمتفجرات من أفغانستان ، وقد استفادوا بعدما خرجوا من أسوار الجزيرة الى السعودية بغير الوجه الذي خرجوا به أول الأمر .. فها هو فكر (تكفير وقتال الحكومة وكل من ناصرها وعاونها ووالاها) قد انتشر بين الشباب العائد من أفغانستان انتشار النار في الهشيم".[٤٠٦] "وها هم الشباب يرجعون وقد فقدوا الثقة بكل من يمدح هؤلاء الطواغيت أو يثني عليهم أو يجادل عنهم او يقف بأبوابهم مهما طالت لحيته وكبر لقبه. فخرج علينا المشايخ في الآونة الأخيرة يركزون في خطبهم ومحاضراتهم على محاربة الآراء الشاذة والأفكار المتطرفة ، يقصدون تكفير حكومتهم و تكفير من تولاها والدعوة الى جهادها".[٤٠٧]

وإذا قدر لهذه الحركة الوهابية الأصيلة ان تنتصر في "جهادها" ضد آل سعود ، فانها كما يبدو سوف تعيد تجربة الحكم السعودي الوهابي تماما ، ولن تغير شيئا في أسس النظام السياسي ، وذلك لأنها لا تملك فكرا نقديا جذريا ، ولا تضع إصبعها على مواطن الخلل والاستبداد ، ولا تعرف غير الدعوة الى إطاعة الحكام الجدد إطاعة مطلقة. وحتى ذلك اليوم ، فإنها بالطبع لا يمكن ان تقبل بأي نظام ديموقراطي حديث يقوم على الشورى والمشاركة من قبل جميع الطوائف والأحزاب

---

[٤٠٥] – المصدر ، ص ٢٤٤

[٤٠٦] – المصدر ، ص ٢٧١

[٤٠٧] – المصدر ، ص ٢٧٢

والفئات الاجتماعية ، في العملية السياسية ، سواء في ظل آل سعود أو في ظل غيرهم ، فإنها تعتبر ذلك نوعا من الشرك والكفر بالله.

يقول أبو محمد عاصم المقدسي (أحد زعماء الوهابية الجديدة ومن المقربين الى تنظيم القاعدة) في كتابه: (الديموقراطية دين):"ان الديموقراطية دين غير دين الله ، وملّة غير ملة التوحيد ، وان مجالسها النيابية ليست الا صروحا للشرك ومعاقل للوثنية ، يجب اجتنابها لتحقيق التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ، بل السعي لهدمها ومعاداة أوليائها وبُغضهم وجهادهم. وان هذا ليس أمرا اجتهاديا كما يحلو لبعض الملبسين أن يجعلوه ، بل هو شرك واضح مستبين وكفر بواح صراح قد حذر الله تعالى منه في محكم تنزيله ، وحاربه المصطفى (ص) طيلة حياته".[٤٠٨]

ويقول:" الطاغوت الذي يجب عليك أن تكفر به وتتجنب عبادته لتستمسك بعروة النجاة الوثقى ، ليس فقط أحجارا وأصناما وأشجارا وقبورا تعبد بسجود أو دعاء أو نذر أو طواف وحسب.. بل هو أعم من ذلك...ان الطاعة في التشريع عبادة لا يجوز أن تصرف لغير الله ، فلو صرفها المرء لغير الله ولو في حكم واحد كان بذلك مشركا"[٤٠٩] ويقول:" ان ترجمة الديموقراطية الحرفية هي: (حكم الشعب أو سلطة الشعب أو تشريع الشعب) وهذا من أخص خصائص الكفر والشرك والباطل الذي يناقض دين الإسلام وملة التوحيد أشد المناقضة ويعارضه أشد المعارضة... فالديموقراطية كفر بالله العظيم وشرك برب السماوات والأرضين ومناقضة لملة التوحيد ودين المرسلين".[٤١٠]

ويقول أيضا:"الشعب في دين الديموقراطية يُنيب عن نفسه النوابَ ، فتتخير كل طائفة أو جماعة أو قبيلة منهم رباً من هؤلاء الأرباب المتفرقين ، ليشرعوا لهم تبعا لأهوائهم ورغباتهم... فمنهم من يتخير معبوده ومشرعه تبعا للفكر والأيديولوجية ،

---

[٤٠٨] – المقدسي : الديموقراطية دين ، ص ٢

[٤٠٩] – المصدر ، ص ٢ – ٣

[٤١٠] – المصدر ، ص ٨

فإما رب من الحزب الفلاني ، أو إله من الحزب العلاني ، ومنهم من يتخيره تبعا للقبيلة والعصبية ، فإما إله من القبيلة الفلانية أو وثن معبود من القبيلة العلانية ، ومنهم من يتخيره إلها سلفيا بزعمهم ، وآخر يجعله رباً إخوانيا أو معبودا ملتحيا وآخر حليقا.. وهكذا.. فهؤلاء النواب هم في الحقيقة أوثان منصوبة وأصنام معبودة وآلهة مزعومة منصوبة في معابدهم ومعاقلهم الوثنية (البرلمانات) يدينون هم وأتباعهم بدين الديموقراطية وشرع الدستور".[٤١١]

ان موقف الحركة الراديكالية (التكفيرية) السلبي من الشورى والديموقراطية ، هو الذي دفعها لاختيار الطريق العسكري في عملية التغيير السياسي ، كطريق لا تجد دونه سبيلا ، ولما كانت منظمة (القاعدة) التي يقودها أسامة بن لادن ، والتي تنتقد التعاون العسكري بين الرياض و واشنطن ، أو ما تسميه بالاحتلال العسكري الأمريكي لبلاد الحرمين ، لا تملك أسلوبا ديموقراطياً لفرض موقفها على الحكومة السعودية ودفعها الى طرد القوات الأمريكية بشكل سلمي ، وذلك لغياب النظام الديموقراطي في السعودية ، وبما أنها لم تكن ترغب في إشعال حرب داخلية مع النظام السعودي ، فانها فضلت توجيه ضرباتها الى تلك القوات الأمريكية ، وأعلن ابن لادن ، كما رأينا في رسالته الشهيرة التي أصدرها عام ١٩٩٧ ، أنه في حل من المعاهدات الحكومية وطالب الشعب السعودي بتوجيه أقسى الضربات للأمريكيين في داخل السعودية وخارجها لإجبارهم على الانسحاب من الجزيرة العربية. وبكلمة أخرى.. إن توجه ابن لادن ومنظمة (القاعدة) للاشتباك مع أمريكا هو نتيجة غياب الديموقراطية في النظام السعودي ، وفي فكر المعارضة الوهابية الراديكالية التي لا تؤمن بالديموقراطية. ولو كانت ثمة أية نافذة ديموقراطية للتغيير والحل السياسي والمشاركة الشعبية في السلطة لما وجد ابن لادن نفسه مضطرا

---

[٤١١] – المصدر ، ص ١٠

لحمل السلاح نيابة عن الحكومة ومطالبة أمريكا مباشرة بالخروج من الجزيرة العربية.

الفصل السابع

من الوهابية.. الى الديموقراطية

إذن فان الحركات الوهابية الموالية للنظام السعودي والمعارضة له ، تشترك في بنية فكرية سياسية واحدة ، وتتخذ موقفا متشابها تجاه الشورى والانتخابات والمشاركة الشعبية في الحكم . ولئن كانت تلك الحركات المعارضة تنتقد النظام السعودي أو بعض ممارسات الحاكم وتدعو لإصلاحه أو تغييره ، فانها لا تدعو الى تغيير العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، أو استبدال النظام بصورة جذرية. وإذا كان بعضها قد أعلن كفر النظام ، وأعلن أو قد يعلن تبعا لذلك الحرب على النظام

، فانه في نفس الوقت لا يجد أسلوبا للحكم غير الأسلوب الاستبدادي المطلق ، ولا يفكر باللجوء الى الشورى والانتخاب ، أو قبول مبدأ تبادل السلطة بشكل سلمي ديموقراطي مع الأحزاب الأخرى.

ولئن كانت الوهابية الرسمية وغير الرسمية قد خففت من "وهابيتها" وخاصة فيما يتعلق بالتكفير والقتال ، فانها لا تزال تعتقد أنها هي فقط "الفئة الناجية" من بين "الضالين والمنحرفين". إذا لم تكن تعتقد أنها وحدها تمثل "المسلمين والموحدين" في محيط "الكفار والمشركين". ولا تزال تنظر بسلبية الى طوائف عديدة وعامة من المسلمين كالشيعة والصوفية والأشاعرة والمعتزلة وحتى الإخوان المسلمين ، فضلاً عن دعاة الديموقراطية والعلمانية في العالم الإسلامي . ومن هنا فقد أصبح من العسير على الوهابيين القبول بوجود أي حزب آخر يختلف عنهم ويعارضهم وينافسهم على السلطة ، أو الاحتكام الى الرأي العام الذي يتهمونه دائما بالتخلف عن الشرع.. وغابت الشورى حتى عن شبكة علاقاتهم الداخلية و فيما بينهم وبين رجال الدين ، وبين هؤلاء والحكام ، وبين هذين الطرفين والقواعد الوهابية. وقامت العلاقة بدلا من ذلك على أساس القوة والقهر والغلبة. كما قامت العلاقة بينهم وبين الآخرين، أحزابا وطوائف وتيارات ، على أساس الدعوة والجهاد وفرض الرأي بالقوة.[٤١٢]

يقول أحمد الحصين في كتابه (دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب سلفية لا وهابية) :"أمر الشيخ أتباعه بالجهاد دفاعا عن النفس أمام أولئك المعارضين من

[٤١٢] – راجع رسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى أهل المغرب ، حيث يقول بصراحة:" من لم يجب الدعوة بالحجة والبيان قاتلناه بالسيف والسنان". وقد أيد هذا الموقف المستشار في الديوان الملكي السعودي الشيخ عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم آل الشيخ ، في مقدمته لكتاب (دعوة الامام سلفية لا وهابية).

ناحية ، وكسر الطوق وإزاحة الحجر العثرة أمام نشر هذه الدعوة من ناحية أخرى ، فانتقلت الدعوة بذلك الى مرحلة جديدة هي (مرحلة الجهاد لحمل الناس على الحق) وتهيئة الجو الصالح لنشر الدعوة والعودة بالمسلمين الى منهج الله وشرعه...فوظيفة القوة تأمين الذين اختاروا الإسلام على دمائهم وأموالهم حتى لا يفتنوا في دينهم ، ثم حماية طريق الدعوة وسبيلها حتى لا يتوقف المد الإسلامي ، وكذلك تأديب الجبارين الذين يتخذون لأنفسهم صفة الألوهية فيذلون البشر بما يزرعونه فيهم من ضغائن وأحقاد". [٤١٣]

وينظّر الحصين لمبدأ القتال الداخلي الذي لا ينتهي ، فيقول:" ان التحرك لبدء الآخرين بالدعوة الى الإسلام هو من خصائص هذا الدين ، لأنه من السذاجة بمكان أن يتصور الإنسان بقوة عازمة على إخراج البرية من الظلمات الى النور ، ثم يقف أمام عقبات الأعداء ليجاهد باللسان والبيان فحسب ، وهذا ما لم يقل به أحد من سلف هذه الأمة".[٤١٤] ويضيف:"لا بد من الجهاد لإماطة العقبات عن الطريق ، وهذه سنة الله تعالى... ولن تتم مصلحة الناس قاطبة الا عندما يهيمن الإسلام على سلوكهم ومعاملاتهم ويلتقون على العقيدة الصحيحة والدعوة الربانية...وان هذه الجزيرة كانت ولا تزال تدخر تلك العناصر التي تتوثب بين الفينة والفينة لتؤدي رسالتها الخالدة وتستأنف دورها التاريخي المتجدد على مر العصور".[٤١٥]

وهذا ما يدل على أن الوهابية تنظر الى (الجهاد) كسلاح في صراعها الداخلي مع المسلمين الذين لا تعترف بإسلامهم ، وضد التيارات والطوائف والأحزاب والشخصيات المخالفة لها ، مما لا يسمح لها بالقبول بأي فسحة ديموقراطية ، أو

---

٤١٣ – الحصين : دعوة الامام سلفية لا وهابية ، ص ١٩٠

٤١٤ – المصدر ، ص ١٧٩

٤١٥ – الحصين : دعوة الامام سلفية لا وهابية ص ١٨٠

احترام للطرف الآخر أو القبول باللجوء الى الشورى وتحكيم الرأي العام ومبدأ الأكثرية ، وتبادل السلطة بشكل سلمي.

الانفتاح على الديموقراطية

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل ان النظام السعودي يلتزم بالوهابية حقاً ؟.. ألم يتخلَ عنها ويضربها؟ وهل تحول الوهابية المخففة التي يلتزم بها دون التحول الديموقراطي؟ وهل كل من انتسب الى الوهابية يلتزم بكل مقولاتها بالضرورة؟ ألا توجد نسخ معدلة من الوهابية تقبل بوجود الآخر ، وتحترم المذاهب الأخرى ؟ ألا توجد حركات (وهابية) تؤمن بالشورى وتقبل الحياة الديموقراطية أو تشارك فيها هنا وهناك؟

لا شك انه من مجافاة الحقيقة والبحث العلمي النظر الى أية مجموعة إنسانية أو حركة اجتماعية وثقافية نظرة واحدة ثابتة وجامدة لا تتغير . إذ أنها يمكن أن تتغير بين يوم وآخر وتمر بظروف مختلفة ، وتتعرض لقيادة رجال مختلفين ، وان أتباعها وقادتها يمكن ان يتغيروا بين عشية وضحاها ، ويمكن تبعا لذلك أن يغيروا من مواقفهم ورؤاهم وأفكارهم ، ويتطوروا نحو الأفضل أو الأسوأ . وان الحركة الوهابية ليست بعيدة عن هذا الواقع ، ولا مغلقة أمام التطور. ومن هنا فقد حدث في صفوفها أو بالأخرى في صفوف أتباعها مراجعات كثيرة وتطورات عديدة ، وتفاوتت مواقف أفرادها بين الولاء للنظام السياسي والتبعية الكاملة وبين التمرد والنقد والخروج. وليس ولادة الحركات المعارضة المعتدلة والثورية والمتطرفة الا دليل على ذلك. وفي هذا السياق كان من المتوقع أيضا ان نشهد ولادة أشخاص أو قيادات أو حركات تقوم بمراجعة أسس الحركة الوهابية وتحاول التخلص من التراث السلبي

المتطرف ، وخاصة موضوع التكفير والقتال واعتماد مبدأ القوة والقهر في فرض الرأي وإقامة النظام السياسي وتمكين الحاكم المعين. وليس غريبا أن يحدث لدى البعض تطور نحو الشورى والديموقراطية الإسلامية. وهذا ما حصل بالفعل لدى بعض العلماء والسياسيين الموالين والمعارضين الذين قاموا بنقد الفكر السياسي الوهابي ، والاعتراف بإسلام الأمة الإسلامية بجميع طوائفها وتياراتها ، واعتماد السلم والعدل والشورى في انتخاب الحاكم والنظام السياسي.

وهو ما نجده مثلا ، في الحركة الإصلاحية التي قامت بها مجموعة من الأكاديميين والكتاب والشعراء والصحفيين وأساتذة الجامعات والمثقفين والتجار والوزراء السابقين، الذين وجهوا في تشرين الأول من عام ١٩٩٠ م ، عريضة إلى الملك فهد ، وطالبوه فيها بالنظر في أوضاع النظام الأساسي وتحقيق إصلاح شامل ، وإصدار دستور يحدد واجبات وحقوق المواطنين السعوديين، وإنشاء مجلس للشورى ذي صلاحيات واسعة، وتكريس المساواة بين المواطنين دون تمييز عرقي أو طائفي. ثم وجهوا ، بعد شهرين من ذلك التاريخ ، الى الملك فهد ، مذكرة أخرى تطالبه بـ :"ضرورة الإسراع بوضع نظام للحكم، ودستور البلاد الدائم، ونشره على الناس لينقحوه ويوافقوا عليه في استفتاء عام" و "ضرورة استكمال مشروع مجلس تأسيسي منتخب من جميع مناطق المملكة، لكي يكون هيئة تشريعية و رقابية لتنفيذ مواد الدستور ".[٤١٦]

---

[٤١٦] – وكان عدد من الامراء السعوديين في الستينات من القرن العشرين قد طالبوا بإصلاح ديموقراطي ، وشكلوا تنظيم (الأمراء الأحرار) بقيادة الأمير طلال بن عبد العزيز ، الذي انشق على أخيه الملك سعود ، ثم الملك فيصل . ولا يزال ابنه الوليد يطرح بين الفينة والأخرى مطالب بالانتخابات الحرة وتأسيس مجلس شورى منتخب ، حيث دعا في حديث الى صحيفة (نيويورك تايمز) بتاريخ ٢٠٠١/١٢/١١ الى تطبيق مبدأ الانتخابات في السعودية والى تحول ديموقراطي في النظام الملكي.

وهو ما يعبر عن نضج النخبة الثقافية والسياسية السعودية ديموقراطيا ، وابتعادها عن روح الحركة الوهابية المتعصبة والمغلقة.

ولعل من المفيد التوقف عند ثلاثة نماذج بارزة في المشهد الثقافي والسياسي ، ومتطورة عن الحركة الوهابية ، وهم الدكتور محمد المسعري والشيخ حسن المالكي والشيخ عبد الرحمن عبد الخالق.

١- المسعري.. ثورة على الوهابية

ولعل الدكتور محمد بن الشيخ عبد الله المسعري ، يشكل أبرز نموذج على التطور الديموقراطي في صفوف الحركة الوهابية ، حيث يقدم في كتابه (مشروعية محاسبة الحكام) نظرية متكاملة عن نظام الشورى ، تختلف كليا وجذريا عن الفكر السياسي الوهابي الحاكم والمعارض ، و يتحدث عن حق الأمة في السلطان وقيمومتها على الحكام وحقها في محاسبتهم ومراقبتهم وعزلهم ونصبهم ، ويرفض بصراحة نظرية الحكم بالقوة والقهر والغلبة ، ويطالب بانتخاب الحاكم وبالتعددية الحزبية ، وبإقامة مجالس للشورى.

إعادة تعريف "لأمة الإسلامية"

ولعل أهم ما جاء في أطروحة المسعري واختلف به اختلافا جوهريا عن الحركة الوهابية الأولى ، هو انتقاده لعملية تكفير جماهير المسلمين أو ادعاء امتلاك الحق دون الغير ، وتوسيع مفهوم (الأمة) لكي يشمل جميع الفرق الإسلامية المتمسكة بالكتاب والسنة الصحيحة بما فيها الجعفرية والزيدية والإباضية ، خلافا للفكر الوهابي الذي كان يقتصر في تعريف الأمة على الوهابيين "الموحدين" فقط.

إذ يقول: " أما جماهير المسلمين اليوم فهم الفرقة التي بقيت، في الجملة، على ما كان عليه الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه، وهذه هي الفرقة الناجية . إن شاء الله . تنتسب إليها مذاهب فقهية كالمذهب الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي والظاهري والزيدي والجعفري والأباضي ومذاهب فقهية أخرى منقرضة كمذهب الإمام الأوزاعي، ومذهب الإمام إسحاق بن راهوية وغيرهم، كما تضم مدارس كلامية مختلفة مثل مدرسة أهل الحديث، ومدرسة الإمام بن تيمية، ومدرسة الإمام ابن حزم، والأشاعرة ، والماتريدية، والكلابية، والزيدية، والأباضية، وغيرهم من أهل القبلة، كما تتكون من طرق ومسالك صوفية كالطريقة الشاذلية، والطريقة النقشبندية، والقادرية، والجشتية، والسهروردية، والحصافية، وغيرها".[٤١٧] و يقول :" لا يحل لجماعة من هذه الجماعات أن تدعي لنفسها أنها هي "جماعة المسلمين" التي جاءت النصوص بلزومها وتوعدت الخارج عليها، وأن ما سواها فهو من الفرق الضالة الهالكة..فإذا جاء من يزعم لنفسه أنه هو (جماعة المسلمين) دون غيره من بقية الناس فهذا مفرق للأمة، داخل في الفرقة والضلالة، لأن هذه المقولة تقتضي تبديع المخالف أو تقتضي تكفيره، ونصب مقولات جماعة بعينها وامتحان الناس بها، وتكفير أو تبديع كل من خالفها، مجازفة حمقاء ، واندفاعة هوجاء ، وتعصب أرعن".[٤١٨]

ويقول أيضا:" من ادعى من الجماعات المعاصرة.. أن جماعته هي جماعة المسلمين .. لأنها هي وحدها "الفرقة الناجية" أو "الجماعة المنصورة"، أو لأنها هي صاحبة "العقيدة الصحيحة" المحتكرة لها .. فقد أبعد النجعة، وسلك طريق الهلكى من الخوارج، وأهل الغلو..".[٤١٩]

---

[٤١٧] – المسعري ، محمد :مشروعية محاسبة الحكام ، فصل: شبهات حول الجماعات الاسلامية وحكم الإنتماء

[٤١٨] – المصدر ، فصل: مفهوم جماعة المسلمين.

[٤١٩] – المصدر ، فصل: الشبهة الثالثة: البيعة لا تكون الا على الامامة العظمى.

ان هذه الخطوة التي قام بها الدكتور محمد المسعري ، في إعادة تعريف (الأمة الإسلامية) تعتبر مهمة جدا في عملية البناء الديموقراطي الإسلامي في المجتمع السعودي ، وذلك لأنها تفتح الطريق أمام مشاركة أوسع الجماهير في العملية السياسية ، وضرب احتكار السلطة من قبل العائلة المالكة والمؤسسة الدينية الوهابية وأنصارهما في نجد ، وإعادة جماهير الطوائف الإسلامية المتعددة المعزولة والمهمشة الى الحياة السياسية في المملكة العربية السعودية. وهي توفر الأجواء الطبيعية للانتقال من نظام القهر والقوة والغلبة الى نظام الشورى الذي يقوم على احترام كلمة الأمة والتعبير عن إرادتها. ولذا فان هذه الخطوة تشكل ثورة في الفكر الوهابي تفتح الطريق أمام قيام علاقات سياسية طبيعية و سلمية في المجتمع .

نظرية الشورى

النقطة الثانية المهمة جدا التي يختلف فيها الدكتور محمد المسعري عن الفكر السياسي الوهابي ، هي إيمانه بنظرية الشورى وحق الأمة في السلطان ، خلافا لنظرية القوة والقهر والغلبة التي ورثها الفكر الوهابي عن ابن تيمية ، وبالتالي فان المسعري يعتقد :" أن للأمة حق تولية الحاكم وعزله، فلا يصبح الحاكم صاحب السلطان بواسطته يمارس صلاحيات الحكم إلاّ ببيعة الأمة له ، بيعة رضا واختيار، وإن انتقال السلطان من الأمة إلى الخليفة، لا يجعل الأمة بلا سلطان، وإنما

السلطان قائم بيدها لتحاسب الحكام ، وتقوّم اعوجاجهم، وتمنعهم من الطغيان، إلى حد العزل"..[420]

ويقوم المسعري بتحديد المهمة الأساسية للحاكم ، فيقول عنها:" إنها رعاية شؤون الأمة، لأنه ما نصب إلاّ لذلك" . ثم ينتقل لكي يحدد مسؤولية الأمة في محاسبة الحاكم إذا ما قصّر في هذه الرعاية، "لأن الأمة قوّامة عليه" ويتساءل: كيف تكون الأمة شهيدة على الناس إذا لم تكن قوامة بالقسط شاهدة على نفسها.

ولا يفرق المسعري في وجوب محاسبة الحاكم بين حالات نصبه من قبل المسلمين أو نصب الأعداء له أو نصب نفسه حاكما عليهم بالقوة ، ويقول ان وجوب المحاسبة يصبح من باب أولى، فيما إذا كان قد أخذ الحكم عنوة ، دون أن ينصبه المسلمون .

وبعد ان يؤسس المسعري لنظرية الشورى وشرعية محاسبة الأمة للحكام ينتقل الى الحديث عن الطرق التي تكفل للأمة القيام بمسئوليتها تلك ، فيقول إنها : التكتلات السياسية والأحزاب السياسية التي تقوم على العقيدة الإسلامية. والمسلمون بصفة عامة. ومجلس الشورى، الذى له حق المحاسبة في كل ما يقع من الحاكم من أفعال وتصرفات. ومحكمة المظالم، التي لها صلاحية إصدار الحكم بعزل الخليفة إذا أخل بالشرع.[421]

ويقول: إن محاسبة الحاكم من قبل المسلمين، ركيزة من ركائز سلطان الأمة، كي يتقيد الحاكم بالشرع وهو يتولى رعاية شؤونها بالأحكام الشرعية. وللأمة مطلق الحق في محاسبة الحاكم بأية وسيلة تحقق ذلك، سواء بالنصح مشافهة، سراً وعلناً، أم في نقد أعماله كلاماً يقال على منابر المساجد، وقد تكون المحاسبة منظمة

---

[420] – المصدر ، فصل : مشروعية محاسبة الحكام

[421] – المصدر ، فصل: مراقبة الأمة للحكام ومحاسبتهم

بحيث تأخذ شكل إصدار الجرائد السياسية، أو في صورة تكوين أحزاب سياسية تكون مهمتها محاسبة الحكام، داخل المجالس المنتخبة، وفي مقدمتها مجلس الأمة، أي مجلس الشورى، أو خارجة في الاجتماعات الجماهيرية.[٤٢٢]

ثم ينتقل الدكتور المسعري لمناقشة مقولة أخرى من مقولات الفكر الوهابي السلطاني ، وهي (سرية النصيحة) التي يؤكد عليها علماء الدولة السعودية ، استنادا الى حديث واحد أخرجه الإمام أحمد عن عياض بن غنم عن رسول الله (ص) أنه قال: "من أراد أن ينصح لذي سلطان بأمرٍ، فلا يبد له علانية، ولكن ليأخذ بيده، فيخلو به، فإن قبل منه، فذاك، وإلا، كان قد أدى الذي عليه له" ، فيرفض تلك المقولة ويضعف ذلك الحديث.[٤٢٣]

٢ – المالكي.. يرفض التكفير

وقد دعم الشيخ حسن بن فرحان المالكي هذه الثورة التصحيحية ، بما طرحه من كتب تنتقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في تكفيره لعموم المسلمين ، وتطالب بالاعتدال .

---

[٤٢٢] – المصدر ، فصل: مراقبة الأمة للحكام ومحاسبتها لهم

[٤٢٣] – المصدر، فصل: سرية النصيحة

إذ قام الشيخ حسن المالكي بمراجعة شاملة لقراءة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتأويلاته لعدد من آيات القرآن الكريم ، ومفهوم الشرك والتوحيد فيها ، وخاصة موضوع الغلو في الصالحين والاستغاثة بهم وطلب الشفاعة منهم ، فنفي أن يكون ذلك شركا ، فضلا عن كونه شركا أكبر مخرجا من الملة ، وفرق في كتابه: (محمد بن عبد الوهاب داعية وإصلاحي وليس نبيا) بين عبادة الأصنام التي كان يقوم بها المشركون ، وبين الغلو في الصالحين الذي قد يقع فيه بعض المسلمين ، ونفي أن يكون الله تعالى قد أرسل الأنبياء الى أقوام كانوا يغلون في الصالحين ، كما يقول الشيخ عبد الوهاب ، ورفض بالتالي عملية تكفير المسلمين على العموم ، التي قامت بها الوهابية على هذا الأساس . وقال: "ان الغلو والتبرك بالصالحين قد يعتبر غلواً... لكن هذا ونحوه يعد من الأخطاء أو البدع وليست شركاً، وإن تجوزنا في إطلاق الشرك على هذه الأفعال فهو شرك أصغر؛ وليس من الشرك الأكبر المخرج من الملة". وقال: ان " إنكاري لهذه البدع والخرافات وربما الشركيات في بعضها لا يجعلني أحكم على مرتكبها بالشرك والخروج من ملة الإسلام سواءً كان جاهلاً أو عالماً لأن الجاهل يمنعنا جهله من تكفيره، والعالم يمنعنا تأويله من تكفيره أيضاً. نعم قد يقال فلان ضال، فلان مبتدع، فلان منحرف...فهذه التهمة خطرها يسير، إنما أن نقول: فلان كافر كفراً أكبر خارج عن ملة الإسلام! فهذه عظيمة من العظائم يترتب عليها أحكام ومظالم؛ فلا يجوز أن نتهم أحداً بالكفر إلا بدليل ظاهر لنا فيه من الله برهان؛ خاصة وأن الشيخ يريد بإطلاق الكفر الكفرَ الأكبر المخرج من الملة! ".

ويطالب الشيخ المالكي الوهابيين باحترام أدلة وتأويلات المعارضين لهم من الذين يستجيزون التوسل والاستشفاع والاستغاثة بالصالحين ولا يعتقدون بتناقض ذلك مع شهادة التوحيد ، وعدم التشكيك بنوايا الآخرين.

وبناء على ذلك يدعو الشيخ المالكي الى إعادة تعريف كلمة (المسلم) و(الموحد) من أجل تجنب تضييق دائرة الإسلام والمسلمين لتقتصر على أتباع الوهابية فقط. ويقول: "ان الشيخ محمد رحمه الله ربما لو لم يقاتل المسلمين، واكتفى بمراسلة العلماء يحثهم على الدعوة إلى الله ؛ ربما لو فعل هذا لتجنبنا مآسي التكفير من ذلك الزمن إلى عصرنا هذا الذي يعتمد فيه المكفرون على فتاوى الشيخ وعلماء الدعوة في تكفير المسلمين". ويضيف:"ان بيان أخطاء الشيخ محمد في هذا الجانب (جانب التكفير) مفيد وضروري، لأن المجتمع السعودي علماؤه وطلاب العلم فيه تربوا على فتاوى الشيخ وعلماء الدعوة الذين كانوا يميلون لتكفير المسلمين، ولابد أن يتأثر بعضهم بهذا الجانب، وقد رأينا فتاوى لبعضهم في الحكم بردة بعض الناس!. ومن قرأ كتاب (الدرر السنية) عرف هذا تماماً، بل في هذا الكتاب مجلدان كبيران بعنوان (الجهاد)، كلهما في جهاد المسلمين، وليس فيه حرف واحد في جهاد الكفار الأصليين من اليهود والنصارى، مع أن بلاد المسلمين المجاورة في الخليج والعراق والشام كان فيها كفار أصليون محتلون...وتبادل التكفير حصل بين علماء الدعوة أنفسهم عندما اختلف أولاد الأمير فيصل بن تركي (عبد الله وسعود) رحمهم الله، فكان مع كل أمير علماء يكفرون الطائفة الأخرى. فهذه (الفوضى التكفيرية) هي نتيجة طبيعية وحتمية من نتائج منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله الذي توسع في التكفير؛ حتى وجدت كل طائفة في كلامه ما يؤيد وجهة نظرها.بل حركة الحرم وأصحاب التفجير في (العليا) ما هم إلا نتيجة لمنهج الشيخ في التكفير".

وينتقد الشيخ حسن المالكي منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التكفير فيقول: "يظهر من كلام الشيخ محمد أنه إن علم بحادثة في الحجاز أو عسير أو سدير عممها على أهل تلك الجهة كلها فيكفرهم ويقاتلهم. فإن علم عدة حالات معدودة في منطقة ما ألزم أهلها كلهم الردة واستحل دماءهم وأموالهم، بحجة أن تلك

المنطقة بين ساكت ومرتد! فالمرتكب مرتد والساكت مرتد! وهذا يختلف تماماً عما ذكره الفقهاء تحت باب (حكم المرتد)، فإنهم لا يحكمون على المجموع بفعل البعض، بل بعضهم لا يقول هذا إلا من باب الترهيب والتحذير من الشيء، لكنه عند وجود الحالة يعذر بالجهل ويبين له ما يرفع هذا الجهل.

وكذلك لم يراع الشيخ الجهل فالجهل بالشيء يمنع من إطلاق الكفر على الجاهل. وعلى منهج الشيخ يمكن للعلماء المختلفين أن يكفر بعضهم بعضاً بدعوى كل عالم أن الآخر أنكر شيئاً مما جاء به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)! وأنه بهذا كمن كذّب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) جملة! وهكذا... بينما الصواب غير هذا فالطرف الآخر لا يقر لك بأنه ينكر شيئاً مما جاء به الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وإنما يقول لك: هذا لم يثبت عندي أو يقول: إنما معناه كذا أو يعارضه كذا... الخ".

ولا يتوقف الشيخ المالكي عند نقد التطرف الوهابي وإنما يغوص عميقا في التاريخ لينتقد ظاهرة التكفير والتبديع عند المسلمين بصورة عامة ، وعند الحنابلة بصورة خاصة ، فيقول: إن أصحاب النزاعات العقائدية نسوا المبادئ الإسلامية عند تخاصمهم ولم يسلم أهل السنة ممثلين في الحنابلة والأشاعرة وغيرهم ، من ولوج باب التكفير والتبديع واشتباههما حتى وصل الأمر لتكفير كبار أئمة وفقهاء السنة فضلاً عن غيرهم ، كتكفير الحنابلة للإمام أبي حنيفة والحنفية وذمهم وتبديعهم. ويقول: ان هذا الفكر عند غلاة الحنابلة هو الذي فرخ لنا اليوم هؤلاء الغوغاء من التيار التبديعى، الذي يصم الناس بالبدعة والضلالة. وقد كفرَّ غلاة الحنابلة معظم فرق المسلمين كالمعتزلة والشيعة والقدرية والمرجئة والجهمية وغيرهم.

ويستنكر المالكي قيام أبي الحسن البربهاري ، إمام الحنابلة في عصره (توفي سنة ٣٢٩هـ) ، بتكفير المسلمين ، وقوله: (اعلموا أن الإسلام هو السنة والسنة هي

الإسلام) وهذا يلزم منه أن من لم يكن سنياً فليس بمسلم!! ويستنكر كذلك قيام ابن تيمية بالمبالغة بالتفريق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، وقوله: (أن الله لم يبعث الرسل إلا من أجل توحيد الألوهية أما توحيد الربوبية فقد أقر به الكفار!!) وهو ما جرأ مقلديه على تكفير المسلمين الذين حصل لهم خطأ في الاعتقاد. وقد زل بهذا التقسيم عوالم أصبحوا يكفرون المسلمين لوجود أخطاء عقدية فقرنوا بينهم وبين الكفار ولم يحفظوا لهم شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

ثم يتوقف المالكي عند ابن القيم وتكفيره للمعطلة الذين يؤولون الصفات ، وهم جمهور المسلمين غير الحنابلة ، من المعتزلة والأشاعرة و الشيعة والصوفية. ويتحدث أخيرا عن تبادل التكفير داخل الحركة السلفية.[٤٢٤]

ان الشيخ حسن المالكي ، وان لم يتحدث حتى الآن عن الشورى والديموقراطية ، الا ان رفضه لظاهرة التكفير وإطلاقه لصرخة التغيير والتخلي عن الوهابية ، في داخل السعودية تشكل القاعدة الأساسية لبناء علاقة سليمة بين الحاكم والمحكوم ، وتوطيد أسس الشورى في المجتمع .

٣- الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق يؤمن بالشورى

وهو زعيم (الحركة السلفية في الكويت) وقد درس على يدي الشيخ عبد العزيز بن باز في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة. ولكن حدث لديه تطور كبير

---

[٤٢٤] – المالكي ، حسن: قراءة في كتب العقائد ، المذهب الحنبلي نموذجا ، فصل: التكفير والتبديع في كتب الحنابلة. عن موقع المالكي في الانترنت على العنوان التالي:
http://www.almalky.net/graa_fi_al3gaid.htm

باتجاه الشورى ، بعد أن تحرر من المعالم الرئيسية للوهابية (كالتكفير والهجرة والجهاد) مما سمح للحركة السلفية بالمشاركة في العملية الديموقراطية في الكويت.

وكان الشيخ عبد الخالق قد أعلن عن إيمانه الراسخ بمبدأ الشورى الإسلامي الأصيل ، وقال:" الشورى هي النظام الإسلامي الوحيد الذي يأتي عن طريقه الإمام أو الحاكم أو الأمير أو الخليفة كما يحلو لنا أن نسميه. وليس هناك من طريق سليم شرعي للوصول الى هذا المنصب الخطير العظيم، الإمامة العامة للمسلمين إلا طريق الشورى . وان المبدأ الأساسي في الظروف الطبيعية الآمنة لاختيار الحاكم هو الشورى، وليس هناك طريق غير ذلك ". [٤٢٥] واستعان الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق وهو ينظر لمشروعية الدخول في الحياة الديموقراطية والمجالس التشريعية ، بفتوى للشيخ عبد العزيز بن باز ، يقول فيها: "لا حرج في الالتحاق بمجلس الشعب إذا كان المقصود من ذلك تأييد الحق، وعدم الموافقة على الباطل، لما في ذلك من نصر الحق، والانضمام إلى الدُعاة إلى الله. كما إنه لا حَرَجَ كذلك في استخراج البطاقة التي يستعان بها على انتخاب الدُعاة الصالحين، وتأييد الحق وأهله، والله الموفق".[٤٢٦]

ورفض أسلوب التغلب بالقوة وحيازة الشوكة طريقا للتوصل الى الحكم ، وقال ان قبول علماء السياسة من المسلمين لهذا الأسلوب عبر التاريخ لا يشكل إقرارا لهذا المبدأ ولكن رضوخا له في ظروف استثنائية من باب (ارتكاب أخف الضررين) وخوفا من الوقوع في أضرار الخروج على الحاكم القاهر والمتغلب أكثر

---

[٤٢٥] – عبد الرحمن عبد الخالق ،الشورى في ظل نظام الحكم الإسلامي ص٢٣ – ٢٤

[٤٢٦] – عبد الرحمن عبد الخالق ، مشروعية الدخول إلى المجالس التشريعية ص١٧

من ضرر الرضوخ له. وأكد أن التسلط وفرض السلطان بالقوة مرفوض شرعاً . وأنه لا يجوز جعل الواقع التاريخي دليلا شرعيا على جواز حكومة المتغلب.[٤٢٧]

وقال : ان الإمام في الإسلام مسؤول أمام الله والأمة أيضا ، وهو ليس حاكما مطلقا لا يُسأل عما يفعل ، بل يُسأل ويُراجع ويُناقش.[٤٢٨] واعتبر مهمة رقابة الحاكم أهم عمل لأهل الشورى.

وأشار زعيم الحركة السلفية في الكويت الى مسألة مهمة جدا وهي اعتبار الحاكم نائبا عن الأمة وليس عن الله في تنفيذ حكم الله ، وان الأمة هي التي تختاره وهي التي تملك عزله ، وهي التي يوكل إليها تقويمه إذا حاد، وتسديده إذا أخطأ.[٤٢٩]

وانتقد الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق أكبر انحراف سياسي حدث في تاريخ المسلمين أدى الى مصادرة حق الأمة في الشورى ، وهو تعيين معاوية بن أبي سفيان لابنه يزيد خليفة من بعده ، وقال:" إن موضوع الشورى في الإسلام من أخطر الموضوعات وأجلها لأنه أهم الأمور في تسيير شئون المسلمين، ورسم سياستهم ولقد كان أيضاً هو أول الأركان هدياً وإقصاء من نظام الحكم الإسلامي كما قال الحسن البصري رحمه الله: "أفسد أمر هذه الأمة اثنان: عمرو بن العاص يوم أشار على معاوية برفع المصاحف، والمغيرة بن شعبة حين أشار على معاوية بالبيعة ليزيد، ولولا ذلك لكانت شورى إلى يوم القيامة" (تاريخ الخلفاء للسيوطي

---

[٤٢٧] – عبد الرحمن عبد الخالق ،الشورى في ظل نظام الحكم الإسلامي ص٢٣ – ٢٤

[٤٢٨] – المصدر ، ص٢٢

[٤٢٩] – المصدر ، ص ٣٤-٣٥

ص٧٩)، ولذلك بقي هذا الحكم معطلاً في ظل الأنظمة الإسلامية التي تلت ذلك اللهم إلا لمحات قليلة كانت الشورى تطبق تطبيقاً جزئياً تافهاً. ولذلك فقد فسدت أنظمة الحكم، وسارت وفق الهوى والاستبداد أزماناً طويلة حتى ألف المسلمون هذا الفساد والاستبداد، وظنوا مع مرور الزمن أن هذا جزءا من النظام الإسلامي نفسه، ومن تشريع رب العالمين".[٤٣٠]

ورغم أنه اعتبر الديموقراطية نظاما غربيا مفروضا على المسلمين من قبل المستعمرين [٤٣١]، و أنه نظام غير إسلامي يناقض الإسلام في أخص خصوصياته، وفي أُسِّ أساسه وهو السيادة ، لأنه يجعل الحكم للشعب ويجعل الشعب مصدر السلطات جميعا .[٤٣٢]. وهو ما يناقض مناقضة أساسية نظام الإسلام الذي يجعل السيادة لله، والحكم له سبحانه وتعالى .[٤٣٣] وان الخلط بين الديموقراطية والإسلام يعتبر نوعا من الشرك [٤٣٤]. الا ان الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق أجاز تولي المناصب التشريعية والتنفيذية في ظل الأنظمة الديموقراطية ، ورفض مقاطعتها "أملا بتغيير الأنظمة الفاسدة من داخلها وتبديلها والحد من شرورها وآثامها ، وإزاحة من يتقلدون المناصب ويتولون إدارة شئون المسلمين من اللادينيين وأهل الشهوات والأهواء.. وعدم تخلية الساحة لهم ليزيفوا إرادة الأمة، ويتسلقوا إلى دفة

---

[٤٣٠] – المصدر ، ص١

[٤٣١] – عبد الرحمن عبد الخالق ، مشروعية الدخول إلى المجالس التشريعية ص١

[٤٣٢] – المصدر ، ص٣

[٤٣٣] – المصدر ، ص٢

[٤٣٤] – عبد الرحمن عبد الخالق ، **الحد الفاصل بين الإيمان والكفر** ص٣١

الحكم ويستولوا على مقدرات المسلمين، ويستبيحوا بعد ذلك دماءهم، وأعراضهم ودينهم وكرامتهم".[٤٣٥]

وكان لا بد للشيخ عبد الخالق وهو ينغمس في الحياة الديموقراطية في الكويت ان يرفض مبدأ مهما من مبادئ الغلاة – كما يقول – وهو تكفير المجتمع الإسلامي وتكفير الحكام جميعا ، ومن ثم تحريم الولايات العامة التنفيذية والتشريعية وغيرها.[٤٣٦]

ووجد نفسه مضطرا لمواجهة الفكر الوهابي القديم الذي كان يعتبر "الموحدين" فقط أنهم "جماعة المسلمين" ، والذي تجسد في بعض الحركات المتطرفة الحديثة ،

---

[٤٣٥] – عبد الرحمن عبد الخالق ، مشروعية الدخول إلى المجالس التشريعية ص٢٣

[٤٣٦] – يقول:"مما يدل على فساد القول بتحريم تولي الولايات العامة (الوزارة ونحوها وكذلك النيابة التشريعية) في ظل الأنظمة القائمة أن هذا هو قول أهل الغلو، وجماعات تكفير المجتمع فلم يعرف هذا القول في بدايته إلا عنهم ومنهم انتشر في بعض من غرر بأقوالهم. فجماعة شكري مصطفى كانت أول جماعة فيما أظن قالت بعدم جواز تولي أية ولاية عامة أو خاصة في الحكومات المعاصرة بناء على عقيدتها في كفر المجتمع كله، وكفر الحكام جميعا، وسواء عندهم أكانت الولاية وزارة أو إمامة صلاة أو غير ذلك. يقول أحدهم (كل الأعمال حلالها وحرامها في هذا المجتمع الجاهلي لا بد أن تصب في النهاية في مصب واحد هو خدمة وبناء هذا المجتمع الكافر). (ماهر بكري. الهجرة ص١٠ عن الغلو في الدين لعبدالرحمن اللويحق ٥٢٥). بل بالغ شكري مصطفى فقال بعد أن ذكر مجموعة من الوظائف: (كل ذلك.. إنما هو سلطان الطاغوت ودائرة اختصاصه ومواد الوهيته، والداخلون في نظامه هم عبيده وسدنة محرابه وانه لا شيء مما ذكرنا ولا قشة ترفع في الطريق بأمر البلدية في بلد الطاغوت إلا وهي داخلة في إلاهيته). (شكري مصطفى الخلافة ١٣/٦ وعنه الغلو في الدين لعبدالرحمن اللويحق ٥٢٦) وقد وافق هؤلاء الغلاة بعض إخواننا السلفيين . وللأسف أنهم استدلوا على ذلك بقريب مما استدل به الغلاة". عبد الرحمن عبد الخالق ، مشروعية الدخول إلى المجالس التشريعية ص٢٠

فقال:" اشتدت فتنة التكفير وشاعت القالة بأن كل المجتمعات الآن كافرة ، وظنت كل مجموعة أنهم وحدهم جماعة المسلمين ، وان غيرهم إما كفار او مجهولي الهوية والدين ، وان رأوهم يصلون ويصومون ويشهدون أن لا إله الا الله ويدعون الى الإسلام ويجاهدون في سبيل الله ما داموا لم يبايعوا أميرهم ويدخلوا في عقيدتهم ، وظن أولئك ان حقيقة الإسلام قد ضاعت منذ عصر الراشدين والى يوم ظهورهم هم حيث ظنوا أنهم فهموا الإسلام وطبقوا منه ما لم يفهمه سلف الأمة ، وقالوا : ان الزمان استدار كهيئته يوم بعث محمد (ص) مبشرا بهذا الدين ، فكما انه بعث في أقوام من الكفار يدعون الى الهداية في الدين ، ولم يكونوا كذلك . فكذلك هم قد خرجوا في كفار يدعون الإسلام وليسوا بمسلمين".[٤٣٧]

وقال:" الحق الذي لا مراء فيه أنه يجب الحكم على عوام الناس بأنهم مسلمون، ما لم يظهر من أحدهم ناقض من نواقض الإيمان عالماً به، مكابراً فيه. وإن الواجب أن يعاملوا معاملة المسلمين المؤمنين، وأن يعلموا حقيقة الإيمان، وحدود الإسلام. وأن لا ينقل فرد منهم عن هذه الحقيقة إلا بفعل مناقض للإيمان بعد قيام الحجة عليه".[٤٣٨]

ودعا الى التريث في تكفير الناس ، وعدم المسارعة الى رمي المسلمين بالكفر بمجرد صدور فتاوى أو آراء تبدو على خلاف كلام الله تعالى ، وضرورة التثبت و

---

[٤٣٧] – عبد الرحمن عبد الخالق ، **الحد الفاصل بين الإيمان والكفر** ص ٣

[٤٣٨] – المصدر ، ص٣٢

التعرف الكامل على مراد المتكلمين.[٤٣٩]وقال:" لا يجوز أن يُحكم بالكفر على مسلم إذا رأيناه يفعل مكفرا من المكفرات إلا بالضوابط الآتية:

أ – أن لا يكون جاهلا، فإذا كان جاهلا بحكم ما يفعله فلا يكفر حتى يتعلم وتُقام الحجة عليه.

ب – أن لا يكون متأولاً يرى أن ما يفعله من مخالفة شرعية إنما هو لمصلحة أعظم أو درءا لمفسدة أعظم، كما ترك الرسول صلى الله عليه وسلم تنفيذ بعض الحدود درءاً لمفسدة أعظم، ونحو ذلك.

ج – أن لا يكون مضطرا

ووفق هذه الضوابط يكون الحكم على معين ما أنه كافر، وأما إلقاء الكلام على عواهنه، وتكفير الناس دون العلم بحقيقة حالهم، فهذا لا يقدم عليه إلا رقيق الدين، قليل التقوى والخوف من الله.[٤٤٠]

وحذر قائلا:" ان من أعظم الفتن التي تجابه المسلمين في العصر الحاضر فتنة التكفير، وأعني بها القول والاعتقاد الذي يعتقده ويقول به كثير من أبناء الأمة الإسلامية في أن المجتمع المعاصر مجتمع كافر (هكذا بإطلاق الكلمة) والرمي بالكفر لكل من فعل مكفرا دون نظر إلى الشروط والموانع، أعني الشروط التي لابد من توفرها ليكون فاعل المكفِّر كافرا، والموانع إن وجدت انتفى القول بالكفر.

---

[٤٣٩] – المصدر ، ص ٣٧

[٤٤٠] – عبد الرحمن عبد الخالق ، فصول من السياسة الشرعية في الدعوة إلى الله ج٢ ص ٣٦

ولقد كان من آثار إلقاء القول بالكفر على عواهنه أن رتب بعض من لا علم عندهم ولا فقه أن ديار الإسلام المعاصرة ديار حرب تستباح فيها الأموال والنساء، ولا تجوز فيها الجمعة ولا الجماعة، ولا حرمة فيها إلا لمن عرف معتقده على الحقيقة، واستبان أمره ظاهرا وباطنا.. وكذلك كان من آثار ذلك أن اعتقد وظن كل من يرى كفر المجتمع أنه وحده أو من يدين بدينه هم أهل الإيمان والإسلام فقط فسمى نفسه "جماعة المسلمين" وإن كان واحدا، وإن كانوا أكثر من ذلك، جعلوا أنفسهم جماعة المسلمين دون غيرهم ولذلك بايعوا أحدهم وأعطوه ما يعطى الإمام العام من الطاعة والنصح، ورأوا أن كل خارج عن بيعة أميرهم خارج عن الإسلام يستباح ماله وعرضه إذا قدر على ذلك".[٤٤١]

وأضاف: " لقد كان من آثار هذه العقيدة أيضا أن نفي باب الاضطرار في الشريعة، وجعل الجاهل في التكليف كالعالم، والمتأول كالمعاند، ونفيت المصالح الشرعية جملة وتفصيلا، وجعلت الشريعة الإسلامية بلا حكمة ولا عقل ...ولقد كان أيضا من آثار القول بالكفر بإطلاقه القول بحرمة التعامل مع المجتمع، ووجوب العزلة عنه، والبدء في الدعوة إلى الإسلام من جديد كما بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أهل الجاهلية الأولى، بل لقد كان من آثار هذه الفتنة العقائدية ظهور الفتن الدموية التي تستباح فيها دماء كثير من المسلمين الغافلين".[٤٤٢]

وأكد الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق موقفه المميز بكل وضوح ، قائلا: " نحن نعتقد أن البلاد الإسلامية وشعوبها ما زالت على الإسلام، ومازال سواد الناس وجمهورهم يريدون تحكيم شريعة الله فيهم، وإنما يحول دون ذلك اللصوص المتغلبة،

---

[٤٤١] – المصدر ، ج١ ص١

[٤٤٢] – المصدر ، ج١ ص٢

والمنافقون من الحكام الذين يظهرون الإسلام، ويوالون أعداء الله في الحكم بغير ما أنزل الله.. و أننا لا نقول بكفر المجتمعات والشعوب الإسلامية ولا نقول إن الجهاد يجب أن يبدأ من الصفر حتى تتميز الصفوف بين جيل إسلامي ومجتمع كافر كما يقول بعض الدعاة. وقد بينا فساد هذا الاعتقاد في مواطن عديدة".[٤٤٣]

ومن المعروف ان بعض الحركات الإسلامية ، وخاصة في مصر ، قد اتجه منذ منتصف الستينات من القرن العشرين الى تكفير المجتمعات الإسلامية شعوبا وحكومات، لأنها استبدلت القوانين الإسلامية بالوضعية. واستباح دماءها وأموالها وأعراضها ، وقام بهجرها ومقاطعتها واعتزالها ، وأعلن الجهاد ضدها ، واعتبر بلاد المسلمين دار حرب . [٤٤٤] ولكن الشيخ عبد الخالق رفض كل ذلك وقال:"لاشك أن القول بأن ديار الإسلام الآن وأوطانهم ديار حرب قول فاجر، ليس عليه دليل من كتاب أو سنة أو فقه أو عقل". [٤٤٥] "ولا شك أن ديار المسلمين الآن وأوطانهم هي ديار إسلام مادام أهلها مسلمون، وإن غلب بعض أنظمة الكفر عليهم، وهم مطالبون بطاعة الحق فقط، ومأمورون بمعصية أنظمة الكفر وقوانينه لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ".[٤٤٦] " وإن إقامة أحزاب أو جمعيات أو تجمعات في أي نظام "ديمقراطي" يسمح بتعدد الآراء والاتجاهات لا يعني بالضرورة إقرار المخالفين، ولا الرضا بما هم عليه من الباطل ".[٤٤٧]

---

[٤٤٣] – عبد الرحمن عبد الخالق ، مشروعية الدخول إلى المجالس التشريعية ص٥

[٤٤٤] – عبد الرحمن عبد الخالق ، فصول من السياسة الشرعية ج٢ ص ٣٢-٣٤

[٤٤٥] – المصدر ، ج٢ ص٣٧

[٤٤٦] – المصدر ، ج٢ ص٣٨

[٤٤٧] – عبد الرحمن عبد الخالق ،المسلمون والعمل السياسي ص١٤

وبعد أن رفض الشيخ عبد الخالق تكفير المجتمع المسلم او إعلان الحرب عليه ، أعلن تمسكه بالمنهج السلمي في الدعوة والإصلاح ، وقال:" إن الأصل في الدعوة إلى الله – سبحانه وتعالى– هو السلم ، و أن الطريق السلمي للدعوة هو الأساس، ولو أن الكفار لم يحاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حاربهم، ولو سمحوا لدعوته أن تصل وتبلغ ما قام في وجوههم.. وهذا مع الكفار، فكيف مع المسلمين؟!".[٤٤٨]

وهكذا اقترب زعيم الحركة السلفية في الكويت من النظام الديموقراطي حتى ولج فيه ، وقال:"إن النظام الذي يسمح للرأي المخالف أن يعلن، ويسمح للمسلمين بأن يؤلفوا حزباً لدعوتهم، أو جمعية لتحقيق بعض أهداف دينهم كنشر العلم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنشاء الجامعات والمدارس والمعاهد، والعناية باليتامى والمساكين.. الخ. أقول: النظام الذي يسمح بذلك يجب التمسك به والحرص عليه، لأن بديل هذا النظام هو الحكم الاستبدادي عسكرياً كان أو غيره وهذا يضطر المسلمين إلى الدعوة سراً، وفي هذا من العسر والمشقة ما فيه".[٤٤٩]

---

[٤٤٨] – المصدر ، ص١٤

[٤٤٩] – عبد الرحمن عبد الخالق ،المسلمون والعمل السياسي ص ١٥ وقد استعان الشيخ عبد الخالق وهو ينظر لمشروعية الدخول في الحياة الديموقراطية والمجالس التشريعية ، بفتوى للشيخ عبد العزيز بن باز ، يقول فيها: "لا حرج في الالتحاق بمجلس الشعب إذا كان المقصود من ذلك تأييد الحق، وعدم الموافقة على الباطل، لما في ذلك من نصر الحق، والانضمام إلى الدُعاة إلى الله. كما إنه لا حَرَجَ كذلك في استخراج البطاقة التي يستعان بها على انتخاب الدُعاة الصالحين، وتأييد الحق وأهله، والله الموفق". (مشروعية الدخول إلى المجالس التشريعية ص١٧)

وقال أيضا:"إن الحزب السياسي، والجمعية الخيرية، والتجمع والنقابة والاتحاد، هذه المؤسسات التي يسمح بها النظام الحر (الديمقراطي) يجب على المسلمين المبادرة إليها، واتخاذها سبيلاً، وطريقاً لنشر دينهم وتمكين عقيدتهم، وتجميع قواهم، وتدريب وتعليم عناصرهم، بل يجب على المسلمين أن يسعوا إلى مثل هذا التشريع الذي يسمح بذلك لو كان النظام القائم لا يسمح له، لأن هذا حق من حقوقهم، بل واجب من واجباتهم، أن يتعاونوا على البر والتقوى، وأن يكونوا جمعيات وجماعات، وأحزاب تدعو إلى الله وتنشر دينه، وتعلي كلمته".[٤٥٠]

---

[٤٥٠] – عبد الرحمن عبد الخالق ،المسلمون والعمل السياسي ص١٦

الخاتمة

التكفير أزمة الفكر السياسي الوهابي

كما لاحظنا في الفصول الماضية فان أزمة الفكر السياسي الوهابي وجذور الاستبداد ، تكمن في مشكلة التكفير لعامة المسلمين ، و وضع شروط متشددة على تحقق صفة الإيمان ، و تضييق فتحة التوحيد ، و المبادرة سريعاً الى التشكيك بإسلام الناس واتهامهم بنقض عرى الإيمان. وقد أدت هذه المشكلة الى حدوث تناقض دائم مع الجماهير المسلمة والعداء لمختلف الطوائف و الأحزاب والتيارات الإسلامية ، وعدم الانفتاح عليها ، بل و إقامة العلاقة معها على أساس الفتح و الاحتلال والعنف و القهر و الغلبة.

ان التفسير الجديد الوهابي للتوحيد سمح للحركة إعادة تشكيل إطار الأمة الإسلامية ، حيث لم يعد يشمل كل من يتشهد الشهادتين ، و إنما فقط من يعتنق النظرية الوهابية في التوحيد ، و يصطف الى جانب دولتها.

و بغض النظر عما سببه هذا الموقف من ردود أفعال من عامة المسلمين ضد الحركة الوهابية ، فان مشكلة التكفير انعكست أيضا بين أبناء الحركة ، حيث حكمت الأنظمة السياسية التي انطلقت منها على قطاعات واسعة من أتباع الحركة بالردة و الكفر لمجرد الخلاف او العصيان ، كما اتهمت قطاعات من الحركة بعض الحكام و بعض الفئات الوهابية بالكفر و نقض الإيمان لمجرد اختلال تلك الشروط المتشددة ، كالولاء للدولة العثمانية "الكافرة" بالمنطق الوهابي.

لقد خلقت قاعدة التكفير التي حكمت علاقة الوهابيين بعامة المسلمين ، نوعا من التوتر الدائم بينهم ، و ذلك بسبب مبدأ الجهاد الذي التزمت به الحركة كطريق للدعوة و إجبار "الكفار و المشركين والمرتدين" على الدخول في الإسلام من جديد والتمسك بنظرية (التوحيد) التي جاء بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وبسبب رفض عامة المسلمين للتفسير الوهابي الضيق للتوحيد ، مما كان يؤسس للعلاقة بين الطرفين على أساس العنف والقوة و الإرهاب ، ويقضي على أي فرصة لبناء العلاقة بينهما على أساس الشورى و السلام.

وقد رأينا كيف أشعلت الدعوة الوهابية التي انطلقت في أواسط القرن الثاني عشر الهجري سلسلة طويلة من المعارك و الحروب في قرى إقليم العارض من نجد ، و لمدة أربعين سنة ، ثم امتدت الى الأقاليم المجاورة كالاحساء و العراق و الحجاز فأقامت مجازر رهيبة بحق السكان المسلمين الآمنين الذين كانت تنظر اليهم الحركة الوهابية ككفار و مشركين فعاملتهم بقسوة متناهية ولم ترحم الصغير و لا الكبير ، و ربما كانت مجزرة كربلاء الشهيرة عنوانا بارزا على تلك السياسة الإرهابية المتطرفة.

وإضافة الى قاعدة التكفير التي ارتكزت اليها الحركة الوهابية ، فإنها فشلت في إقامة نظام يقوم على الشورى و الانتخاب و رضا المسلمين او بيعتهم للحاكم ، و انساقت وراء النظام الوراثي الذي كان يفرش ظلاله على ربوع الصحراء في نجد كما في سائر أنحاء العالم الإسلامي في عصور التخلف و الانحطاط. وأضفت عليه مسحة أيديولوجية بما استوحت من نظريات فكرية سياسية متخلفة تجيز حكومة القاهر المتغلب دون اشتراط الشورى او رضا الأمة وانتخابها له ، و بما استوردت من أحاديث تنسب الى الرسول الأعظم (ص) و تأمر بطاعة الأمراء وان ظلموا أو طغوا ، دون ان تسمح الحركة الوهابية السلفية لنفسها بمراجعة تلك الأحاديث و التأكد من صحتها ، او تقارنها بمبادئ الإسلام العظيمة الداعية الى الرحمة و العدل و المساواة.

وقد أدى غياب الشورى من الفكر السياسي الوهابي والقبول بحكم القاهر المتغلب ، الى فتح باب واسع للصراعات الداخلية و الانقلابات العسكرية والاغتيالات ، التي ابتدأها الشيخ محمد بن عبد الوهاب نفسه عندما أمر باغتيال قائد القوات الوهابية الأمير الأكبر في نجد ، أمير العيينة عثمان بن معمر . فقد بدا الصراع على السلطة بعد وفاة الأمير سعود الذي أخذ الشيخ البيعة له و لأبيه عبد العزيز بولاية العهد ، وتسنم عبد الله لمنصب الإمامة ، حيث أخذ عمه و أخوه ينافسانه على السلطة.

و رغم أن الحركة الوهابية ، بعد سقوط الدولة السعودية الأولى كانت تعيش حالة مقاومة للسيطرة المصرية العثمانية ، الا انها لم تسلم أيضا من الصراع على السلطة ، فقد نصّب محمد بن مشاري بن معمر نفسه قائدا للحركة سنة ١٢٣٤هـ ، الا ان الأمير مشاري بن سعود لم يقبل بذلك وحاول انتزاع السلطة منه مما أدى الى مقتله. فقام أمير سعودي آخر هو تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود في عام ١٢٣٦ بالانتقام له من ابن معمر ، و قتل في طريقه أمير بلدة (ضرما) ناصر السياري ، ليفرض هيمنته على الرياض و يأخذ من أهلها البيعة بالقوة . ولكن ذلك

لم يمنع من اغتياله سنة ١٢٤٩ ، على يد ابن أخته (مشاري بن عبد الرحمن بن مشاري بن سعود) الذي كمن له عند باب المسجد وقتله غدرا بعد خروجه من صلاة الجمعة ، و استولى على السلطة عنوة . ولم تمض شهور حتى استطاع فيصل بن تركي بالانتقام لوالده وقتل ابن عمه مشاري ، و العودة الى الحكم.

وقد أدى الصراع على السلطة بين آل سعود الى استعانة جناح منهم وهم أبناء سعود بن عبد العزيز ، بالقوات المصرية لكي تعين أحدهم (خالد بن سعود) أميرا على نجد و تفرضه بالقوة سنة ١٢٥٣هـ.

كما أدى الصراع على السلطة فيما بعد بأبناء الأمير فيصل الذي عاد الى الحكم مرة أخرى ، الى الاقتتال فيما بينهم و الاستعانة بالقوات العثمانية و الإنجليزية ضد بعضهم البعض الى ان زال حكمهم من الوجود في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي.

وبينما كانت الحركة الوهابية تعتبر التعاون مع الدولة العثمانية "الكافرة" و الولاء لها ناقضا من نواقض الإيمان ، لم يمانع أحد قادتها وهو الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود في التحالف مع الاستعمار البريطاني الزاحف على الشرق الأوسط في الحرب العالمية الأولى ، ضد الدولة العثمانية التي كان يتولى الإمارة من قبلها على نجد. ومع ذلك لم تمانع الحركة الوهابية الجديدة من التعاون معه و العمل في جيشه تحت شعار تكفير الدولة العثمانية و الشعوب العربية المجاورة ، و التحول الى أداة طيعة في يد ابن سعود لاحتلال مزيد من الأراضي و البلاد و العباد. وما أن كاد ابن سعود ينتهي من تحقيق أهدافه التي رسمها له الإنجليز حتى اصطدم بقوات (الإخوان) الوهابية واستعان بالإنجليز على قمعها وإخضاعها و القضاء عليها. كما استعان برجال الدين الوهابيين لتغطية عملية القمع باتهامهم بالخروج على الإمام.

وفي حين لم يقض ابن سعود على الوهابية تماما ، بعد تلك الضربة ، فانه لم يعد يلتزم بشعاراتها و لا ببرامجها العسكرية ، وحافظ على الحدود التي رسمها له

الإنجليز في معاهدة دارين ١٩١٥ ومعاهدة جدة ١٩٢٧ ، واستطاع ان يدجن الوهابية في مؤسسة دينية رسمية تابعة له تحقق له قدرا كبيرا من السيطرة الثقافية و السياسية في المملكة الجديدة التي أنشأها في نجد و الأحساء و الحجاز و توابعها. ومع أنه عدل من خطاب الوهابية الرسمي بما يجنبها من تكفير عامة المسلمين ، مما سمح لها بالعمل فيما بعد في أطر المؤتمر الإسلامي و رابطة العالم الإسلامي و ما الى ذلك ، الا ان نغمة التكفير ظلت تتردد على ألسن بعض كبار العلماء الوهابيين بين الفينة و الأخرى و خاصة تجاه الطائفة الشيعية ، مما حرم الشيعة في المملكة العربية السعودية من ممارسة حقوقهم الإنسانية و السياسية وأبعدهم عن المشاركة في السلطة او المطالبة بنظام الشورى.

و رغم أن الشورى كانت مطلبا جماهيريا في السعودية و خاصة مملكة الحجاز التي ضمها ابن سعود الى سلطنة نجد سنة ١٩٢٥ على أساس و عد بحفظ حق الشورى لها و إدارة أهلها لمملكتهم ، فان النظام السعودي قام على أساس القهر و الغلبة و الفتح و السيف ، ولذلك كانت كلمة (الشورى) أبغض شيء على مسامع النظام.

مع إغلاق باب الشورى أغلقت أبواب الإصلاح و التغيير السلمي في داخل النظام السعودي ، و لم يعد حتى للوهابيين الحق في الاعتراض او المطالبة بالمشاركة في القرار السياسي ، أو إدارة الدولة و المجتمع ، ولم يعد أمامهم سوى سلوك طريق التغيير العسكري و الجهاد المسلح ضد الدولة التي اعتبرها بعضهم خارجة عن الإسلام و عن الطريق المستقيم ، فكانت حركة جهيمان في مطلع القرن الرابع عشر الهجري في الحرم الحرام ، و التي قدم خلالها جهيمان العتيبي زميله (محمد بن عبد الله القحطاني) كمهدي منتظر و مخلص يحاول بناء الدولة الإسلامية من جديد.

ومع مضي النظام السعودي بعيدا عن شعارات و أهداف الحركة الوهابية ، وخاصة عند استقدامه للقوات الأمريكية للدفاع عن المملكة ضد العراق الذي احتل

الكويت عام ١٩٩٠ ، كان على الحركة الوهابية إما التبعية و التأييد للنظام ، كما فعلت المؤسسة الدينية الرسمية ، أو الاحتجاج الصامت و تقديم المذكرات الناصحة التي لا تجدي نفعاً ، و إما الخروج المسلح وتكفير النظام تمهيدا لتبرير الانشقاق عليه ، ولم يجد الفكر السياسي الوهابي حلاً وسطا يتمثل في المطالبة بالشورى و إجراء الانتخابات و الدعوة الى تغيير النظام سلمياً ، لأنه كان لا يزال يعيش في أزمة الشك في إسلام و إيمان الغالبية من الشعب السعودي الذي يضم طوائف و تيارات عديدة غير الوهابية ، كما أنه كان لا يزال يعتبر الديموقراطية و الانتخابات نوعاً من البدع الغربية المناقضة للدين ولعقيدة التوحيد ، و لتعليمات الرسول الأعظم الذي يأمر بطاعة الحاكم و عدم معارضته او انتقاده بصورة علنية او تحديد مدة حكمه فضلا عن إسقاطه و تغييره .

وإذا كانت الحركة الوهابية الثورية الجديدة مضطرة لتكفير النظام السعودي و المؤسسة الدينية الوهابية التابعة له من أجل ان تسمح لنفسها بالانقلاب على النظام و العمل من أجل إسقاطه ، فلنا ان نتصور كيف ستعامل هذه الحركة سائر المواطنين السعوديين من مختلف الطوائف والتيارات ؟ وكيف ستتعامل معهم؟ وكم ستعطيهم من الحقوق السياسية؟ وهل ستقبل بمشاركتهم في السلطة؟ بالطبع سيكون الجواب على كل ذلك بالنفي الأكيد . و من المؤكد انها لو نجحت ستفرز نظاما سياسيا جديدا يقوم على توارث السلطة و يخضع لآليات الحكم و معادلات القوة الإقليمية و الدولية ، وسوف يعود التاريخ لكي يكرر نفسه ، حيث ستنفصل السلطة السياسية عن الحركة الوهابية أو تنقلب عليها ، وسوف يكفر بعضهم بعضا ، ويكفرون معا جماهير الأمة و يتخذون منها موقفا سلبيا.

وليس ذلك الا لأن الحركة الوهابية تنطوي على تناقض جوهري أبدي مع الديموقراطية و الشورى ، بسبب رفضها الاعتراف بالأمة الإسلامية على أساس الشهادتين ، و إصرارها على النظر الى الناس من خلال منظار الشيخ محمد بن

عبد الوهاب الضيق للإيمان والإسلام [٤٥١]، و هو ما يجعلها دائماً أقلية في المجتمع تلجأ الى العنف و تضطر للتحالف مع قوة عسكرية وتعتمد الجهاد ضد بقية المسلمين و تقيم نظاما سياسيا على أساس القهر و الغلبة.

ولا يمكن للحركة الوهابية ان تخرج من هذه الأزمة المستعصية الا بإحداث ثورة ثقافية تعيد فيها النظر الى التصور الوهابي للإسلام و الإيمان و الذي قدمه الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، و تتخلى عن سياسة التكفير لعامة المسلمين. بالإضافة الى إعادة النظر في الفكر السياسي لابن تيمية و الذي يجيز فيه حكومة القاهر المتغلب. و بكلمة أخرى لا يمكن للحركة الوهابية ان تتقدم على طريق الشورى أو الديموقراطية الا بالتخلي عن الوهابية. وهو ما يقوم به فعلاً عدد غير قليل من أبناء الحركة السلفية الذين بدءوا يعيدون النظر في شروط الإيمان المتشددة و في مقولة الديموقراطية. و يعترفون بإطار الأمة الإسلامية الواسع. و ربما كان رفض النظام السعودي لاستخدام اسم (الوهابية) محاولة منه للتحرر من تركة الفكر الوهابي المتطرف ، و العودة الى رحاب الإسلام . وقد أصدر وزير الأوقاف السعودي عبد الوهاب بن أحمد عبد الواسع ، بتاريخ ١٢ / ٥/ ١٤٠٩ تعليماته الى الخطباء للدعوة الى التآلف والتآخي بين المسلمين والتشاور فيما بينهم على ما يصلح أحوالهم الدينية والدنيوية ، وعدم الدعاء بالهلاك على اليهود والنصارى والطوائف الأخرى.

---

[٤٥١] – أثناء حوار لي في موقع (أنا المسلم) الوهابي ، في محرم ١٤٢٢ تقدم شخص كان يسمي نفسه (عبد الله السلفي) فأبدى إعجابه بحديثي و كتاباتي ، واستغل الفرصة لكي يدعوني الى الدخول في (دين الاسلام) ، فلم أفهم ما يقول وقلت له مستغرباً و مؤكداً : إني ولدت على الفطرة ، من أبوين مسلمين في مجتمع مسلم. ولكني فهمت منه بعد ذلك أنه لا يعترف بإسلامي و لا يؤمن بوجود مسلمين خارج إطار (الدعوة الوهابية) أو دعوة التوحيد ، والاسلام الخالص الجديد الذي جاء به الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وأنه يشكك بإسلام عامة المسلمين.

أحمد الكاتب

لندن ١٠ ذي الحجة ١٤٢٣هـ / ١١ شباط ٢٠٠٣

المصادر

كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب

١- التوحيد

٢- الأصول الثلاثة

٣- كشف الشبهات

٤- رسالة في معنى لا إله إلا الله

٥- رسالة في الرد على الرافضة

٦ – الرسالة الثالثة في نواقض الاسلام

٧- تطهير الاعتقاد

٨- ١٢٨ مسألة من مسائل الجاهلية

٩ – الرسالة المفيدة

١٠- دلائل التوحيد

كتب أخرى :

١- تاريخ نجد ، الشيخ حسين بن غنام ، تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد ، دار الشروق ، بيروت الطبعة الثالثة ١٩٩٤

٢- عنوان المجد في تاريخ نجد ، عثمان بن عبد الله بن بشر ، تحقيق عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ، الرياض الطبعة الرابعة ١٩٨٣

٣- من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي ، محمد أديب غالب ، دار اليمامة الرياض الطبعة الأولى ١٩٧٥

٤- تاريخ الكويت ، عبد العزيز الرشيد

٥- تاريخ آل سعود ، جون فيليبي

٦- جزيرة العرب في القرن العشرين ، حافظ وهبة

٧- الوثائق البريطانية ، المجلد ٢١٤٠ و المجلد ٢٤٧٩

٨- معجزة فوق الرمال ، أمين الريحاني

٩- الكويت وجاراتها ، هارولد ديكسون

١٠- دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب سلفية لا وهابية ، الدكتور أحمد الحصين
١١- رسائل أئمة دعوة التوحيد ، فيصل بن مشعل آل سعود ،مكتبة العبيكات ، الرياض ٢٠٠١
١٢- الرسالة التدمرية ، لابن تيمية
١٣- اقتضاء الصراط المستقيم ، ابن تيمية
١٤- مجموع الفتاوى ، ابن تيمية
١٥- الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم
١٦- مجموع الرسائل والمسائل النجدية ، عبد الله بن عبد الرحمن بو بطين
١٧- تاريخ المملكة العربية السعودية ، عبد الله بن عثيمين
١٨- النظرية السياسية عند ابن تيمية ، حسن كونا كاتا ، دار الأخلاء ، الدمام الطبعة الأولى ١٩٩٤
١٩- دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، عبد العزيز العبد اللطيف ، دار الوطن ، الرياض ١٤١٢
٢٠- مجموع فتاوى و مقالات ابن باز ، الجزء السابع
٢١- القول المفيد ، محمد بن صالح بن عثيمين
٢٢- فصل الخطاب في الرد على محمد بن عبد الوهاب ، سليمان بن عبد الوهاب
٢٣- الدرر السنية في الرد على الوهابية ، أحمد زيني دحلان
٢٤- فتنة الوهابية ، أحمد بن زيني دحلان
٢٥- صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان ، محمد بشير السهسواني الهندي

٢٦- منهاج أهل الحق و الاتباع في مخالفة أهل الجهل و الابتداع ، سليمان بن سحمان

٢٧- لسراة الليل هتف الصباح ، عبد العزيز التويجري ، دار رياض الريس بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٩٨

٢٨- النظام السياسي و الدستوري للمملكة العربية السعودية ، أحمد عبد الله بن باز ، دار الخريجي ، الرياض الطبعة الثالثة ٢٠٠٠

٢٩- السعوديون والحل الاسلامي ، محمد جلال كشك

٣٠- الدولة السعودية الأولى ، عبد الرحيم عبد الرحمن

٣١- قيام الدولة السعودية العربية ، عبد الكريم الغرايبة

٣٢- شبه الجزيرة العربية ، الزركلي

٣٣- البدو والوهابيين ، جون لويس بروكهارت ، ترجمة محمد الأسيوطي ، الطبعة الأولى ١٩٨٨

٣٤- الوهابيون و الحجاز ، محمد رشيد رضا ، الزهراء للاعلام العربي ، القاهرة الطبعة الأولى ١٩٩٦

٣٥- الشورى لا الديموقراطية ، عدنان علي رضا النحوي ، دار النحوي ، الرياض ، الطبعة الرابعة ١٩٩٢

٣٦- الشورى في ظل نظام الحكم الاسلامي ، عبد الرحمن عبد الخالق

٣٧- مشروعية الدخول الى المجالس التشريعية ، عبد الرحمن عبد الخالق

٣٨- الحد الفاصل بين الايمان و الكفر ، عبد الرحمن عبد الخالق

٣٩- فصول من السياسة الشرعية في الدعوة الى الله ، عبد الرحمن عبد الخالق

٤٠- المسلمون و العمل السياسي ، عبد الرحمن عبد الخالق

٤١- الديموقراطية دين ، ابو محمد عاصم المقدسي
٤٢- الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية ، ابو البراء مرشد بن عبد العزيز بن سليمان النجدي ، دار القصيم لندن ١٩٩٤
٤٣- مذكرة النصيحة
٤٤- مشروعية محاسبة الحكام ، محمد المسعري ، مؤسسة الرافد لندن الطبعة الثانية ٢٠٠٠
٤٥- هويات متغيرة ، مي يماني
٤٦- صراع الاجنحة في العائلة السعودية ، فهد القحطاني ، الصفا للنشر ، لندن ١٩٨٨
٤٧- قيام العرش السعودي ، ناصر الفرج
٤٨- العلماء و العرش ، الدكتور أنور عبد الله
٤٩- الدين و الدولة في السعودية ، أيمن الياسيني
٥٠- مجلة إقرأ ، العدد ٧٧٩
٥١- جريدة الشرق الأوسط ، العدد ٦١٥٦
٥٢- مجلة الدعوة ، تاريخ ١٩/١٢/١٤١٥
٥٣- مجلة البحوث الاسلامية ، العدد الأول من المجلد الثاني

كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب:
http://www.khayma.com/kshf/R/Kshf-A.htm
http://www.e-kotob.com/books/adv_search_results.asp?auth_id=887
http://www.khayma.com/iman/kitabutawheed.html
http://www.najran.net/arabic/books/islamic/tawheed/
http://www.aaraa.jeeran.com/islamic/kotob/ageedah-dla_el-wahhab.htm

http://www.geocities.com/only2books/islamic/ageedah-128-wahab.htm
http://www.geocities.com/only2books/bks_islamic.htm
http://www.assiraj.bizland.com/library/shahadah2.htm

كتاب الدرر السنية في الأجوبة النجدية

http://www.dorar.net/htmls/mbooks.asp

مجموعة فتاوى الشيخ ابن باز

http://www.ibnbaz.org.sa/last_resault.asp?hID=1317

خطاب أسامة بن لادن

http://www.khayma.com/rafidha/ematah.htm

كتب و مؤلفات ابو محمد المقدسي:

http://www.almaqdese.com/

كتب الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق

http://www.salafi.net/list.html

كتب الشيخ حسن المالكي

http://www.almalky.net/graa_fi_al3gaid.htm

هذا الكتاب

شهد العالم الإسلامي ، خلال القرن العشرين ، انفتاحاً كبيراً على الفكر الديموقراطي ، وأقيمت أنظمة برلمانية و انتخابات رئاسية في معظم البلاد الإسلامية ، ما عدا المملكة العربية السعودية التي ظلت تحتفظ بنظام شمولي مطلق يحتكر فيه الملك كل السلطات التشريعية و التنفيذية ، و فشلت في إحداث أي تطور ديموقراطي . و ربما كان لهذا الفشل عوامل عديدة ولكن أهمها قد يكون الفكر السياسي الوهابي الرافض للديموقراطية . و رغم ان علاقة الحركة الوهابية مع النظام السعودي لم تكن على خير ، وكان يشوبها كثير من التوتر والصراع بحيث كانت تفرز تيارات ثورية راديكالية تطالب أحياناً بقطع رأس النظام ، الا انها كانت تعيش أزمة فكرية سياسية محيرة تتردد فيها بين التكفير و الخروج أو الإرجاء و الخنوع ، و لا تجد بينهما مخرجاً. وهذا ما دفع بعض حركات المعارضة الوهابية للنظام السعودي كمنظمة (القاعدة) الى اعتماد استراتيجيات بديلة عن عملية الإصلاح الداخلي ، و ذلك بالتوجه للانتقام من الأعداء الخارجيين و تحميلهم كل المسؤولية عن تدهور الأوضاع السياسية الداخلية. ففي حين اعترضت منظمة (القاعدة) على التواجد العسكري الأميركي في بلاد الحرمين الشريفين ، وجهت كل غضبها على "المحتل الأميركي" وتغافلت عن الداعي والطالب للحماية الأميركية ، وهو النظام السعودي. و بدلاً من أن تطالب النظام بطرد القوات الأجنبية ، او

تعمل من أجل تغييره سياسياً او تجد وسيلة للمشاركة في القرار السياسي والضغط على الحكومة من أجل تنفيذ سياسات شرعية منسجمة مع الدين الحنيف و المصلحة الوطنية.. بدلاً من ذلك وجدت نفسها مضطرة لخوض المعركة مع العدو الخارجي المحتل ونقل المعركة الى عقر داره.